

آشلي الستون

الكذب الأول تفوز



مكتبة

ترجمة: هند حسني

الكذبة الأولى تفوز





لتجارة الكتب

إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email: P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

تأليف: أشلي الستون

ترجمة: هند حسني

تحرير: أحمد حسين

تدقيق لغوي: آلاء الشربيني

تنسيق داخلي: معتز حسنين علي

رقم الإيداع: 2024/27384 م

الترقيم الدولي: 978-977-6972-78-0

العنوان الأصلي: First Lie Wins

العنوان العربي: الكذبة الأولى تفوز

حقوق النشر:

Copyright © 2024 by Ashley Elston
Published in agreement with Sterling
Lord Literistic, through Bears Factor

الطبعة الأولى: يناير / 2025 م

حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

مكتبة
t.me/soramnqraa

مكتبة

t.me/soramnqraa

آشلي الستون

الكذب الأول تفوز



ترجمة: هند حسني

إلى ميلر، روس، وآرتشر.

الفصل الأول مكتبة

t.me/soramnqraa

تبدأ القصة بتفاصيل صغيرة: فرشاة أسنان إضافية في الكوب الزجاجي بجوار الحوض، بضع قطع من الملابس تحتل الدرج الأصغر، شواحن هواتف مُتناثرة على جانبي السرير. ثم تتسع تلك التفاصيل لتصير أكبر: شفرات الحلاقة، غسول الفم، وحبوب منع الحمل، تتزاحم جميعها في خزانة الأدوية. ويتحول السؤال من «هل ستأتي الليلة؟» إلى «ماذا سنطهو على العشاء؟».

وبرغم مخاوفي، كانت تلك الخطوة التالية أمرًا لا مفر منه. قد تكون هذه المرة الأولى التي ألتقي فيها الوجوه المُجمّعة حول الطاولة، الوجوه التي يعرفها رايان منذ طفولته، لكن لا يخفى على أحد أنني أصبحت جزءًا لا يتجزأ من حياته. تلك اللمسات الدقيقة التي تتركها المرأة في منزل الرجل، كالوسائد المتناسقة على الأريكة أو عبير الياسمين الخفيف المُنبعث من المعطرّ الموضوع على رف الكتب، هي ما تلتقطه أعين النساء الأخريات فور دخولهنّ من الباب.

يتهادى صوتٌ عبر الطاولة المضاءة بالشموع، متفاديًا الزينة المُتمركزة في المنتصف التي وُصفت لي بأنها «رقيقة ولكنها تنبض بالثقة»، ليحوم أمامي في الهواء: «إيفي، إنه اسمٌ غير مألوف».

ألتفُّ نحو بيث، وأنا أفكر فيما إذا كنت سأجيب على سؤالها الذي لا يبدو سؤالًا حقيقيًا.

- إنه اختصار لاسم إيفيلين. سُميت تيمناً بجديتي.

تتبادل النساء نظراتٍ سريعة فيما بينهن، يتواصلن بصمتٍ عبر الطاولة، وكل إجابة أقدامها تُفحص بدقة وتُسجَل لمناقشة لاحقة.

تصرخ أليسون بحماس: «أوه، أحب ذلك! أنا أيضًا سُميت تيمناً بجديتي. من أين قلتِ أنكِ جئتِ؟».

لم أقل، وهنَّ يدركن ذلك تمامًا. سيظلن ينقرن وينقرن مثل طيورٍ جارحة ويستفسرن طوال الليل حتى يحصلن على الإجابات التي يبتغيْنها. أُجيب: «من بلدةٍ صغيرة في الألباما».

وقبل أن تتاح لهنَّ الفرصة لسؤال أي بلدة تحديدًا، يُبادر رايان بتغيير الموضوع.

- أليسون، رأيتِ جدتكِ الأسبوع الماضي في محل البقالة. كيف حالها؟ منحني رايان بضع لحظاتٍ ثمينة من الراحة بينما تسرد أليسون حال جدتها بعد وفاة جدها. لكنني أعلم أنني لن أظلَّ بعيدة عن دائرة الاهتمام لوقتٍ طويل.

لا أحتاج إلى معرفة هؤلاء الأشخاص معرفة شخصية لأفهم كل شيءٍ عنهم. بدأوا رحلتهم معًا منذ رياض الأطفال، وظلَّت دائرتهم الصغيرة متماسكة حتى تخرُّجهم من المدرسة الثانوية. فرُّوا من البلدة في مجموعاتٍ صغيرة، اثنين أو ثلاثة، للالتحاق ببضع جامعات تقع جميعها على مسافةٍ قريبة من هنا. انضموا إلى الجمعيات الأخويَّة والنسائيَّة مع مجموعات ذوي خلفياتٍ مشابهة، ليعودوا في النهاية إلى هذه البلدة الصغيرة في لوزيانا، حيث أُغلقت الدائرة من جديد. واستُبدلت أحرف الأخويَّة اليونانية⁽¹⁾ بعضوية رابطة السيدات، ومآدب العشاء، ولعب الجولف في عصر يوم السبت، ما دام ذلك لا يتعارض مع مُباريات كرة القدم التابعة إلى مؤتمر الجنوب الشرقي⁽²⁾.

(1) تُشير إلى الأحرف اليونانية المستخدمة كأسماء للأخويَّات والجمعيات النسائية في الجامعات الأمريكيَّة. (الترجمة)

(2) أحد أبرز المؤتمرات الرياضية في الولايات المتحدة، يتكوَّن من مجموعة من الجامعات الواقعة في جنوب شرق الولايات المتحدة، ويشتهر بفرق كرة القدم الأمريكية القوية التي تنافس على مستوى عالٍ. (الترجمة)

لا أعيب عليهم ما هم عليه؛ بل أحسدهم. أحسد تلك الطمأنينة التي يشعرون بها في مثل هذه المواقف، إذ يعرفون تمامًا ما ينتظرهم وما يُنتظر منهم. أحسدهم على نعمة معرفتهم بأن كل شخص في هذه البلدة قد شهد أسوأ لحظاتهم، ومع ذلك ما زالوا يقبلونهم كما هم.

تسأل سارا، ليعود التركيز عليّ مرة أخرى: «كيف التقيتما؟».

إنه سؤالٌ بريءٌ للغاية، لكنه رغم ذلك يثير قلقي.

تخبرني الابتسامة على وجه رايان أنه يدرك شعوري حيال هذا السؤال، وأنه سيتدخل مرةً أخرى للإجابة نيابةً عني، لكنني أشير له أن يترك الأمر لي. أمسح فمي بلطف بأحد المناديل البيضاء القماشية التي اشتريتها خصيصًا لهذه المناسبة، ثم أقول: «ساعدني في تغيير إطار سيارتي المثقوب».

أوشك رايان على أن يقدم لهم أكثر ممّا يستحقون، ولهذا أوقفته. لم أذكر لهم أن لقاءنا الأول كان في محطة شاحناتٍ على أطراف البلدة، حيث كنت أعمل في المطعم الصغير، أحرص على ألا تظل أي كأس فارغة. ولم أذكر لهم أيضًا أن الاختصارات التي يعرفونها، «إم بي إيه»⁽¹⁾ و«إم آر إس»⁽²⁾، لا تعني لي شيئًا، فالاختصار الوحيد الذي أعرفه هو «جي إي دي»⁽³⁾. هؤلاء الأشخاص، أصدقاؤه، قد لا ينوون ذلك، لكنهم سيحكمون عليّ بسبب أشياء بسيطة كهذه. وربما لن يدركوا حتى أنهم يفعلون ذلك.

أخبرت رايان أنني أخشى حكمهم عليّ عندما يكتشفون أن خلفيتي تختلف تمامًا عن خلفياتهم. طمأنني بأنه لا يهتم بما يظنون، لكنه في الحقيقة يهتم. حقيقة أنه رَضَخ ودعاهم جميعًا إلى هنا، وقضى الأسبوع كله يساعدي في إعداد قائمة الطعام المثالية، تكشف لي أكثر من همساته في الظلام المشيرة إلى أنه يحبُّ أنني مختلفة، مختلفة عن الفتيات اللواتي نشأَ معهنَّ.

(1) ماجستير في إدارة الأعمال. (الترجمة)

(2) دبلومة في أبحاث السوق. (الترجمة)

(3) اختبار أمريكي يُمكن الأفراد الذين لم يُكملوا تعليمهم الثانوي من الحصول على شهادة تُعادل شهادة الثانوية العامة. (الترجمة)

تلتفت أليسون إلى رايان وتقول: «حسنًا، أنت مفيدٌ حقًا في مثل هذه المواقف».

أراقب رايان. اختزلتُ كل تفاصيل لقائنا في جملةٍ واحدة، وحتى الآن، سمح لي بالنجاة بذلك.

يبتسم رايان ابتسامةً خفيفة، تخبرني أن هذه اللحظة تخصني، على الأقل في الوقت الراهن، وهو سعيدٌ بأن يترك لي زمام الأمور.

يُضيف كول، زوج أليسون، قائلاً: «لن أستغرب إذا كان قد ثَقَبَ إطار سيارتكِ عمدًا لمساعدتكِ في إصلاحه».

تعمُ الضحكات أرجاء الطاولة، وربما يتلقَّى كول ضربةً في ضلوعه من زوجته، إذ أمسك بجانبه مبتسمًا. يهزُّ رايان رأسه بينما لا يزال يراقبني.

أبتسم وأضحك، ليس بصوتٍ عالٍ ولا لفترةٍ طويلة، لأظهر أنني، بدوري، أجد الفكرة مسلية؛ فكرة أن رايان قد يتمادى إلى هذا الحد من أجل التعرف عليّ.

من الطريف أن يتخيل المرء أن شخصًا ما قد يُراقب آخر لفترةٍ كافية ليعرف أنه يتوقف دائمًا عند تلك المحطة للتزود بالوقود مساء كل خميس بعد يومه الطويل في مكتبه بشرق تكساس. وأنه يفضل دائمًا استخدام المضخَّات الموجودة في الجانب الغربي من المبنى، وأن عينيه تتوقفان طويلًا على أي امرأة تعبر طريقه، خصوصًا إذا ارتدت تنورةً قصيرة. وأن ذلك الشخص قد يلتقط أدقَّ التفاصيل، كقبعة البيسبول الخاصة بجامعة لوزيانا المُلقاة على المقعد الخلفي، أو تي شيرت الأخوية الظاهر من تحت قميصه الأبيض الأنيق، أو مُلصق النادي الريفي في الزاوية السفليَّة من زجاج سيارته الأمامي، ليضمن وجود موضوعاتٍ مُشتركة للحديث عند لقائهما. هذا الشخص سيضع مسمارًا برفقٍ في صمام العجلة بينما يتسرب الهواء ببطء مطلقًا صفيحًا خافتًا.

أعني، من الطريف أن نعتقد أن يبذل شخصٌ كل هذا الجهد فقط للتعرف على شخصٍ آخر.

أقول وأنا أغمر آخر طبقٍ في الحوض المليء بالماء والصابون: «نجحتُ بامتياز». يتقدم رايان بهدوءٍ خلفي، تلامس ذراعه خصري بلطف قبل أن تلتفًا حوله. يستقر ذقنه على كتفي، وتُلامس شفتيه تلك البقعة من رقبتني التي يعرف جيدًا كم أعشقها.

يهمس في أذني: «لقد أحبوك».

لكن الحقيقة أنهم لم يحبوني. على الأكثر، أشبعتُ موجة فضولهم الأولى. وأتخيل أنه قبل أن تغادر أول سيارة ممرّ منزل رايان، جلستُ كل امرأة في المقعد الأمامي، متنقلة بين الرسائل النصيّة الجماعيّة، تمحص كل تفصيلة من تفاصيل الليلة، وتبحث في مواقع التواصل الاجتماعي محاولة معرفة مَنْ أكون حقًا ومن أيّ بلدةٍ صغيرة في ألاباما جئتُ.

ثم يُضيف: «أرسل إليّ راي رسالة للتو. تريد سارا رقمك لتدعوك إلى الغداء الأسبوع المقبل».

كان ذلك أسرع ممّا توقعت. يبدو أن موجة الفضول الثانية تقترب بسرعة، مدفوعةً بحقيقة أن كل محاولات البحث لم تُثمر إلا عن أقل القليل من المعلومات، وهم يتوقون إلى معرفة المزيد من التفاصيل.

يقول لي: «أرسلتُ رقمك إليه. أمل أن يكون ذلك مقبولاً».

أستدير نحوه، وأضع يديّ على صدره، ثم أصعد بهما لتطوّقا وجهه.

- بالطبع، إنهم أصدقاؤك. وأتمنى أن يصبحوا أصدقائي أيضًا.

والآن سيأتي موعد الغداء، حيث ستكون الأسئلة أكثر صراحةً ومباشرةً،

لأن رايان لن يكون حاضرًا ليضمن أن تبقى الأمور تحت السيطرة.

أقفُ على أطراف أصابعي وأسحبه نحوي حتى تصبح شفّاتي على بُعد بضع بوصاتٍ من شفّتيه. كلانا يحب هذه اللحظة، لحظة الترقب، عندما تتداخل الأنفاس وتلتقي عينايا البنيتان عينيهِ الزرقاوين. نحن قريبان، لكن لسنا قريبين بما يكفي. تنزلق يديه تحت حافة قميصي، وتغوص أصابعه في بشرتي الناعمة عند خصري، بينما تتسلل يديّ إلى مؤخرة عنقه، وتتخلل أصابعي شعره الداكن.

شعرُ رايان أطول الآن ممّا كان عليه عندما التقينا لأول مرة، عندما بدأتُ أراقبه. أخبرته أنني أحبُّ شعره بهذا الطول، أحبُّ أن يكون لديّ شيءٌ لأتمسك به، فتوقّف عن قصّه. لاحظتُ أن أصدقاءه تفاجؤوا عندما رأوه، لأنني من خلال بحثي في وسائل التواصل الاجتماعي اكتشفت أن شعره لم يصل يوماً إلى ياقة قميصه. ثم نظروا إليّ، ورأيت في أعينهم التساؤلات. لمانا تغيّر رايان؟ وهل هذا بسبب هذه الفتاة؟

يخفض يديه أكثر، يمسك بفخذيّ تحت تنورتي القصيرة ويرفعني حتى أتمكن من لفّ ساقَيّ حوله.

يهمس، رغم أننا وحدنا في المنزل: «هل ستبقيين؟». يسألني هذا السؤال كلّ ليلة.

أجيب بصوتٍ خافت: «نعم». إجابتي دائماً هي نفسها.

تحوم شفتاه فوق شفتيّ، لكنه يترك مسافة ضئيلة بيننا. أفقد تركيزي على وجهه. رغم أنه يقتلني بهذا الانتظار، فإنني أنتظر اللحظة التي يزيل فيها تلك المسافة الصغيرة بيننا.

ثم يهمس: «لا أريد أن أسأل بعد الآن. أريد أن أعلم أنك ستكونين هنا كل ليلة لأن هذا بيتك أيضاً. هل ستفعلين ذلك؟ هل ستجعلين من هذا المنزل منزلك؟».

أغرس أصابعي أعمق في شعره وأحكم لفّ ساقَيّ حوله.

- ظننت أنك لن تطلب ذلك أبداً.

أشعر بابتسامته تلامس شفتيّ، ثم يبدأ في تقبيلي ويحملني عبر المطبخ، مروراً بالردهة، إلى غرفة النوم. غرفة نومنا.

الفصل الثاني

منذ أن طلب مني رايان الانتقال إلى العيش معه قبل خمسة أيام ووافقتُ، وهو يعيش في حالةٍ من الترقُّب الشديد لتحقيق ذلك. في صباح اليوم التالي لحفلة العشاء، استيقظتُ لأجده منشغلًا بالتحدُّث على الهاتف مع شركة نقل، يحدد موعدًا لخدماتهم في وقتٍ لاحق من ذلك اليوم، مستفيدًا من إمكانية إلغاء الحجز في اللحظة الأخيرة.

لكنني أقنعتُه بالانتظار، ولو لأسبوع واحد، ليتأكد من أن هذا ما يريده حقًا، وليس مجرد قرارٍ اتَّخذه تحت تأثير أمسية من النبيذ الفاخر وشرائح اللحم المطهَّوة بإتقان. كما أشرتُ إلى أنه قد استعجل الأمور بعض الشيء باتصاله بشركة النقل في حين أنني لم أبدأ حتى في حزم أمتعتي بعد.

- ستخبريني إذا كنتِ لا ترغبين حقًا في الانتقال إلى العيش معي، أليس كذلك؟

يقف رايان أمام مرآة الحمام، يربط ربطة عُنق مخططة باللونين الأزرق الداكن والرمادي، ويحاول أن يبدو كأنه يسأل عن أمرٍ بسيط وغير مُهم. لكنه يعبس، شيءٌ سبقَت لي رؤيته عندما لا يحصل على ما يريد.

أعتلي الطاولة برشاقة، وأنزلق على سطح الرخام الأبيض حتى أستقر أمامه مباشرةً. ينظر من فوق كتفيّ، كأنه يحاول متابعة نفسه في المرآة خلفي. إنه يتصرف بطفوليَّة نوعًا ما هذا الصباح.

حفظتُ ملامح وجهه عن ظهر قلب، ومع ذلك أتفحصها كلما سنحت لي الفرصة، أبحث عن أي تفصيَّة صغيرة ربما غفلت عنها. إنه جذابٌ بطريقةٍ

تقليدية. شعره الداكن كثيف يميل إلى التجعد عند الأطراف عندما يطول قليلاً، كما هو الآن. عيناه الزرقاوان لافتتان، ورغم أنه حلق ذقنه للتو، أعلم أنه بحلول المساء عندما أراه، سيغطي فكه ظلٌ خفيفٌ من الشعر، وسأشعر بالقشعريرة عندما يلامس عنقي.

أبعد يديه برفقٍ وأكمل ربط ربطة العنق له.

- بالطبع أريد الانتقال إلى العيش هنا. من أين جاءتكَ هذه الفكرة؟

ينظر رايان إلى ربطة العنق، يُعدلها رغم أنها مستقيمة بالفعل، لكنه بحاجة إلى فعل شيء يُشغل به نفسه. بالكاد لمسني هذا الصباح، ولم ينظر إليَّ حتى. نعم، إنه يتصرف كطفلٍ صغيرٍ تمامًا.

ولأنه لم يُجيبني، أضيف: «هل غيرتَ رأيك بشأن وجودي هنا؟ أعلم أنك تعتقد أنني أتجنّب حزم أمتعتي، لكنني خصصتُ اليوم بأكمله لإنجاز ذلك، وسيأتي مندوب من جمعية النيات الحسنة ليأخذ كل ما لم أعد بحاجة إليه. لكن يمكنني الاتصال بهم وإلغاء الموعد...».

أخيرًا، يوجه رايان عينيه ويديه نحوي.

- نعم، لا زلتُ أريدك هنا. لم أعلم أن هذا ما كنتِ تخططين لفعله اليوم. لكنكِ اخترتِ اليوم الوحيد الذي لا أستطيع فيه مساعدتك. لديّ الكثير من العمل اليوم.

اليوم هو الخميس، وسيكون على بُعد خمسين ميلًا من هنا في مكتبه بشرق تكساس، كما يفعل كل خميس.

- أعلم، التوقيت سيئ. لكنه اليوم الوحيد الذي استطعتُ الحصول فيه على إجازة، والوحيد الذي تمكّنتُ فيه الجمعية من إرسال شاحنة. ليس لديّ الكثير من الأشياء، لذا، حتى وأنا بمفردي، لن يستغرق الأمر وقتًا طويلاً.

يضغط ببديه على جانبيّ بينما يميل إلى الأمام ليقبلني على شفتيّ. زال عبوسه منذ وقتٍ طويل، فلففتُ قدميَّ حول ساقيه وجذبتُه نحوي.

يقول ضاحكًا: «ربما يمكنني أن أتصل وأدّعي المرض. فأنا المدير في النهاية، وقد حان الوقت لأستغلّ منصبِي».

أضحك بين قُبَلاته، ثم أقول: «احتِفِظ بيوم الإجازة المرضيِّ لشيءٍ أفضل من حزم الأمتعة. وبصراحة، لن يكون هناك الكثير لحزمه لأنني سأتخلّى عن مُعظم الأشياء. (أُلقي نظرةً سريعة عبر الباب نحو غرفة النوم) أغراضي ليست بجودة أغراضك، فلا داعي للاحتفاظ بها».

يرفع يديه إلى وجهي ويقول: «لقد أخبرتكِ، أي شيء ترغبين في إحضاره إلى هنا، سنجد له مكاناً. لا داعي للتخلُّص من أغراضكِ».

أعُضُّ شفّتي السفلى وأقول: «أعدك أنك لا تريد وضع أريكتي القديمة القبيحة في غرفة معيشتكِ».

- كيف لي أن أعرف إذا كنتُ لا أرغب في وضع أريكتكِ القديمة القبيحة في غرفة معيشتي، وأنّيتِ لم تُريني إياها قط؟
أحاول التملُّص من هذا الحوار المُلغَم بالنظر بعيداً، لكنه يمسك بذقني بلُطفٍ ويعيدني لأنظر إلى عينيهِ.
- لا داعي للشعور بالحرج.

أقول وأنا أبادله النظرات بثبات: «بلى، هناك داعٍ. (ثم أميل إليه وأقبّله بسرعة لأتفادى أي عبوس مُحتمل) سترأها يوم السبت عندما نلتقي عمال النقل هناك. حددتُ الموعد معهم أمس. وسنقضي يوم الأحد في إيجاد مكانٍ لأغراضي هنا. احتِفِظ بيوم الإجازة المرضيِّ ليوم الإثنين، لأننا بحلول ذلك الوقت سنكون مرهقين تماماً، وأنا متأكدة أننا سنحتاج إلى يوم نقضيه بملابس النوم... وملابس النوم في ذلك اليوم ستكون أمراً اختياريّاً».

يميل لاصقاً جبينه على جبيني. ابتسامته مُعديّة.

- إذًا، فلنعتبره موعداً غرامياً.

بعد قُبَلَةٍ سريعة أخيرة، يبتعد عني ويخرج من الحَمَّام بخطواتٍ واثقة.
بعد عشرين دقيقة من مغادرة سيارة رايان «التاهو» للممر، أسلكُ الطريق نفسه في سيارتي «الفوررنر» التي يبلغ عمرها عشر سنوات. ليك فوربينج هي بلدة متوسطة الحجم تقع في شمال لوزيانا، مشهورة بأراضيها الزراعية الخصبة وبحقول الغاز الطبيعيّ الغنية. يتدفّق المال في هذه المنطقة، لكنه مالٌ هادئٌ لا يظهر على السطح. يستغرق الوصول من منزل رايان إلى شُقق

«ليك فيو» ما يقرب من خمس عشرة دقيقة، ومن ملاحظاتي يبدو أنها ليست قريبةً على الإطلاق من البحيرة التي سُميت البلدة تيمناً بها. أوقف سيارتي في المكان المُخصص لشقة 203، إلى جوار شاحنة جمعية النيّات الحسنة التي لا يزال محركها دائراً.

أقول للسائق ونحن نترجل من مركباتنا: «جئت مبكرًا، يا بات». يومئ برأسه قائلاً: «انتهت جولتنا الأولى أسرع ممّا توقعت. أي شقة هي؟».

يتبعني بات صعودًا على الدّرج، بينما يفتح مُساعده الجزء الخلفي من الشاحنة الكبيرة. أتوقف أمام الباب، وأخرج مفتاحًا من حقيبتني. - هذه شقتي.

يومئ مرة أخرى ويعود أدراجَه نحو الدّرج. أحاول فتح القفل مرتين، حيث قلة الاستخدام جعلته عنيّدًا. في أثناء إدارتي للمقبض، أسمع صوت ارتطام عجلات العربة المعدنية وهي ترتد على الدّرج في أثناء صعودها. أبقى الباب مفتوحًا بينما يكافح بات ومُساعده لإدخال العربة عبر الإطار الضيق.

يسألني: «أين تريدان وضعها؟».

ألقي نظرةً على الشقة الفارغة، ثم أقول: «ضعها في وسط الغرفة». أنظر إلى كومة الصناديق الأولى، يمتلئ صندوقٌ بالأغراض التي قضيت الأيام الأربعة الماضية في اختيارها بعناية. أشياء خزّنها بات لي في تلك الشاحنة حتى أكون جاهزة لجلبها إلى هنا. أشياء سأنقلها إلى منزل رايان يوم السبت. أشياء سأدّعي أنني أملكها منذ سنوات، وليس منذ بضعة أيام فقط.

تُنقل جميع الصناديق للطابق العلوي على مرحلتين. أخرج من جيبي الخلفي خمسة أوراق نقدية من فئة العشرين دولارًا وأسلمها لبات. فهذه ليست خدمةً تُقدمها الجمعية، لكن مقابل بعض النقود، سرّ كثيرًا بمساعدتي. يكاد الرجلان أن يغادرا عندما أستدير وأسأله: «بالمناسبة، هل أحضرت الصناديق الإضافية؟».

يَهْزُ بات كتفيه وينظر إلى مُساعده، الذي يقول: «نعم، الصناديق في الجزء الخلفي من الشاحنة. هل ترغبين في إحضارها إلى هنا؟».

إذا وجد أيُّ منهما هذا الطلب غريبًا، فلم يظهر عليه ذلك.

- لا، يمكنكما تركها على الرصيف أمام سيارتي.

أتبعهما إلى الخارج. وفي أثناء إنزالهما لكومة الكرتون المُسطح، أتوجه إلى الجزء الخلفي من سيارتي وأُخرج حقيبة صغيرة سوداء من صندوق السيارة. أشكرهما مرةً أخرى وهما يستقلان الشاحنة. لم يتبقَّ سوى بضعة أمور تحتاج إلى ترتيب.

تصميم الشقة بسيطٌ للغاية. يُفضي الباب الأمامي إلى غرفة معيشة صغيرة، يتصل بها مطبخٌ على الجدار الخلفي. ردهة ضيقة تقود إلى الحمام وغرفة النوم. سجادة بيج فوق أرضية من اللينوليوم البيج، تحيطها جدران باللون نفسه.

في منطقة المطبخ، أفتح الحقيبة السوداء وأُخرج منها أربع قوائم طعام من مطاعم قريبة، وثلاث صور لي ولرايان طبعتهما من الكُشك في صيدلية «سي في إس»، إلى جانب سبعة مغناطيسات لتثبيت هذه الأشياء على الثلاجة. بعد ذلك، أتناول مجموعةً من التوابل وأسكب نصف محتواها في الحوض، ثم أرتب ما تبقى منها في باب الثلاجة.

أنتقل إلى الحمام ومعِي الحقيبة السوداء، وأُخرج منها زجاجات الشامبو والبلسم وأصبُّ نصف كلِّ منها في البالوعة كما فعلتُ مع التوابل، قبل أن أضع الزجاجات على حافة حوض الاستحمام. أفتح صابونة «ليفير 2000»، وأضعها فوق البالوعة الحوض وأشغل الماء، وأديرها كل بضعة دقائق حتى اختفى الشعار وتآكلت الحواف، ثم أضعها في المكان المُخصص لها على جدار الدش.

أخيرًا، أتناول معجون الأسنان. أضغط عليه من الأسفل، فأُخرج جزءًا منه وأترك بضع قطرات على حافة الحوض، تمامًا كما أفعل في منزل رايان، رغم أنني أعلم أنه سينزعج من ذلك. أترك الغطاء مفتوحًا وأسقط الأنبوب على الطاولة قرب الصنبور.

آخر محطة هي غرفة النوم. أُخرج من الحقيبة مجموعةً متنوعة من العلاقات البلاستيكية والمعدنية، وهي آخر الأشياء التي تبقت فيها، وأوزعها على القضيب المعدني الفارغ. ثم أعود إلى غرفة المعيشة الصغيرة وأبعثر الكومة المُرْتَبَة من الصناديق حتى أغطي الأرضية بها. أختار صندوقين، أحدهما مليء بالكتب والآخر يحتوي على تشكيلةٍ من زجاجات العطر القديمة، وأفتحهما. كان من السهل تفريغ صندوق الكتب، لذلك لم يستغرق الأمر سوى دقيقة أو ما يقرب من ذلك قبل أن أرتب عدّة أكوامٍ صغيرة بجانب الصندوق، كأَنني لم أنتهِ بعد من حزمها.

تستغرق زجاجات العطر بعض الوقت الإضافي. أنقل الصندوق إلى المنضدة الصغيرة في المطبخ وأفكُ تغليف الأربع زجاجات العلوية، وأضعها على سطح الفورميكا. تضرب أشعة الضوء القادمة من النافذة الزجاجات بزوايا مثاليّة، فيتحوّل الزجاج الرقيق والمُلون إلى منشور ناثرًا أشعةً زرقاء، بنفسجية، وردية، وخضراء حول الغرفة الباهتة.

من بين كل مشترياتي هذا الأسبوع، كانت زجاجات العطر الأصعب في العثور عليها، والمفارقة أنها كانت الأكثر متعة. إنها مجرد صدفةٍ أنني حتى احتجت إلى البحث عنها، لكن بعدما صادفت منشورًا على فيسبوك وُسم فيه رايان، أدركت أن هذا نوعٌ من الأشياء التي أحتاج إلى اقتنائها؛ لقد أهدى والدته زجاجةً كهذه في عيد ميلادها العام الماضي. كانت قطعة مصنوعة بأسلوب آرت ديكو⁽¹⁾، عبارة عن كرة من الزجاج المحفور، ملفوفة بالفضّة ومُزينة بمربعاتٍ صغيرة عاكسة، تشبه تمامًا الهدايا التي أهداها جاي جاتسبي لذيذي. كانت جميلة، وابتسامه والدته أكّدت إعجابها بها.

لو كنتُ من النوع الذي يجمع التحف، لاخترت بالتأكيد هذه الزجاجات.

(1) نمطٌ فني وتصميمي ظهر في أوائل القرن العشرين. يتميز باستخدامه للأشكال الهندسيّة البسيطة، والزخارف الجريئة، والتفاصيل المزخرفة. يتميز أيضًا باستخدام مواد فاخرة مثل المعادن الثمينة، الزجاج، والعناصر التي تُعبّر عن الفخامة والحدّاة. (المترجمة)

ألقي نظرةً أخيرةً على الغرفة. يبدو كل شيءٍ تمامًا كما خططت له. حقيبتني جاهزة، باستثناء بعض الأشياء الصغيرة التي لم أتمكن من ترتيبها بعد، وبضع أمتعةٍ متناثرةٍ تنتظر أن تُوضع في مكانها.

ينادي صوتٌ من عند الباب: «دق، دق»، فأستدير بسرعة. إنها المرأة التي تعمل في مكتب المُجمع السكني، المرأة التي استأجرتُ منها هذه الشقة بعد ظهر يوم الإثنين.

تخطو إلى داخل الغرفة وتنظر حولها إلى الفوضى المنتشرة على الأرض.
- قلقت عندما لم أرَ أحدًا هنا منذ يوم الإثنين.

أدخل يديَّ في جيبَي بنطالي الأماميين وأتكئ على الحائط بجوار طاولة المطبخ، واضعةً إحدى قدميَّ على الأخرى. حركاتي بطيئة ولكن مدروسة. يقلقني وجودها هنا، تتفقدني، وأخشى أن تشعر بالحاجة نفسها إلى تفقدي يوم السبت عندما يأتي رايان لنقل أغراضي. اخترت مكانًا لا يهتم فيه الجيران بالتعرُّف على بعضهم، والإيجار يشمل الخدمات لأن الوحدات يمكن تأجيرها أسبوعيًا. وأسبوعٌ واحد هو كل ما أحتاج إليه.

لا بدَّ أن ذلك أثار فضولها عندما استأجرتُ إحدى الوحدات القليلة غير المفروشة. فعادةً، إذا تكبَّد شخصٌ عناء نقل الأثاث إلى شقة، فهذا يعني أنه يخطط للبقاء أطول من سبعة أيام. لكنني لم أرغب أن يظنَّ رايان أن حياتي في هذه المدينة مؤقتة لدرجة أنني حتى لا أملك أريكتي الخاصة، لذا لم تكن الوحدة المفروشة خيارًا مناسبًا. وها نحن الآن في اليوم الرابع، ولا يوجد ما يشير إلى وجودي هنا سوى ثمانية صناديق مُوزعة بحنكة في أرجاء الغرفة. تُمرر يدها على الجزء العلوي من أقرب صندوق، وتلقي بنظراتها نحو زجاجات العطر الموضوعة على الطاولة. أستطيع تمييز شخصية كهذه. مكياجها كثيف، ملابسها ضيقة، وربما بدت جميلةً في زمنٍ مضى، لكن السنوات لم تكن رحيمة بها. عيناها تلتقطان كل تفصيلة تحدث من حولها. هذا المكان من النوع الذي يُستأجر لأغراضٍ مشبوهة، وهي تسيطر على كل ما يجري فيه، تبحث دائمًا عن أي موقفٍ يمكنها استغلاله لصالحها. والآن، عبرت موقف السيارات ودخلت شقتي لأنها تشعر أن هناك شيئًا يجري هنا، لكنها لم تستطع بعد معرفة كيف يمكنها استغلاله ضدي.

- أردت فقط التأكد من أنك تستقرين بشكل جيد.

أجيبها: «أجل، أستقر جيدًا. (ثم أُلقي نظرة على شارة الاسم المُثبتة على بلوزتها ذات القصّة المنخفضة) شونا، اهتمامك غير ضروري، وغير مُرحب به».

يتصلّب ظهرها. تتناقض نبرتي الحادّة مع وقفتي المُسترخية. دخلت هنا وهي واثقة من أنها تسيطر على الموقف، معتقدة أنها تفهم الوضع إلى حدّ ما، لكنني قلبت الطاولة عليها.

تسأل بنبرةٍ تفتقر لثقتها السابقة: «ألا يزال بإمكانني الافتراض بأن هذه الوحدة ستكون فارغةً وأن المفتاح سيُعاد بحلول الخامسة مساءً يوم الأحد؟». أجيبها بابتسامةٍ خفيفة، وأميل برأسي نحو الباب: «كما أفترض أنه لن تكون هناك زياراتٌ غير متوقعةٍ أخرى».

تُطقطق بلسانها قبل أن تستدير لتغادر. أبذل كل جهدي لئلا أُغلق الباب بقوةٍ خلفها. لكنني لم أنتهِ بعد هنا، ولا يزال هناك المزيد من الأمور التي يجب القيام بها قبل أن يعبر رايان حدود ولاية لوزيانا في الساعة الخامسة والنصف بعد ظهر اليوم.

الفصل الثالث

تُوفِّي جدُّ رايان قبل ثلاث سنوات، بعد عامٍ واحدٍ من رحيل جدته، تاركًا لرايان منزله بكل ما فيه؛ من قطع الأثاث، والأطباق في الخزائن، إلى الصور المعلقة على الجدران.

وأيضًا مبلغًا كبيرًا من المال.

كما يروي رايان، في أحد الأيام زار جده للاطمئنان عليه، ليجده قد رحل بسلامٍ في أثناء نومه. وبعد أسبوع، انتقل رايان إلى العيش في المنزل. لم يحمل معه سوى ملابسه، وأدواته الشخصية، ومرتبّة جديدة لغرفة النوم.

ربما لفسّح رايان المجال لأريكةٍ قديمةٍ مُستعملة... لو كانت لديّ واحدة. تصطفُ على جانبي شارعهِ أشجار البلوط العريقة، بأغصانها التي تُظلّل كل شبرٍ من الرصيف. الجيران هنا أكبر سنًا وأكثر استقرارًا، ويحبون أن يحكوا لي كيف شاهدوا «ذلك الفتى اللطيف» يكبر أمام أعينهم منذ أن كان رضيعًا. هذا نوعٌ من المنازل الذي تعيش فيه عندما تكون قد بلغت قمة النجاح. عندما يكون لديك أطفال، ويبدأ ذلك الخوف المُلح من عدم القدرة على دفع الفواتير في الانحسار، فلا تعود له القدرة على خنقك.

لكن المنزل كبير جدًا بالنسبة لرايان. يتألف من طابقين، وله شُرْفَة أمامية واسعة وحديقة خلفية كبيرة. طُلّي باللون الأبيض مع مصاريع خضراء داكنة، وتحيط به أحواض زهورٍ مُرتبة بعناية، وطريقٌ مرصوفٌ من الطوب يقود إلى الباب الأمامي. يستغرق الأمر عدّة دقائق لتفقد كل غرفة إذا كنت بحاجة إلى

ذلك. المنزل كبيرٌ لدرجة أن شخصًا ما يمكن أن يدخل من باب المرأب دون أن تسمعه وأنت في غرفة النوم الرئيسية.

أرجع سيارتي إلى الممر لأقلل المسافة التي سيتعين عليّ حمل الصناديق عبرها. ولم ألاحظ إلا بعد أن فتحت الباب الخلفي للسيارة أن جيران رايان على يسارنا، بن وماجي روجرز، يراقبانني من شرفتهما الأمامية. تمامًا في الوقت المُحدد. تتزامن نزھتهما الصباحية مع خروجنا إلى العمل، وتكون جلسة احتسائھما للكوكيتيلات المسائية على الشرفة قد بدأت بالفعل عندما نعود إلى المنزل في نهاية اليوم. هذا هو الطابع العام لهذا الشارع، حيث إن مُعظم السكان هنا إما متقاعدون وإما على أعتاب التقاعد.

تراقبني السيدة روجرز بعناية وأنا أرفع الصندوق الأول من الجُزء الخلفي لسيارتي الفوررنر. سيُذاع هذا الدليل الواضح على أنني أصبحت أكثر من مجرد ضيفة عابرة بين سكان الشارع غدًا في أثناء جولتها الصباحية المعتادة. تأخذ عائلة روجرز مفهوم مراقبة الحي إلى مستوى جديد تمامًا.

ظلاً يراقباني بصمتٍ وأنا أفرغ الصناديق واحدًا تلو الآخر. وفي اللحظة التي أُمسك فيها بالصندوق الأخير، يصل رايان إلى الممر. يهرع نحوي بمجرد ترجُّله من سيارته ليأخذ الصندوق مني.

يقول وهو يمد يده بلُطف: «دعيني أساعدك في ذلك».

أقف على أطراف أصابعي لأقبِّله، والصندوق بيننا يحول دون أن نلمس بعضنا إلا بشفاھنا.

قبل أن ندلف إلى الداخل، يُحيي رايان عائلة روجرز: «مساء الخير!». تنهض السيدة روجرز من مقعدها وتسير إلى حافة الشرفة، مقتربةً بقدر ما تستطيع دون أن تسقط بين شجيرات الأزاليا. تصيح: «يبدو أنكما مشغولان!».

بسبب ذراعيه المشغولتين بالصناديق، يكتفي بالإيماء نحوي قائلاً: «تنتقل إيفي إلى العيش هنا».

تُشعل ابتسامته العريضة في داخلي شعورًا جميلًا، ولا أتمكن من منع ابتسامةٍ واسعة من أن ترتسم على وجهي.

تُلقي السيدة روجرز نظرةً ذات مغزى على زوجها، كأنها تقول «ألم أخبرك؟» بعدما تأكدت شكوكها. ثم تقول: «أوه، يبدو أنكم، أيها الشباب، تتخطون بعض الخطوات المهمة هذه الأيام». مضيفةً ضحكة مكتومة لتخفف من حدة التعليق.

لكن رايان لم يتأثر.

- ربما خطواتنا تأتي بترتيبٍ مختلف، لكننا سنتجاوزها كلها.
تنفلتُ مني شهقة خافتة قبل أن أتمكن من كبحها، وأجبر نفسي على ألا أعير اهتمامًا لهذا المزاح المتبادل بينهما.

ينضم السيد روجرز إلى زوجته عند حافة الشرفة قائلاً: «حسنًا، يجب أن نرحب بإيفي في الحيِّ بشكلٍ لائق! انضما إلينا قريبًا لاحتساء الكوكتيلات بعد الظهر». إذا كان السيد روجرز منزعًا من هذا التطور الأخير، فقد أخفى ذلك جيدًا.

يرد رايان نيابةً عنّا: «سيكون ذلك رائعًا. ربما الأسبوع المقبل؟». ابتسم السيد روجرز ابتسامةً صادقةً مجيبًا: «اشتريت للتو جهازًا جديدًا لتدخين الويسكي⁽¹⁾، ولا أطيق الانتظار لاستخدامه».

يضحك رايان: «مضى وقتٌ طويل منذ أن تذوقتُ أحد مشروباتك الأولد فاشند⁽²⁾. لا أطيق الانتظار لتجربته». ثم يدفعني بلطف بكتفه ليحثني على التوجُّه نحو المنزل.

ندلف أخيرًا، ويضع رايان الصندوق مع الآخرين في الممر الخلفي الواسع. أقول: «أحضرتُ ملابسِي وأحذيتي إلى هنا. كيف كان يومك؟». يجيب وهو يهزُّ كتفيه بتراخٍ: «كان طويلًا. كنتُ أفضل أن أقضيه معك في حزم الأمتعة».

(1) «Whisky smoker» هو جهاز يُستخدم لإضافة نكهة دخانية إلى الويسكي. يتم تشغيله بواسطة خشب معين يُحرق لإنتاج دخان يتم توجيهه إلى الويسكي أو الكوكتيلات لإضفاء طعم مميز وغني بنكهة الدخان. يعد هذا الجهاز شائعًا في تحضير مشروبات الكوكتيل الفاخرة. (المترجمة)

(2) نوعٌ من الكوكتيلات الكلاسيكية المصنوعة من الويسكي، السكر، الماء، والمر، ويُعد من أشهر الكوكتيلات التقليدية. (المترجمة)

دائمًا ما يكون رايان متحفظًا بشأن ما يفعله في أيام الخميس. ورغم أنه مازحني هذا الصباح بشأن التغيب عن العمل اليوم، فإننا نعلم أنه لن يفعل ذلك أبدًا.

ما يفعله أيام الخميس مُهم.

ينظر رايان إلى الصناديق. الصناديق الفارغة التي تركها العمال على الرصيف صباح اليوم ممتلئة الآن بالأشياء الوحيدة التي أملكها حقًا وسأحتفظ بها هنا. يمدُّ يده ليلتقط خصلة شعرٍ سقطت من كعكتي الفوضويّة ويلفُّها حول إصبعه. ثم يسألني: «هل أنجزت الكثير في شقتك اليوم؟».

أبتسم له ابتسامة عريضة وأقول: «نعم، أنجزت الكثير! أنا جاهزة لشاحنة النقل يوم السبت، لكن بصراحة، ربما يمكننا الاكتفاء بسيارتينا فقط. في النهاية، تبرعتُ بكل قطعة أثاث. لم يتبقَّ سوى ثمانية أو عشرة صناديق فقط». أقول ذلك وأنا أركل الصندوق الأقرب لي برفق.

يظهر على وجهه تعبيرٌ مختلط من الحيرة والحزن الطفيف. نطق اسمي بلُطف: «إيفي... هل تبرعتِ بكل شيء؟».

أمرر إبهامي برفقٍ على جبهته، ماحيةً التجاعيد التي ظهرت هناك.

- أنت تعيش في منزلٍ حيث لكل قطعة أثاث معنى خاص بالنسبة لك، وذكرى. نشأت بين هذه الأشياء، فأصبحت جزءًا منك. أما بالنسبة لأغراضي، فلم تحمل القيمة نفسها. كانت مُجرد أمتعة ضرورية، مكانٌ للجلوس حتى لا أجلس على الأرض، لم تكن أكثر من ذلك. يسهل عليّ التبرع بها.

رغم أن الأثاث الذي أتحدث عنه ربما لم أتبرع به بالفعل اليوم، فإن المشاعر التي أصفها صادقةً تمامًا.

يُخرج رايان هاتفه من جيب بنطاله الأمامي ويُجري مكالمة. أراقبه، متسائلةً عمّا يخطط له.

- مرحبًا، أنا رايان سَمَنر. حجزت إيفي بورتر خدماتكم ليوم السبت، لكنني بحاجة إلى إلغاء ذلك.

بيده الفارغة، يسحبني نحوه ويضمني إلى جانبه. يستمع لما يقولونه، ثم يشكرهم قبل أن يُنهي المكالمة.

يقول لي بابتسامة: «لنذهب ونُحضر الباقي. الآن. سأقوم بكل العمل لأنني متأكد أنك مرهقة. أعطيني خمس دقائق لأغير ملابسِي».

أفتح فمي للاعتراض، لكنه يُسكتني بوضع شفتيه على شفتي، فتتلاشى كلماتي. يقبلني طويلاً بما يكفي لنفكر في تغيير خططنا الفورية، لكنه يبتعد عني فجأة وينطلق خارج الغرفة.

يصيح رايان وهو يختفي في أعماق المنزل: «خمس دقائق!». أتكئ على الحائط وأتفقد ساعتِي. تشير إلى السادسة والنصف. مكتب شق «ليك فيو» مُغلق بإحكام، والموظفة التي تعمل هناك غادرت بالفعل.

يتبعني رايان بسيارته التاهو إلى الشقة. أشعر بالارتياح لعدم وجودي بجانبه في السيارة عندما يكتشف وجهتنا، لكن على الأقل سيفهم أنني كنت مُخرجة من المكان الذي أعيش فيه.

يُوقف سيارته إلى جوارِي ويخرج منها بسرعة البرق. قبل أن أتمكن من فتح باب سيارتي، يكون قد وصل إلى جانبي.

- وجب عليك إخباري أن هذا هو المكان الذي تعيشين فيه.

يقول ذلك وهو يمسحُ بنظره موقف السيارات، كأنه يُحاول تحديد مصدر الخطر الذي يعلم بوجوده هنا.

أُمسك بحلقات حزامه وأجذبه نحوي: «لهذا السبب تحديداً لم أخبرك».

أضع يدي اليمنى في يده اليسرى، فيقبض عليها بإحكام بينما أسحبه نحو الدَّرَج، ملاحظاً كل مصباح مكسور في أثناء صعودنا.

يُفتح القفل هذه المرة بسهولة أكبر، وحالما يفتح الباب، يدخلنا رايان بسرعة ويغلق الباب خلفنا. يبدأ في التجول داخل الشقة بخطوات متوترة واضعاً يديه على وركيه. أكره أن أعترف بأنني أحب تجوُّله الهادئ الحذر وهو يذرع الغرفة، وغريزة الحماية التي تتدفق من خلاله بدت غريبة عليّ، لكنها مُرحب بها.

أجلس إلى جوار كومة الكتب وأبدأ في وضعها في الصندوق الفارغ الذي تركته قريباً.

- نسيت أن لدي بعض الأشياء التي لم أقم بتعبئتها بعد.

يتجه رايان نحو الطاولة ويلتقط أقرب زُجاجة عطر. يمسك بها، ويتفحصها من أعلى إلى أسفل، ثم يفعل الشيء نفسه مع الزجاجات الثلاث الأخرى المصطفة بجانبها. يسألني: «هل تجمعين هذه الزجاجات؟».

أبتسم له بفخر وأقول: «نعم، أجمعها!». وأوشك على إخباره بأنني أجمعها لأنها تذكرني بجديتي، لكن الكذبة تموت على طرف لساني. بدلاً من ذلك، أقول: «رأيت صورة لإحداها ولم أدرك كم يمكن أن تكون جميلة... ومختلفة. وتأثرتُ بها. بدأت في جمعها منذ ذلك الحين. الأرجوانية هي المفضلة لدي». دائماً ما يكون من الأفضل أن تكون الكذبة قريبة من الحقيقة قدر الإمكان، وأن تتجنب الإسهاب، لكن في حالتي، الأمر أكبر من ذلك؛ لا أريد أن أكذب عليه إذا لم يكن هناك داعٍ.

لا يذكر رايان أن والدته تجمع زجاجات العطر أيضاً، ولا يشير إلى أن لدينا شيئاً مشتركاً، ولن أحل شعوري تجاه عدم إخباره لي بأن هذا شيء نتقاسمه. يعيد رايان الزجاجاة إلى مكانها ثم يبدأ في فتح الأدراج في المطبخ، قبل أن يتجه بنظره نحو الثلاجة. يلتقط إحدى صورنا ويتمعن فيها. إنها صورة سيلفي التقطناها بعد وقت قصير من لقائنا. كان الجو بارداً في الخارج، وكنا ملتفين بالملابس الثقيلة أمام حفرة النار الصغيرة في فناء منزله الخلفي. كنت قد جلبت مكونات لإعداد حلوى السمورز، وكانت هناك بقايا من المارشميلو والشوكولاتة على وجهينا. في الصورة، أجلس في حضنه ونحن نبتسم ابتسامة عريضة، وخذينا متلاصقين.

يقول بابتسامة: «كانت ليلة رائعة».

أجيب بابتسامة: «نعم، كانت كذلك». كانت تلك الليلة الأولى التي قضيتها في منزله، وأول مرة أنام في فراشه. لا يزال يحرق إلى الصورة، ولا يسعني إلا أن أتساءل عما يدور في ذهنه وهو يسترجع تلك الليلة.

أخيراً، ينزع جميع الصور وقوائم الطعام من على الثلاجة ويكدسها على الطاولة قبل أن يفتح باب الثلاجة. ينادي: «لا يزال هناك بعض الأشياء هنا».

- أوه، يا إلهي! ظننتُ أنني أفرغتها. هل يمكنكَ فقط رميها في سلة القمامة؟

أسمعه يجمع العُلب، ثم يفتح الخزانة أسفل الحوض حيث توجد سلة القمامة. يُفرغ العلب فوق بعض علب الطعام الجاهز وغيرها من الأشياء التي عثرتُ عليها في أحد صناديق القمامة بالخارج. يسحب رايان السلة ويقول: «هل هناك شيء آخر يجب التخلص منه قبل أن آخذها إلى مكبّ النفايات؟». أقطب حاجبي وأنا أفكر في الأمر: «نعم، قد يكون هناك بعض الأشياء في الحَمَّام أحتاج إلى التخلص منها».

يتبعني رايان إلى الحَمَّام. ألتقط الصابونة المهترئة من الدش وألقي بها في السلة. ثم أتناول زجاجتي الشامبو والبلسم، أختبر وزنهما كأنني أحاول أن أقرر إذا كان ما بهما يستحق الاحتفاظ به، ثم ألقي بهما أيضًا. يبدأ رايان في البحث داخل الأدراج والخزائن، ويتفحص كل زاوية. يبدو أكثر دقة ممَّا كنت أتوقع.

عندما نعود إلى الغرفة الرئيسية، يُلقي رايان نظرة داخل بعض الصناديق التي ملأتها في وقتٍ سابق من اليوم. لكن الأمر يتجاوز مجرد نظرة سريعة؛ يبدو كأنه يبحث عن شيءٍ مُعين.

بعد أن قلب محتويات ثلاثة صناديق، أسأله: «هل تبحث عن شيءٍ ما؟». يرفع رأسه وتلتقي نظراتي عينيه. ترتسم ابتسامة صغيرة على وجهه، فتظهر غمازاته.

- أحاول فقط أن أتعرف على كل شيءٍ يخصك. هذه كلمات تحبُّ أي فتاة سماعها، لكنها تبدو ثقيلة. مُثقلة بالمعاني. وأتساءل إذا كان يختار كلماته بعناية كما أفعل أنا.

الفصل الرابع

هناك الكثير من الأسباب التي منعني من المرور هنا خلال الأسبوع الماضي -الانشغال بالتسوق، حزم الأغراض، والنقل- لكنني انتظرت قدر ما أستطيع. تبقت خمس عشرة دقيقة فقط على موعد الإغلاق الرسمي، ورغم أنني أستطيع الدخول بعد ساعات العمل من خلال تسجيل الدخول، فإنني لا أرغب في ترك أي أثر لذلك.

أرتدي مثل كل واحدة من ثلاث نساء أمرُ بهنّ؛ بنطالاً ضيقاً أسود، وتي شيرت، وحذاء رياضيّاً. شعري الأسود الطويل مرفوع إلى كعكة منخفضة تستقرُّ تحت الحزام الخلفي لقبعة البيسبول. أميل برأسي إلى الأسفل وإلى اليسار، متجنباً الكاميرا في زاوية الغرفة، حتى لا تلتقط صورة واضحة لي. يقف عدّة أشخاص في الصف مُنتظرين الموظف التالي لمساعدتهم، من بينهم امرأة تكافح للحفاظ على توازن كومة من الصناديق الصغيرة، تتنقل بها من جانبٍ إلى آخر، قبل أن تنفلت منها وتتناثر محتوياتها على الأرض. ينحني الشخصان الواقفان أمامها لمساعدتها في جمع أغراضها بينما يحاولان الحفاظ على أغراضهم الخاصة. أتجنب الفوضى وأتجه إلى الجزء الخلفي من المتجر، حيث تصطفُ صناديق البريد على الجدار.

الزاوية السفلى اليسرى. الصندوق رقم 1428.

تُفتح هذه الصناديق برمز سري بدلاً من المفتاح، لذا أستخدم مفصل إصبعي السبابة لإدخال الرمز المكوّن من ستة أرقام. ينفتح القفل، لكن الباب لا ينفتح بالكامل. لا أزال أعتمد على مفاصل يدي اليمنى، فأدفع الباب ليُفتح.

أستخرج الظرف الصغير الذي خبأته في حزام بنطالي الضيق، وأتردد
لثوان قليلة قبل أن أضعه في المساحة الفارغة.
أغلق الباب بقوةٍ وأعيد إدخال الرمز لقفله مرةً أخرى، ثم أغادر المتجر
بالسرعة نفسها التي دخلتُ بها.

الفصل الخامس

تأخرتُ على موعد الغداء مع الفتيات. تبادلنا الرسائل مع سارا خلال الأيام الماضية بحثًا عن يومٍ يُناسب الجميع، ورغم أن إضافتي إلى محادثتهم الجماعية كانت ستختصر الكثير من الوقت، فإن الحصول على تلك الدعوة يتطلب أكثر من مجرد حضور حفل عشاءٍ واحد.

اختارت الفتيات اللقاء في غرفة شايٍ صغيرة تقع في الجزء الخلفي من متجر للهدايا، يبيع كل شيءٍ من المجوهرات اليدوية إلى ملابس الأطفال المطرزة ومنتجات العناية بالبشرة الفاخرة. يعرفن كل شخصٍ يجلس إلى أي طاولة هناك، وكذلك كل مُتسوق يمرُّون به في طريقهم إلى منطقة الطعام.

ورغم أنني قد أكون مستعدةً للخضوع لاستجواب من النساء اللواتي يعتبرهنَّ رايان صديقات، فإنني لست مستعدةً بعد لكشف نفسي أمام أي شخصٍ آخر. ليس الآن. ليس قبل أن أكون متأكدةً من أنني أعرف عنهنَّ أكثر مما قد يعرفن عني يومًا.

لذا، بدلًا من ذلك، اخترنا أن نلتقي في مطعمٍ صغير ليس بعيدًا عن مكان عملي. لم يمض سوى أسبوعٍ تقريبًا على لقائي برايان حتى بدأ يحثني على البحث عن وظيفةٍ جديدة، وظيفة لا تجعله يتردد عندما يسأله أصدقاؤه عن مكان عملي. أصبحتُ مُساعدةً لمنسقة الفعاليات في معرضٍ صغير بوسط المدينة. العمل سهل، وبما أن السيد ووكر، مدير المعرض، هو أحد عملاء رايان، فقد تجاوزنا مرحلة تقديم ثلاث توصيات وتدوين الخبرات الوظيفية السابقة.

تجلس بيث، أليسون، وسارا بالفعل مع امرأةٍ أخرى لم تكن في حفل العشاء، لكنني أتعرف عليها من الصور بصفتها فردًا من مجموعتهنَّ المقربة. أراقبهنَّ من خلال النافذة في أثناء اقترابي على الرصيف. المكان يشبه مطعمًا بسيطًا، حيث يرتدي معظم الزبائن إما بذلات رسمية وإما الزي الرسمي المصنوع من البولستر الذي يفرض على جميع موظفي المحكمة ارتداؤه. تبدو النساء غير مُرتحات، ومن نظراتهنَّ المتجولة حول المكان، أدرك أنهنَّ يحاولنَّ فهم كيف انتهى بهنَّ المطاف في مكان تفوح منه رائحة القلي، تلك الرائحة التي ستتغلغل في شعورهنَّ وملابسهنَّ وبشرتهنَّ، وستلتصق بهنَّ طوال اليوم. مكان لا يُتوقع أن يمكن فيه بعد انتهاء الوجبة.

تنهض سارا عندما تراني، وتشير لي للانضمام إليهنَّ. تستغل النساء الأربع الوقت الذي يستغرقه عبوري الغرفة لتفحص مظهري. تنتقل أنظارهنَّ بين الشقِّ العميق على جانب تنورتي الزرقاء الطويلة، والتي شيرت الأبيض الرقيق الذي بالكاد يُخفي حمالة صدري الزرقاء الفاتحة، إلى أكداش الأساور التي تطن مع كل خطوةٍ أخطوها. استغرق مني الأمر بعض الوقت لأقرر الصورة التي أريد أن أقدمها لهنَّ؛ امرأةٌ ترغب في الاندماج أم امرأةٌ مستعدة للتميُّز. اليوم، من الصعب أن يتجاهلني أحد.

تقول سارا قبل أن تجلس مرةً أخرى: «مرحبًا، يا إيفي، من الرائع رؤيتك مرةً أخرى. (تشير إلى النساء الأخريات على الطاولة وتُضيف): تتذكرين بيث وأليسون، بالطبع».

أجيب بابتسامة وإيماءة: «بالطبع».

ثم تقول: «هذه راتشيل موراى. راتشيل، هذه إيفي بورتر».

ترفع راتشيل يدها بتحيةٍ صغيرة من الجهة المُقابلة للطاولة.

- مرحبًا، سررت بلقائك، يا إيفي. سمعت الكثير عنك.

أنا متأكدةٌ من ذلك.

- سررت بلقائك أيضًا.

من المُحرج بعض الشيء أن السبب وراء عدم لقائنا من قبل هو أنها لم تُدعَ إلى عشاء رايان، لكن ذلك كان قراره. ذُكر اسمها في أثناء التخطيط

للعشاء، لكنه في النهاية قرر استبعادها لأنه، كما قال: «أحياناً تتسبب في إثارة أعصابه إلى أقصى حد». بالإضافة إلى أنها عزباء، ممّا كان سيخلّ بتوازن العدد على الطاولة.

بينما أضع حقيبتي على الأرض إلى جوار مقعدي، أشعر باهتزاز رسالة نصيّة واردة. نظرة سريعة تكشف لي أنها من رايان:

استمتعي بالغداء لكن لا تدعيهنّ يتسلطن عليك. اتصلي بي عندما تنتهين.

أعز شفتيّ محاولة إخفاء ابتسامتي. أقول بينما ألتقط قائمة الطعام المُغلّفة المحشورة بين عُلبة السكر وزجاجة الكاتشب: «شكراً لأنكّ وافقتنّ على مُقابلتي هنا. استراحة الغداء قصيرة للغاية».

تلتقط سارا واحدةً من القوائم وتقول بابتسامة: «لا مشكلة. نحن نادرًا ما نأتي إلى وسط المدينة، لذا يُعتبر هذا تغييرٌ لطيف». من المؤكد أن الأخريات قد استنفدن كل طاقتهنّ لعدم التمتعة أو التبرم، فهذا المكان ليس على الإطلاق من بيئتهنّ المعتادة. ثم تقول بيث: «إذًا، سنحتسي المشروبات في منزلنا قبل حفلة الديربي يوم السبت».

تأملت تلك الدعوة المُعلّقة على ثلاجة رايان طوال الأسبوعين الماضيين. وعلى الرغم من أننا بعيدون كل البعد عن ولاية كنتاكي، فإننا تلقينا دعوةً لحضور حفل مُشاهدة سباق الديربي للخيول، يَعد بتقديم مشروبات مينت جوليپ وشطائر هوت براون في مزرعة خيول تقع على أطراف المدينة. وذكر في الدعوة أن ارتداء القُبعات، هو موضع ترحيبٍ وتشجيع، وكلما كانت أكبر كان أفضل.

تحاول المجموعة التقربُ مني بإشراكي في أحاديثهنّ العابرة، لكن من الواضح أنني لا أعرف الأشخاص أو الأماكن أو الأحداث التي يتحدثن عنها،

لذا أختار بدلاً من المشاركة مُراقبتهم. أدرس كيفية تفاعلهم مع بعضهم، حركاتهم، والكلمات التي ينتقونها. يعتقد أن هذا الغداء هو فرصة للتعرف عليّ، لكنني سأخرج منه بأكثر ممّا سيحصلن عليه بكثير.

بعد أن قدمنا طلباتنا -مياه وسلطات للجميع- يملن جميعهنّ إلى الأمام، فأعدّ نفسي لما هو قادم.

ليس من المُستغرب أن تكون راتشيل أول من تتحدث.

- حسناً، بما أنني فوتُ العشاء الليلة الماضية، أطلعوني على ما فاتني! أخبريني كل شيء عنك.

أميل إلى الوراء في كرسي، راغبةً في وضع أكبر مسافة مُمكنة بيني وبينهنّ، وأقول: «ليس هناك الكثير لأخبركِ به».

ينتظرن مني الاستمرار في الحديث، أن أضيف بعض التفاصيل على الأقل، لكن إذا كنّ يرغبن في المزيد، فسيتعين عليهنّ بذل جهد أكبر.

تبدأ سارا في العبث بكأسها، بمنديها، بهاتفها. تقول وهي تنظر إلى راتشيل، مجيبةً نيابةً عني: «إنها من الألباما». سارا هي الفتاة التي تريد فقط أن يسود الوئام بين الجميع. ربما اختارت ورودًا وردية باهتة لحفل زفافها وتعمّدت أن تختار طقم الصيني نفسه الذي تُفضله حماتها.

تسأل بيث: «من أي جزء من الألباما؟».

أجيب: «من ضواحي توسكالوسا».

تسأل أليسون: «هل درستِ في جامعة باما؟».

في اللحظة نفسها التي تقرر فيها راتشيل أن تكون أكثر مباشرةً: «ما اسم البلدة التي جئتِ منها؟».

أحول نظري نحو أليسون، مفضلة الإجابة على السؤال الأقل حدّة.

- نعم، درستُ هناك لفترة.

تكشف لي النظرات المُتعبة المتبادلة حول الطاولة مدى شعورهنّ بالإحباط. هناك قولٌ مألوف يقول: الكذبة الأولى تفوز. لا يشير هذا القول إلى الأكاذيب البيضاء الصغيرة التي تنزلق من أفواهنا دون تفكير؛ بل يتحدث عن الكذبة الكبرى. تلك التي تُغير مجرى اللعبة. الكذبة التي تُقال عن قصد،

والتي تضع حجر الأساس لكل ما سيأتي بعدها. وحالما تُروى، تصبح هي الحقيقة التي يُصدقها مُعظم الناس. الكذبة الأولى يجب أن تكون الأقوى. الأكثر أهمية. الكذبة التي يجب أن تُقال.

- أنا من بروكود، وهي في الحقيقة مجرد ضاحية من ضواحي توسكالوسا. التحقّت بجامعة باما لمدة عامين، لكنني لم أخرج. تعرضت أنا ووالداي لحادثة مروعة قبل بضع سنوات، وكنت الناجية الوحيدة. عندما خرجتُ من المستشفى، أدركت أنني بحاجة إلى تغيير حياتي، ومنذ ذلك الحين وأنا أُنقل من مكانٍ إلى آخر.

تتغير تعابير وجوههنَّ على الفور. من المُفترض أن يُنهي هذا سيل الأسئلة، لأنهنَّ سيبدین غير مبالیات إذا استمررن في الاستفسار.

تقول سارا بأسفٍ واضح: «أنا آسفة لسماع ما حدث لوالديك»، ومن الواضح أنها تعني ما تقول.

أومئ برأسي وأعض شفتي السفلى، متجنباً النظر في أعين أي امرأة على الطاولة، بينما توحى لغة جسدي بأنني على وشك الانهيار إذا اضطررتُ إلى الاستمرار في الحديث عن الموضوع.

تمنحني راتشيل ابتسامة صغيرة، كأنها تتفهّم عُق حزني، بينما تتلململ الثلاث الأخريات في مقاعدهنَّ، يظهر عليهنَّ بوضوح شعورهنَّ بعدم الارتياح. توقعن أن يكتشفن بعض النمام، ربما شيئاً يمكنهنَّ استغلاله لاحقاً إذا دعت الحاجة. لكن يدركن الآن أنهنَّ قد يجدن أنفسهن مُجبرات على تقبُّلي، لأنه كيف يمكن لهنَّ التخلُّص من تلك الفتاة اليتيمة المسكينة؟

يسود صمتٌ على الطاولة للحظة، لكن راتشيل تستمر في الضغط، غير مبالية بالإحراج الذي تسببه.

- كيف انتهى بك المطاف في ليك فوربينج؟

أبدأ في فهم كيف يمكنها أن تصل إلى حدِّ إثارة أعصابك. هذا هو السؤال الذي أحرص بشدة على الإجابة عنه بحذر. هذه البلدة صغيرة، وليست مكاناً تختاره عشوائياً للاستقرار فيه ما لم يكن لديك عائلة أو أصدقاء هنا.

أجيب: «وجدت إعلان وظيفة عبر الإنترنت. تقدمت لها وحصلت عليها، فانتقلت إلى هنا. لم تسر الأمور كما توقعتُ في الوظيفة، لكنني كنت قد استقررت بالفعل، فقررت محاولة إنجاح الأمور».

تسأل راتشيل دون تردد: «وأيّن كانت تلك الوظيفة؟».

- في المستشفى.

تقول راتشيل: «أوه. في أي قسم؟».

نعم، بالتأكيد بدأت تثير أعصابي. النساء الأخريات يتبادلن النظرات، كل واحدة تأمل أن توقف الأخرى هذه المحادثة المتعسرة.

أجيب: «في قسم الفواتير».

تدخل سارا، وقد ملّت من هذا الحوار: «لا أستطيع تصوّر كم كانت الأمور صعبة بالنسبة لك. لكنني سعيدة أنك وجدتِ رايان وأنه وجدك».

يُقدّم الطعام، وأستغل تلك اللحظة لالتقاط أنفاسي بينما ينشغل الجميع بتناول وجباتهم. لكن تستمر راتشيل في إلقاء نظراتها نحوي، تحاول أن تفكّ شفرتي. حظًا سعيدًا في ذلك.

بعد بضع دقائق، تغرز شوكتها في طماطم صغيرة، ثم توجهها نحوي قائلة: «من المدهش رؤية رايان يأخذ الأمور بجدية، بهذه السرعة. تقول بيث إنك انتقلت إلى العيش معه بالفعل. منذ متى تعرفينه، شهرين؟».

انتهيتُ من التظاهر باللطف.

تهمس أليسون محاولةً كبح جماحها: «راتشيل...».

أرفع يديّ لأطمئن أليسون أنني بخير.

- أفهمك، حقًا. أنتنّ تعرفن رايان منذ زمنٍ طويل، وفجأةً أظهر أنا، كمن خرج من العدم. (ترتسم ابتسامة على وجهي) إنه محظوظ بكنّ، أن يملك أصدقاء يهتمون به بهذا القدر. (ثم ألتفت مباشرةً نحو راتشيل وأقول): لذا اسأليني عما يشغل بالك حقًا. هل أنا مهتمةٌ به من أجل ماله؟ أليس هذا هو قلقك الحقيقي؟ أنني أستغله؟».

تحاول سارا بسرعةٍ التخفيف من حدة الموقف قائلة: «لا، لا، لا...».

لكن راتشيل، دون تردّد، تقول: «أنا قلقة من أنه يفكر بغرائزه وليس بعقله».

تشعر أليسون بالإحراج، فتدفن وجهها في يديها، بينما تتنهد بيث وتقول: «راتشيل، كفى». في تلك اللحظة، ربما يشعرون بالارتياح لأنهنّ لا يعرفن أحداً آخر في هذا المطعم.

في الحقيقة، رغم أن راتشيل تُزعجني، فإنني أكنّ لها الإعجاب أكثر من أي واحدة أخرى.

أميل إلى الأمام، وأدفع طبقي بعيداً لأتمكن من إراحة ذراعيّ على الطاولة. تلقائياً، يملنّ هنّ أيضاً نحو الأمام.

- ليس لديكنّ سبب لتثقن بي، ولا سبب لتعتقدن أن نيّاتي حسنة. لكن عليكنّ أن تثقن بصديقكن. قد لا أشعر بالراحة في إخباركنّ بكل ما ترغبن في معرفته، لكنني أخبرته هو بكل شيء. وهذا أفضل ما يمكنني تقديمه لكنّ اليوم. مكتبة سرّ من قرأ

ليس هناك الكثير ممّا يمكن قوله في هذه اللحظة. إذا قرأت تعابيرهنّ بشكل صحيح، فإن بيث وسارا وأليسون سيعدنّ إلى شركائهنّ محملاتٍ بقصص عن مدى شعورهنّ بالإحراج بسبب تصرفات راتشيل، بدلاً من أي قلق حول نيّاتي تجاه رايان. وبما أن راتشيل لم تحظْ بدعوة العشاء من الأساس، فأنا لست قلقة بشأن تأثيرها على رايان. لكن الأهم من ذلك، أن أحداً لم يُشكك في هويتي أو من أين أتيت.

الكذبة الأولى تفوز.

ننهي وجبتنا بسرعة، مع قليلٍ من الحديث، كأننا في سباقٍ لمعرفة من سيغادر المكان أولاً. أقف على الرصيف وأراقبهنّ وهنّ يتفرقن باتجاه مواقف السيارات المختلفة، كل واحدةٍ منهن تسير بخطواتٍ واثقة.

يتطلب الأصدقاء دائماً أكبر قدر من الجهد. أخرج هاتفي وأبحث عن «إيفي بورتر» و«بروكوود، ألاباما»، تماماً كما أعلم أنهنّ سيفعلنّ حالما يصلن إلى خصوصية سياراتهنّ. الصفحة الأولى مليئة بمقالاتٍ غامضة تذكر الحادثة، حادثةٌ قد يجد سكان بروكوود الحقيقيون صعوبة في تذكرها لكنهم لن

يعترفوا بذلك أبدًا، لأن أي نوعٍ من الأشخاص ينسى موت اثنين من أفراد مجتمعه؟ يعود تاريخ المقالات إلى عدة سنوات مضت، لكنها لم تظهر إلى الوجود فعليًا إلا قبل بضعة أشهر. مقالات صُممت لمنحي مصداقية وسببًا لعدم رغبتني في الحديث عن ماضي.

أغلق هاتفي وأعيدته إلى حقيبتني، ثم أمشي المسافة القصيرة بيني وبين العمل.

الفصل السادس

يتكئ رايان على باب غرفة العمل الصغيرة في قبو المعرض. انتهى الغداء منذ أقل من ساعتين، ممّا أثار إعجابي بسرعة وصول الأخبار إليه.

يقول بابتسامةٍ أعرفها جيدًا: «سمعتُ أن الغداء كان رائعًا»، لكن نظرةً في عينيه تبدو غير مألوفة. يرتدي اليوم ملابس غير رسمية، بنطال جينز قديم ربما يعود إلى أيام الجامعة، وقميصًا بأزرار غير مدسوس أعلم جيدًا مدى نعومته على البشرة. هذا المظهر يناسبه تمامًا، يجعله يبدو بلا هموم وأصغر سنًا ممّا هو في الواقع.

لم أسأله لماذا لم يرتدِ بذلة ولا ربطة عنق، ولماذا لم يصفف شعره بعناية هذا الصباح في أثناء ارتدائنا الملابس، ولم يقدم هو تفسيرًا. أجيبه بابتسامةٍ مماثلة: «كان غداءً رائعًا حقًا».

أماننا سبعون بطاقة اسم مُبعثرة على الطاولة، كلها بحاجة إلى ترميز لوني يتناسب مع خيارات الغداء التي اختارها الحاضرون لوليمة الغد. يجلس رايان على الكرسي المجاور لي، وتداعب قدمه قدمي بينما يلتقط اثنتين من أقرب البطاقات: «هذان الاسمان يجب أن يكونا بعيدَيْن عن بعضهما قدر الإمكان».

ألقي نظرة على الأسماء المكتوبة هناك. أُبلغت بالفعل أن وجودهما على الطاولة نفسها قد يسبب مشكلة، لكنني قررتُ فعل ذلك على أي حال. أعني، أي مآدبة غداء تدور حول موضوع «مقدمة في جمع الأعمال الفنية 101» قد تحتاج إلى بعض الإثارة الإضافيّة.

أجيب بابتسامة: «أحطت علمًا بذلك».

يعيد البطاقات إلى الطاولة ويقول: «أدهشني عدم اتصالك بعد الغداء». أدير مقعدي لأواجهه وأقول: «لم يكن هناك شيءٌ لا أستطيع التعامل معه». يرد ممسكًا بيدي ويسحبني إلى حضنه: «لكن لا ينبغي أن تضطري إلى التعامل مع ذلك». أُلقي نظرة على الباب المفتوح، أمله ألا يرانا أحدٌ في هذه اللحظة. حصلت على هذه الوظيفة منذ بضعة أسابيع فقط، والجميع يعرف أنني حصلتُ عليها خدمةً لرايان ليس أكثر.

أقول وأنا أقترُبُ منه أكثر: «هذا لا يساعد في تعزيز مصداقيّتي هنا». يلفُ رايان ذراعه حولي، يجذبني إليه. تتلمّس يده الحافة العلوية للتي شيرت الرقيق.

- هذا ما يعذبني الآن، لعلمك فقط.

أميل نحو يده، فيُلقي نظرةً خاطفةً على الممر الفارغ ليتأكد أننا لا نزال وحدنا هنا، لكن قبل أن تراوده أي أفكارٍ شقية في العمل، أقول: «أعلم أنك مشغولٌ جدًّا لتأتي إلى هنا للاطمئنان عليّ». أشبك أصابعي بأصابعه، لأوقف استكشافه.

- مَنْ اتصلت بك؟

أراهن على أنها سارا.

- سارا. إنها قلقة من أنك تكرهينهنَّ الآن. (يطلق ضحكةً هادئة، ثم تتغير تعابير وجهه إلى الجدية. يسألني): «هل تريدان التحدّث عن الأمر؟». أهزُّ رأسي نفيًا: «لا. لستُ قلقة بشأن ما يظنون. (ألتفُّ لأتمكن من النظر إليه) لكنني قلقة بشأن ما تظنه أنت».

يمرر رايان يده في شعري، يلفُ الأطراف حول قبضته، يُمسك وجهي على بُعد بوصات من وجهه.

- أظن أنك رائعة.

أبتسم وأقول: «وأنا أظن أنك رائعٌ أيضًا». ولأول مرة، لا تُقال هذه الكلمات فقط لدعم هدي. لأول مرة، أعني ما أقول.

في لحظات كهذه، أتمنى لو كانت الأمور مختلفة. لو كانت هذه الحياة حقيقيةً وأن أكبر همومي هي الدراما التافهة بيني وبين أصدقائه القدامى.

أتمنى لو كنت الفتاة التي انثقب إطار سيارتها، وكان هو الرجل الذي تصادف وجوده لمُساعدتها. لو كان هناك مستقبلٌ حقيقيٌّ ينتظرنا.

هناك الكثير ممّا لا يعرفه. الكثير ممّا لا أستطيع إخباره به. والكثير ممّا لن أخبره به أبدًا.

يتأمل رايان الفوضى على الطاولة بجانبنا ويقول: «أعتقد أنه لا توجد طريقة لإنهاء العمل مبكرًا».

- لا. عليّ أن أنهي هذه البطاقات ليوم غدٍ ثم أتأكد من أن جميع الطاولات تكسوها الأغطية قبل أن أغادر.

أرفع نفسي من حضنه وأعود إلى مقعدي. ينحني للأمام، كأنه لا يريد أن يبتعد كثيرًا.

- اعملي معي. عندها يمكننا الانتهاء من العمل مبكرًا كما نشاء.

عرض عليّ رايان هذا من قبل، لكن هذه المرة يبدو أنه يعني ما يقول. أشغل نفسي بترتيب بطاقات الأسماء في مجموعات.

أقول ذلك بضحكة خافتة: «العمل معًا سيكون تشتيئًا كبيرًا. لكننا»، وأبقي عينيّ على المهمة التي أمامي عمدًا.

تتشابك قدمه مع قدمي.

- أنتِ محقة. لن أنجز أي شيء. سأظل أتبعك طوال اليوم، متجاهلاً كل شيءٍ آخر.

صوت هاتفه المكتوم وهو يهتزُّ يجعله يتحقق من ساعته ليرى مَنْ يتصل. يتأوه رايان وهو ينهض من كرسيه ويُخرج هاتفه من جيب سرواله الخلفي.

يقول بينما يخطو إلى الممر ليردّ على المكالمة: «أعطني لحظة».

المكان هادئ بما يكفي هنا بحيث لا أحتاج إلى بذل جهدٍ كبير للاستماع إلى جانبه من المُحادثة.

يسأل رايان: «التأكيد؟». (وبعد لحظةٍ يُضيف): يومٌ واحد يجب أن يكون كافيًا. أرسل التكلفة التقديرية وحدد موعد الوصول في الساعة الحادية عشرة صباحًا يوم الخميس».

الخميس.

ثم يتابع: «هل ظهر شيء آخر؟». تتصلَّب كتفاه وهو يستمع للطرف الآخر. أجهز نفسي للنظرة التي سيلقيها عليّ من فوق كتفه، لكنه لا يرى سوى تركيزي الكامل على مخطط المقاعد أمامي. يتراجع خطوة أخرى بعيداً عني، وتنخفض نبرة صوته. لا أستطيع تمييز الكلمات، لكنه يبدو غير راضٍ ويظهر ذلك بوضوح. يكاد أن يُزجر في الهاتف. هذا الجانب من رايان لم أراه من قبل. يقول بصوت عالٍ قبل أن يُنهي المكالمة: «اعثر عليه».

والآن تثيرني الرغبة في معرفة ما الذي فقده.

أسأله بينما يعيد هاتفه إلى جيبه ويعود نحوي: «هل كل شيء على ما يرام؟». يهزُّ كتفيه محاولاً التخلص من التوتر، ويمنحني تلك الابتسامة التي تكشف عن غمازتيه.

- نعم، مجرد مشكلة صغيرة في العمل.

ثم يجلس مرة أخرى على الكرسي بجانبني.

أدير كرسيّ لأواجهه.

- أعتقد أنه لو عملتُ معك، لتمكنت من مساعدتك في حلّ هذه المشكلات.

المشكلة التي يتعامل معها في العمل ليست من النوع الذي سأكون على دراية به لو قبلتُ الوظيفة التي عرضها عليّ.

ورغم توتره، فإنه يقترب منّي، ممسكاً بيديّ: «لكن بما أنك رفضت عرضي، يبدو أنني مضطر إلى حلّها وحدي».

نحن نرقص حول أمورٍ لا نستطيع البوح بها.

تقودني مشاعري تجاهه إلى طريقٍ لا يمكنني أن أسلكه، لذا فإن هذا التذكير الصغير بكلّ ما يخفيه عني وكلّ ما أخفيه عنه يأتي في وقته المناسب.

يهمس، قبل أن يُقبلني برفقٍ على شفتيّ: «متى تعتقدين أنك ستنتهين هنا؟».

أترجع قليلاً لأجيبه: «ربما بعد ساعة؟ وأنت، متى ستنتهي من عملك؟».

- تقريباً في الوقت نفسه. (يمنحني رايان قبلةً أخيرة ثم ينهض. وعند

اقترابه من الباب، يُضيف): تعلمين أنك تستطيعين إخباري بأي شيء،

أليس كذلك؟».

أومئ برأسي وأتململ على مقعدي: «أعلم».

يصدق إليّ لبضع ثوانٍ، طويلة بما يكفي لإثارة جزءٍ غير منطقيٍّ داخلي
يظن أنه قد يرى ما يكمن خلف هذه الواجهة اللامعة التي نسجتُها. ثم يُضيف:
«حتى عندما يتصرف أصدقائي كالأوغاد».

أبتسم وأقول: «حتى في تلك الأوقات. لا تقلق، أنا لا أخاف بسهولة. سأراك
قريباً في المنزل».

يُلقي نظرةً سريعةً على هاتفه، ثم يعيد نظره نحوي ويقول: «أحبُّ سماع
تلك الكلمات».

أتابعه بنظري حتى يختفي في نهاية الممر وينعطف عند الزاوية.

بطاقات الأسماء جاهزة. السيدة روبرتس والسيدة سوليفان ستجلسان
مقابلتين على طاولة رقم 1، بينما أنا واثقة أن الجميع سيكونون مُنشغلين
بمراقبتهم. كل المهام الأخرى قد أُنجزت، لكن قبل أن أنهي عملي لهذا اليوم،
هناك مكالمة يتوجب عليّ إجراؤها.

تردُّ على المكالمة بعد الرنة الثانية.

- مرحباً، يا راتشيل. أنا إيفي. هل أنتِ متفرغة لدقيقة؟

تصمت للحظة، ثم ترد: «بالطبع، ما الذي تحتاجين إليه؟».

أميل في مقعدي وألقي نظرةً حذرةً على الممر لأتأكد من عدم وجود أحد
بالجوار: «أشعر أننا تعارفنا بشكلٍ غير موفق، وهذا يزعجني. (أترك كلماتي
معلقة في الهواء لبضع ثوانٍ ثم أضيف): سأكون سعيدة لو استطعنا المحاولة
من جديد».

تصمت لوهلة، ثم أسمع ضحكة ناعمة.

- يجب أن أعترف، بعد كل المكالمات التي تلقيتها اليوم عن غداثنا، لم
أتوقع هذه المكالمة.

من الواضح أن رايان اتصل بها، لكن يبدو أنها لم تتفاجأ بذلك. والآن تثير
فضولي معرفة ما قاله لها.

أقول: «أنا أتحمّل جزءاً من المسؤولية عمّا حدث. يصعب عليّ جدّاً التحدّث عن ماضيّ».

- لا، لم ينبغِ عليّ أن أضغط عليكِ بهذه القوة. كان ذلك تصرفاً غيرٍ مراعى. تنطق «غيرٍ مراعى» كأنها تُعيد تكرار النقد الذي تلقته في محادثاتها السابقة.

أقترح: «هُدنة؟».

تجيب بصوت مقتضب: «بالتأكيد، هُدنة».

أتنفس الصعداء بوضوح، لأتأكد من أنها تسمع صوت ارتياحي.

- رائع! حسناً، أعتقد أننا سنلتقي يوم السبت في حفلة الديربي. تردّ راتشيل قبل أن تُغلق الخط: «لا أستطيع الانتظار».

أبتسم وأنا أضع الهاتف في حقيبتي.

من المُحتمل أن تكون راتشيل الآن مسترخية في كرسىها، تسترجع حديثنا في ذهنها بينما تحديق عبر نافذة مكتبها الصغير، الذي يبعد ثلاثة أبواب فقط عن المكتب المرموق في الزاوية، ذاك الذي طمحت إليه منذ اليوم الأول الذي خطت فيه أروقة أرقى شركة حمامة في المدينة؛ المكتب المُخصص للشركاء. إنها الشركة نفسها التي تدرّبت فيها خلال فترات إجازتها من كلية الحقوق، حيث قضت الأسبوع في التدريب وعطلات نهاية الأسبوع في علاقةٍ مع أحد الشركاء الصغار. وهي أيضاً الشركة نفسها التي تتولى كل أمور رايان القانونية.

تمحص راتشيل الآن قصتي، تبحث عن الحقيقة بين كلماتي. ومن خلال بحثي، أعلم أنها بارعة في عملها. هناك شيءٌ يزعجها، وهي تحاول أن تقرر ما إذا كان الغوص في خلفيتي يستحقُّ المخاطرة بفقدان صداقة رايان. راتشيل هي مَنْ سأحتاج إلى مُراقبتها من كُتب.

الفصل السابع

- هذا سخيّف.

أقولها بينما أنظر في المرأة الصغيرة المُثبتة على حاجب الشمس لإجراء تعديلٍ أخير على قطعة القماش الوردية الرقيقة التي تُزين حافة قبعتي.

- أبدو سخيّفة.

ينعطف رايان بسيارته رباعية الدفع إلى طريقٍ طويلٍ مغطى بالحصى، مرورًا ببوابة مُزخرفة تحمل فوقها كلمات «مزرعة هيدن هيلز» بحروف معدنية متقنة. يُلقي عليّ نظرة سريعة ويقول: «قبعتكِ لن تكون الأكبر هناك حتى».

- هل أنت متأكد؟ لأنني متأكدةٌ تمامًا أنهما حاولتا الإيقاع بي.

وافقتُ على الذهاب إلى التسوق مع سارا وبيت من أجل حفلة الديربي، وأكدتا لي أن هذه القبعة هي بالضبط ما أحتاج إليه.

- ليس من العدل أن أضطر إلى حمل هذا الشيء على رأسي طوال اليوم بينما ترتدي أنت سروالًا كاكياً وقميصًا بأزرار.

يقول مبتسمًا: «تبدين رائعة، كالمُعتاد». ثم يسحب يدي بعيدًا عن القبعة ويقربها من شفتيه، طابعًا قبلاّتٍ ناعمة على كل إصبع.

الانتقال إلى العيش مع رايان رفع مستوى رومانسيته: لمساتٌ بسيطة، كلماتٌ لطيفة، وإيماءاتٌ تعبر عن اهتمامه، يبذل جهدًا إضافيًا للتأكد من سعادتي. عندما لا يكون في العمل، نحن معًا. أستطيع أن أُخمن من خلال محادثاته المُقتضبة مع أصدقائه أنهم غير راضين عن احتكاري لوقته.

ستصرُّ الفتاة المثالية على أن يلتقي أصدقاءه، وتحرص على ألا يفقد الاتصال بأقرب الناس إليه؛ لكنني لستُ تلك الفتاة المثالية.

أسأل بينما نقترّب من وجهتنا: «هل تعتقد أن أصدقاءك سيكونون غاضبين لأننا تخلفنا عن الحفلة التمهيدية؟».

تجنّبنا الذهاب لاحتساء المشروبات في منزل بيث وبول، ليس لأنني لم أتحمل فكرة الوجود حول راتشيل، بل لأن رايان لم يستطع ذلك. لا يزال غير قادرٍ على تجاوز الطريقة التي تصرّفتُ بها في أثناء الغداء، رغم أن الأمر تضخّم إلى شيءٍ أكبر ممّا كان عليه في الحقيقة. لقد ضغطت عليّ للحصول على معلومات، ولم تصفعني على وجهي، لكن في المُدن الصغيرة وبين الأصدقاء المقربين، يكاد لا يكون هناك فرقٌ بين الأمرين. يستطيع رايان أن يُكِنّ الضغائن للآخرين.

- أنا متأكّد أنني سأسمع منهم شيئاً عن ذلك، لكن لا بأس.

وصلنا على الأرجح قبل أصدقائه، لذا سيكون من المُثير معرفة إلى مَنْ سينجذب، خاصةً أنه نادراً ما يحضر مناسبة كهذه دون مجموعته المُقربة. عندما نصل إلى موقف السيارات، أجد بعض الراحة في أن رايان كان محقّاً: قبعتي ليست الأكبر ولا الأكثر لفتاً للانتباه، رغم أن ذلك يعني فقط أننا جميعاً نبدو كالبُلهاء.

نتجه أولاً إلى البار.

تقول امرأة واقفة خلف طاولة خشبية خشنّة: «مرحباً بكم في مزرعة هيدن هيلز. هل يمكنني معرفة أسمائكما قبل أن أُعدّ لكما الكوكتيل؟».

بينما أجد الطلب غريباً بعض الشيء، لا يتردد رايان.

- رايان وإيفي.

تومئ النادلة برأسها ثم تنحني خلف البار. أستغلُّ هذه اللحظة لإلقاء نظرة على المرأة الواقفة خلفنا في الصف، وأنا متأكّدة أن الحصان البلاستيكيّ المُثبت على قُبعتها هو نفسه الذي حصلتُ عليه في عيد الميلاد عندما كنتُ طفلة؛ أحد خيول باربي، مزود بسرجٍ وردي وربطة في شعره.

تظهر النادلة مجدداً وتبدأ في تحضير مشروب المينت جوليپ لنا. لست متأكّدة إذا كان لدينا خيارٌ آخر من المشروبات، لأنها لم تسألنا عن رغبتنا،

لكن مع نظرتي إلى الكمية السخية من وودفورد التي تصبها، لا أجد سبباً للشكوى. عندما تنتهي، تقدم لكل واحد منّا كوباً فضياً؛ كوب رايان محفور عليه حرف «R» وكوبي محفور عليه حرف «E».

نبتعد أنا ورايان عن البار بينما أستمّر في تفحص الكوب. أقول: «هذا مبالغ فيه حقاً. أعني، لو قلت إن اسمي كوين، هل كانت ستخرج كوباً محفور عليه حرف «Q»؟».

يرد رايان مبتسماً: «عندما أكدت الحضور، أخبرتهم بأسمائنا. لدي مجموعة كاملة من هذه الأكواب في المنزل. هذا الكوب السادس لي». أتمم قائلةً بينما يضحك رايان: «سخيف».

نتنقل بين الحشد، ويتحدث رايان تقريباً مع كل شخصٍ نمُرُ بجانبه، ويقدمني إلى الجميع باعتباري حبيبته، بينما يُبقيني إلى جانبه مطوّقاً خصري بذراعه.

فجأة، نسمع صوتاً يقول: «مرحباً بكما!». نستدير أنا ورايان لنجد جارته، السيدة روجرز، تتجه نحونا. تربت على ذراعي بينما يحظى رايان بعناقٍ كامل منها. أدهشني كيف استطاعت أن تسحبه نحوها بقوة دون أن تُخلّ بالتوازن الدقيق للقبعة الموضوعة على رأسها.

- أليس هذا ممتعاً حقاً!

أجيب بابتسامة: «ممتع جداً».

بعد قليل، تبتعد السيدة روجرز لتوزيع المزيد من العناق، ويفرق رايان في حديثٍ عميق مع قاضٍ محلي حول الانتخابات المقبلة، فأستغل اللحظة لألقي نظرةً حولي. المكان بديعٌ حقاً. ممر السيارات المُتعرّج طويل بما يكفي لدرجة أنك لا تستطيع رؤية الطريق الرئيسي، فلا يُرى المنزل ولا يُسمع ضجيج السيارات، ممّا يمنح الحفل شعوراً بالُعزلة عن العالم الخارجي، تماماً كما يوحي اسمه. تتربع الحظيرة الخشبية الحمراء على قمة تلة، تنحدر المراعي من حولها في كل الاتجاهات كبحرٍ من الخضرة، محاطٌ بأسوارٍ بيضاء. شاشة ضخمة بحجم شاشة سينما مثبتة على جانب الحظيرة، بينما تنتشر شاشاتٌ أصغر بين الطاولات المغطاة بأقمشةٍ بيضاء لعرض السباق. يتجول الخدم

بين الحشود حاملين صواني فضيَّة عليها شطائر صغيرة من «هوت براون»، وأطباق فردية من «تشيز جريتس»، وشطائر صغيرة تؤكل مع الشاي. يبتعد القاضي ببطء، ويُفاجأ رايان عندما يقترب منه زوجان فجأة. يقول الرجل بينما يلف ذراعه حول عنق رايان ويجذبه بقوة: «رايان!». يتعانقان بحرارة بينما أتفحص المرأة التي معه. إنها طويلة، تقريباً في مثل طولي، ذات شعر بني فاتح طويل. جسدها رشيق لكنه قوي، ولا يسعني إلا ملاحظة التشابه الجسدي بيننا.

عندما يبتعد رايان عنه، يتجه صديقه نحوي ماداً يده. يقول الرجل بابتسامة واسعة: «إذا أنت الفتاة التي جعلت رايان يركع على رُكبتيه».

يلتفت رايان نحوي ويقول: «إيفي، هذا صديقي القديم، جيمس برنارد. جيمس، هذه حبيبتي، إيفي بورتر».

أمدُّ يدي لمصافحته، فيهرُّها بحماس. جيمس طويلٌ ونحيف، وتبدو عليه آثار معاناة مع الإدمان؛ تظهر في تجاويف خديه والهالات الداكنة تحت عينيه، وارتعاشة طفيفة في يديه، وملابسه الفضفاضة قليلاً عليه. ملابس أنيقة ربما استخرجها من أعماق خزانته خصباً لهذا اليوم. أما رفيقته، فتبدو في حال أفضل، ليس فقط من حيث ملابسها، بل من حيث مظهرها العام. ترتدي فستاناً كريماً دون أكمام يصل إلى منتصف الفخذ، وحذاءً إيطالياً فخماً، ومجوهرات بسيطة راقية. إنهما ثنائيٌّ غير متجانس تماماً.

أمزح قائلة: «لا أعتقد أنني جعلته يركع على رُكبتيه بعد، لكنني أعمل على ذلك». يلتفت جيمس إلى رايان قائلاً: «يا رجل، أنا سعيدٌ جداً من أجلك».

أبادل أنا ورايان نظرة مليئة بالتساؤل. لسنا مخطوبين، لذا فإن هذه التهاني الحارة تبدو مبالغاً فيها بعض الشيء. يرد رايان: «شكراً». (يلفُ ذراعه حولي. نوجّه أنظارنا نحو المرأة الواقفة بجانبه، فيومئ رايان برأسه نحوها ويقول): «لم تُعرِّفنا على صديقتك».

يلتفت جيمس بسرعة، وقد بدا عليه الإحراج لكونه نسي من تقف بجانبه. يقول: «رايان، إيفي، هذه هي لوكا مارينو».

يخترقني اسمها كتيارٍ كهربائيٍّ مفاجئٍ.

أقول بهدوءٍ، متمهلةً في نطق الاسم كأنني أذوقه: «لوكا. إنه اسمٌ غير معتاد». أدرك حينها أنني أبـدو تمامًا مثل بيت في تلك الليلة في حفل العشاء. تبسم لوكا وتدير عينيها قائلة: «أعلم. سُميت تيمناً بالمدينة الإيطالية التي جاء منها أجدادي. بحرفي «c» مُتكررين. لا أحد يكتبه بشكلٍ صحيح أبداً». تنظر عيناى إلى الكوب الفضي في يدها؛ يظهر الحرف L المنقوش بين أصابعها.

يبدأ جيمس ورايان في الحديث عن رهاناتهما في السباق القادم، لكنني لا أزال مشدوهةً بهذه المرأة. أسألها: «هل أنتِ من هنا؟». أشعر بجفافٍ مفاجئٍ في حلقي. آخذُ رشفةً سريعةً من مشروبي، لا أكثر.

- لا، أنا من بلدةٍ صغيرة في كارولينا الشمالية، تقع فوق جرينسبورو مباشرةً. إنها بلدة صغيرة جدًا، وأكاد أُجزم أنك لم تسمعي بها من قبل. تنفـلت مني الكلمات قبل أن أتمكن من التراجع: «إيدن». ترتجف قليلًا، وترد بتردد: «أجل... إيدن. كيف عرفتِ...». أبتسم بخفة وأقول: «مُجرد تخمين. كنت أعرف فتاةً في الجامعة من تلك المنطقة».

أحاول أن أتماسك. أستنشقُ بعمقٍ، وأحبس أنفاسي للحظة قبل أن أزرعها بهدوءٍ. أكرر ذلك مرتين إضافيتين حتى أشعر بدقات قلبي تتباطأ وتعود إلى طبيعتها. أسألها بعد أن استعدتُ هدوئي: «هل ما زال لديكِ عائلة هناك؟». تردُّ بلامح متجهمة: «لا. عشتُ أنا وأمِّي فقط، لكنها تُوفيت عندما كنت في المدرسة الثانوية بسبب سرطان الثدي».

لاحظتُ الشبه بيننا من قبل، لكن الآن أمعن النظر فيها. أفحص كل تفصيلة في ملامحها لأقارنها بنفسي. تمتلك كلتانا شعرًا يصل إلى منتصف الظهر مع تموجٍ خفيفٍ، لكن شعرها أفتح من شعري، اللون الذي كان يمكن أن يكون لشعري لو لم أصبغه عند انتقالى إلى هنا. لون العينين: متطابق. لون البشرة: الدرجة نفسها.

تلاحظ تفحصي لها، فتبدأ تفحصي بدورها. أشعر بنظراتها تتسلل من قدميَّ وتصعد تدريجيًّا حتى تصل إلى القُبعة الكبيرة المضحكة. هل تفاجأت من مدى التشابه بيننا؟ تسألني: «هل زرتِ إيدن من قبل؟».

- نعم، الصديقة التي ذكرتها أخذتنا لمجموعةٍ من المهرجانات هناك. أعتقد أن أحدها كان يُدعى شيئًا مثل... مهرجان الربيع؟ هل هذا صحيح؟ اختبار. اختبار أحتاج إليها أن تُخفق فيه.

يضيء وجهها بابتسامة، وترتفع حواجبها: «لقد حضرتم مهرجان نهر الخريف. يُقام دائمًا في سبتمبر قرب عيد ميلادي. أحبُّ ذلك المهرجان!». لا، لا، لا، لا.

أومئ برأسي نحوها ثم ألتفت إلى رايان. ينهمك في حديثٍ عميق مع جيمس، لكنني أقاطعه على أي حال: «سأذهب للبحث عن الحمَّام. سأعود بعد لحظة».

قبل أن يتمكن من قول أي شيءٍ أو يعرض مُساعدتي في العثور على الطريق، كنت قد انطلقتُ بالفعل. أسير بسرعةٍ في فستاني الأسود الضيق وكعب حذائي الذي يبلغ طوله أربع بوصات، أكاد أفلت الكوب المعدني المحفور عليه الحرف «E»، الذي أصبح زلًا بفعل التكتُّف. أكاد أسقط على امرأةٍ بينما أقرب من منطقة الحمَّامات المتنقلة الفاخرة التي أحضرت خصيصًا لهذا الحدث.

تسألني وهي تضع يدها على ذراعي لتسندني: «أوه، هل أنتِ بخير؟». أومئ برأسي عاجزةً عن الكلام. تتبادل مع زوجها نظرةً مليئةً بالقلق بعد أن أبعدت يدها برفقٍ، ثم يراقباني وأنا أبتعد.

أستجمع كل ما لديَّ من قوةٍ لأبقى متماسكة حتى أصل إلى خصوصية إحدى كبائن الحمَّام، لأنني على وشك الانهيار.

حالمًا أدخل وأغلق القفل، أستند على الباب وأطلق صرخةً مكتومة وأغمض عينيَّ بشدة.

هذا ليس جيدًا. هذا ليس جيدًا. هذا ليس جيدًا.

إنها ليست من إيدن، كارولينا الشمالية؛ أنا من هناك.

لم تمت والدتها بسرطان الثدي؛ بل والدتي.

اسمها ليس لوكا مارينو؛ هذا اسمي أنا.

لوكا مارينو-منذ عشر سنوات

أحرّك النافذة ببطءٍ شديد. عندما جرّبتها في فترة الظهيرة، أصدرتُ صريراً عند مُنتصف الطريق، لذا أحاول الآن إيقافها قبل تلك النقطة مباشرةً. وحالما أترك مساحةً كافيةً لأتمكن من التسلل إلى الداخل، أنتهز الفرصة. اندفاع الأدرينالين لا يفقد بريقه أبداً.

ألقي بحقيبتني على أرضية غرفة الضيوف، وأسرع في خلع السروال الأسود الضيق والكنزة ذات القلنسوة بعناية، حريصةً على أن يبقى غطاء الشعر المستعار في مكانه وألا أفسد المكياج. أفتح الحقيبة وأخرج فستاناً كوكتيل أسود مرصع بالترتر، وأرتديه. يلتصق الفستان بجسدي كالقفاز، وقصره يكفي ليكشف عن جسدي إذا انحنيتُ، ممّا يجعله مثاليّاً لما سيحدث هنا الليلة.

الخطوة التالية هي الشعر المُستعار الطويل ذو اللون الكستنائي. أضعه بعناية، وأقضي بضع دقائق في تعديله. تمرنت على هذا الأمر بما يكفي في الظلام لأعرف متى يكون مظهره مثاليّاً. حذاء بكعبٍ عالٍ وحقيبة سوداء صغيرة يكملان الإطلالة.

أدفع أشيائي تحت السرير، ثم أغادر الغرفة بهدوء.

الحفلة في أوجّها، ولا تفصلني سوى خطواتٍ قليلة من غرفة الضيوف عن قلب المنزل. الفرقة الموسيقية تعزف في الخارج، والبوفيه مُوزع بشكلٍ فخم في غرفة الطعام، إلى جانب صواني المحار روكفلر ولفائف الكركند الصغيرة التي لمحتّها تُجهّز في المطبخ عندما كنتُ هنا في وقتٍ سابق. معدتي تُقرقر،

لكنني لا ألتقط أي شيء من الصواني المارة بجانبني. يمكنني تناول الطعام لاحقًا.

تترنح امرأة نحوي، فأمسكها قبل أن تسقط وتجترني معها إلى الأرض.
- أوه، يا عزيزتي، أنا آسفة جدًا!

تلتعثم وهي تمسك بذراعي لتستند عليّ. إنها السيدة ويتنجتون، الزوجة الثانية للسيد ويتنجتون، وليست الأولى التي لا تُفوت فرصةً للشكوى من الثانية. أجيّب بهدوء: «لا بأس».

تتفحصني من أعلى إلى أسفل بعينين زائغتين: «أحب هذا الفستان! من أين حصلتِ عليه؟».

أجيّب بابتسامة واثقة وقد اختفت لكنتي تمامًا: «من بوتيك صغير صادفته في أثناء إجازتنا في فيرجينيا بيتش». احتاج إخفاء لكنتي إلى تدريب أكثر ممّا احتجت إليه لوضع الشعر المُستعار في الظلام.

أنتظر أن أرى في ملامحها أي إشارة للتعرفُ عليّ، لكن بفضل هذه الملابس، وهذا الشعر المُستعار، والمكياج المُتقن مع ظلال العينين الداكن، لا يوجد أي جزء مني يمكن التعرفُ عليه. ولا شك أن أحدًا لا يتوقع أن توجد الفتاة البسيطة التي تعمل في الزاوية الخلفية لمحل الزهور المحلي بين نخبة المجتمع الراقي، تُشاركهم حفلاتهم الضخمة التي يقيمونها للاحتفال بخطوبة زوجين لن يدوم زواجهما أكثر من عامين. وبكل صراحة، سيكون من حُسن حظهما إذا وصلا حتى إلى يوم الزفاف.

حالما تستعيد السيدة ويتنجتون توازنها -بقدر ما تستطيع في حالتها الحالية- أتابع طريقي مبتعدًا عنها. كان من الصعب عليّ الدخول من الباب الأمامي نظرًا إلى استقبال والدَي العروس والعريس للضيوف عند وصولهم، لكن الآن بعد أن أصبحت داخل الحفل، لن يُشكك أحد في وجودي.

أتنقّل بحذر عبر المساحة المفتوحة حتى أصل إلى ردهة في الجانب الآخر من الصالة الفسيحة. في العادة، لا أضطر إلى الظهور في مثل هذه المناسبات، لكن تصميم هذا المنزل لم يترك لي خيارًا آخر. فقد وُضعت الفرقة الموسيقية مباشرةً أمام نوافذ غرفة نوم المالك في الخارج، لذا لم يكن أمامي سوى المرور عبر الباب الداخلي.

أقف عند مدخل الردهة التي ستقودني إلى جناح آل ألبريتون الرئيسي. الهاتف في يدي، أبدو كأنني أبحث عن زاوية هادئة لإجراء مكالمة. بينما تنطلق نظراتي في كل اتجاه غير الهاتف، أراقب مدى اهتمام الضيوف الآخرين بي. يدي الأخرى داخل حقيبتني، وأصابعي ملتفة حول جهاز مخفي داخلها. أتنفس بعمق ثم أضغط على الزر الصغير.

ينطلق صوت ارتطام عالٍ يجعل الجميع يلتفتون باتجاه المطبخ، وفي تلك اللحظة أتسلل بهدوء إلى الردهة متجهة إلى غرفة النوم دون أن يلاحظني أحد. قد يبحث البعض عن مصدر ذلك الضجيج، لكنهم لن يجدوا أي شيء في غير محله.

الغرفة مظلمة، لكن لا يستغرق الأمر وقتًا للوصول إلى الحمام. أرتمي القفازات السوداء التي أخرجتها من حقيبتني، ثم أفتح الدرج في طاولة الزينة المدمجة، وأبحث عن الصندوق على شكل قلب الذي أعلم أنه مخبأ هناك. أجده بسرعة. أبدأ بالتفتيش في محتويات الصندوق، وأسحب خاتمًا من الياقوت، وزوجًا من الأقراط الزمردية، وقلادة تحتوي على حجر أميثيست بحجم مناسب محاط ببعض الألماس المثبت بشكل دقيق. أتمنى لو كانت أقراط الألماس والقلادة التي ارتدتها السيدة ألبريتون في المتجر الأسبوع الماضي هنا، لكنني متأكدة من أنها ترتديهم الآن.

أضع المجوهرات في حقيبتني، وأتبعها بالقفازات، ثم أعود أدراجي بحذر. في هذه اللحظة، يكاد الخوف أن يقبض عليّ، يخنقني، لكنني أتغلب عليه وألتف حول الزاوية وأدخل الغرفة الرئيسية كأني في المكان الصحيح تمامًا. لحسن الحظ، لا أحد يلتفت إليّ. أسير ببطء عائدة إلى غرفة الضيوف، وأتوقف لفترة كافية لالتقاط واحدة من لفائف الكرنند. كانت لذيدة كما توقعت. بينما أمدُّ يدي لالتقاط الحقيبة المخبأة تحت السرير، أبدأ في خلع الفستان، وأتخلص من الحذاء ذي الكعب العالي. في غضون ثوانٍ، أعود لارتداء السروال الضيق والكنزة ذات القلنسوة، ثم أتسلل بهدوء من النافذة إلى الخارج.

أصرخ وأنا أدخل المقطورة: «ماما، لقد عدتُ!». حالما أعبّر العتبة، تعود لكنتي الجنوبية على الفور.

تسألني ماما من غرفتها: «أهلاً يا حبيبتي! مَنْ فاز بالمباراة؟».

خلى شعري البني الفاتح الآن من غطاء الشعر المستعار، ووجهي نظيف من المكياج. استبدلت الكنزة السوداء بواحدةٍ تحمل اسم مدرستي الثانوية وشعارها.

وأنا أحمل كيساً بنياً ورقياً، أقطع المسافة القصيرة من منطقة المعيشة الرئيسية إلى غرفة والدتي. أضعه على طاولة التلفاز بجانب سريرها قبل أن أنضم إليها على الفراش.

أقول بابتسامةٍ صغيرة: «خسرنا، لكن النتيجة متقاربة».

تفتح أُمي الكيس، وتظهر على وجهها ابتسامةٌ عريضة.

- يا عزيزتي، لم يكن عليك أن تتعبي نفسك.

تنتشر رائحة القرفة في أرجاء الغرفة، ويمتلئ قلبي بالفرح وأنا أرى هذه اللحظة البسيطة من السعادة بسبب شيءٍ بسيط كنتأول حلوى في وقتٍ متأخر من الليل. أقول لها بلطف: «عليك أن تأكلي أكثر يا ماما. لقد أصبحت نحيفة جداً».

تُزيل أُمي ورق المخبز لتكشف عن لفافة القرفة الكبيرة، التي تبدو شهيةً بقدر ما تفوح رائحتها. تهمس قائلة: «إنها حلواي المفضلة».

أهمس لها مبتسمةً: «أعلم».

بينما تأخذ أُمي قضماً صغيرة، ألتقط ورقةً مربعةً من الكومة الموجودة على الطاولة بجانب السرير، وأبدأ في طيها بالطريقة التي علّمتني إياها. تراقبني أُمي بصمتٍ وهي تأكل، ولا تتدخل لتصحيح أخطائي في الطي، بل تتركني لأكتشفها بنفسِي.

بعد عدّة دقائق، تكتمل بين يديّ هيئة البجعة الأوريغامي⁽¹⁾ البيضاء الصغيرة.

(1) هو فنُّ طيِّ الورق الياباني، حيث يتم طي ورقةٍ مُسطحة (مربعة الشكل عادةً) بشكلٍ دقيقٍ لابتكار أشكال ثلاثية الأبعاد دون قص أو لصق. (الترجمة)

تقول وهي تلتقط البجعة من كف يدي: «آه، هذه جميلة جدًّا». تضيفها إلى المجموعة التي تزين الرف المُدمج في لوح قمة سريرها. هناك العديد من الحيوانات الورقية بألوان وأحجام متنوعة، تقف كحراسٍ يحمونها. لطالما كانت أُمِّي بارعةً في المهارات اليدوية، لكن رغم كل مُحاولاتها لتعليمي، البجعة هي الشكل الوحيد الذي تمكنتُ من إتقانه.

عندما تُنهي نصف لفافة القرفة، تُلْفُها مجدّدًا وتضعها على الطاولة بجانب السرير. تقول: «سأكملها غدًّا»، رغم أننا نعلم جيدًا أنها لن تفعل. من المُدهش أنها تناولت هذا القدر من الطعام.

تسألني وهي تستقر في الفراش مرة أخرى: «ما هي خططك لبقية عطلة نهاية الأسبوع؟».

- سأعمل في محل الزهور. هناك حفل زفافٍ كبير مساء الغد. تدير رأسها نحوي، وتمد يدها الهشّة لتلامس وجهي: «أنتِ تعملين كثيرًا. هذا عامكِ الأخير في المدرسة، ينبغي أن تقضي وقتًا مع أصدقائك وتستمتعي».

أهزُّ رأسي مبتلعة الغصة التي تتصاعد في حلقي. أكذب: «أستطيع القيام بالأمرين معًا». ونتظاهر أن هذا صحيح.

ثم تسأل: «هل تلقيتِ ردًّا من أي من الجامعات التي قدمتِ لها؟». أهزُّ رأسي مجدّدًا: «ليس بعد، لكن يجب أن يصل الرد في أي يومٍ الآن». لا أستطيع أن أخبرها أنني لم أقدم على أي جامعة لأننا لم نستطع تحمُّل رسوم التقديم، وبقدر ما لا أريد الاعتراف بذلك، فهي ربما لن تكون هنا لترى أنني سأظل عالقةً في هذه البلدة الصغيرة بحلول الخريف المقبل.

- أعلم أن جميع الجامعات ستريدك أن تلتحقي بهم، وستكونين قادرة على اختيار ما تشائين.

أومئ برأسي بصمتٍ دون أن أقول شيئًا. ثم تقترب مني أكثر وتمسك بيدي.

- سيأتي يوم قريبًا وتصبحين راشدةً بالكامل. (تضحك وتُضيف): ماذا أقول؟ أنتِ بالفعل كذلك. تعتنين بي وبكل شيءٍ آخر. أتمنى لك الكثير،

يا لوكا. أتمنى أن يكون لديك منزل وأسرة خاصة بك يومًا ما. أريدك أن تحققي حلمنا وتبني ذلك البيت الذي طالما حلمنا به. ربما يمكنكِ بناؤه في ذلك الحي الجديد الفاخر قُرب البحيرة.

وأضيف، مواصلة في نسج الخيال: «وسأخصص لك غرفة خاصة. سنظليها باللون الأخضر لأنه لونك المفضل، ويمكنك الحصول على سرير بمظلة. وسنزرع حديقة في الفناء الخلفي».

تمدُّ يدها وتزيح خصلة من شعري عن وجهي، ثم تدسُّها خلف أذني.

- سنزرع الطماطم والخيار.

- والجزر أيضًا.

تثقل جفونها، وأعلم أنها على وشك الغرق في النوم مرةً أخرى، رغم أنها ربما نامت طوال اليوم.

- بالطبع، الجزر. إنه المفضل لديك. وسأخبز لك كعكة الجزر.

تغفو ببطءٍ، فأحنني نحوها لأقبل خدها، محاولة ألا أشعر بالهلع من برودة بشرتها. أضيف بطانية أخرى إلى الكومة التي دفنت نفسها تحتها بالفعل قبل أن أتسلل خارج الفراش بهدوء.

أتجه مباشرةً نحو الغرفة الصغيرة في مقدمة المقطورة، التي لا تزيد عن كونها خزانة كبيرة، لكنها تتحول إلى عالمٍ آخر عندما تخطو داخلها. قبل أن ينهش السرطان جسدها، قضت أمني كل يوم في هذه الغرفة جالسة خلف ماكينة الخياطة وطاولة الحرف اليدوية. أتناها الأمهات من جميع أنحاء ولاية كارولينا الشمالية لتفصلن فساتين المسابقات، وفساتين الحفلات، وحتى فساتين الزفاف لبناتهنَّ على يديها.

عندما كنتُ طفلة، كنت أجلس عند قدمي أُمي وأشاهد الفتيات العاديات يدخلن إلى الغرفة، وكيف يتحولن بطريقةٍ سحرية عندما تبدأ أُمي العمل عليهن. في تلك اللحظات، أدركت أن بإمكانك أن تصبح شخصًا آخر تمامًا مع تسريحة الشعر المناسبة، والفستان المثالي، والإكسسوارات المختارة بعناية.

تتكس أكوام الأقمشة ولفائف الشرائط بجانب أحد الجدران، بينما تحمل الأرفف الخشبية خلف ماكينة الخياطة أوعية مملوءة بالريش وأحجار الراين وكل أنواع الزخارف التي يمكن تخيلها.

عندما مرضت أمي، توليتُ مسؤولية تنفيذ طلبياتها. كنت أساعدها في هذه الغرفة منذ سنوات طويلة، لذلك لم يكن الأمر غريباً عليّ. لكن فساتين المسابقات والمجوهرات المصممة حسب الطلب لم تكن تجلب ما يكفي من المال لتوفير العلاجات التي كانت تحتاج إليها أو لتغطية تكلفة الأدوية التي اعتمدت عليها. لذلك، اضطررتُ إلى البحث عن حلول إبداعية.

كانت الوظيفة في محل الزهور بمدينة جرينسبورو المجاورة هي الحل المثالي. فالنساء يحبن القدوم إلى المحل وهنَّ مرتدياتٍ أفضل مجوهراتهن، ويستمتعن بالحديث عن الحفلات التي ينظمونها وقائمة الضيوف المرموقة التي يدعونها. وبالطبع، يعتمدن علينا في توصيل الزهور والتأكد من أن كل شيء يبدو على ما يرام.

وسط كل هذا الازدحام الذي يسبق الحفلات، يصبح من السهل التسلل إلى غرفة مهمة وفتح نافذتها بهدوء. لكن يكمن السر في عدم أخذ أي شيء في أثناء توصيل الزهور، لأن ذلك قد يثير الشبهات حول المجموعة الصغيرة التي كانت موجودة في وقتٍ مبكر من اليوم. الأفضل هو ترك السيدة تستعد للحفلة، تختار مجوهراتها بعناية لتحدد أيها سيبدو الأنسب، وتتأكد من أنها تتذكر كل ما وضعته في صندوق المجوهرات الصغير قبل بدء الحفل.

وعندما يمتلئ المنزل بالضيوف، وينشغل موظفو الخدمة وعمال صف السيارات والسقا، تحين لحظة الفتاة المنسية من محل الزهور لتتسلل مجدداً وتقتنص القطع التي لم تُختر لتزيّن تلك الليلة. وعندما يسأل الشرطي السيدة ألبرتون عن آخر مرة رأت فيها تلك القطع الثلاث، ستجيب بأنها رأتها قبل بدء الحفل مباشرةً، ممّا يبعد تماماً شبهة التورط عن موظفي توصيل الزهور.

أدركت حينها أن الحفاظ على فصل تلك الشخصية عن هويتي الحقيقية هو الأمر الأنسب. لوكا مارينو، طالبة في سنتها الأخيرة بالمدرسة الثانوية، تبلغ من العمر سبعة عشر عاماً، تُفصل الفساتين وتصنع المجوهرات التقليدية

لمُساعدة والدتها في تسديد الفواتير. أما الفتاة التي تعمل في محل الزهور، فلها شعُرٌ مختلف، ومكياج آخر، وتستجيب لنداءات اسمٍ غير الذي أعرفه.

يستغرق الأمر وقتًا لاستخراج الأحجار من أماكنها قبل أن أتمكن من إسقاط الذهب في وعاء الصهر الصغير. في الأسبوع القادم، سأتوجه في الاتجاه المعاكس، عابرةً إلى ولاية فيرجينيا، للتخلُّص من الأحجار والذهب. لا أحد يتعرف على أحجاره الكريمة بعد أن تُنزع عن مواضعها الأصلية.

رغم أن الأمر يحمل الكثير من المخاطرة مقابل بضع مئاتٍ من الدولارات، فإننا بحاجة إلى كل قرش. تعلمت أن استهداف المرأة المناسبة هو المفتاح. تلك التي تتمتع بمستوى من الثراء يسمح لها بالاستعانة بمُنسق زهور محترف لحفلتها، وتمتلك بعض المجوهرات الثمينة التي تشعر بالارتياح في وضعها داخل دُرج الحمام، لكنها ليست بالثراء الذي يدفعها لامتلاك خزانة معقدة أو نظام أمني يصعب تجاوزه.

أعمل بحذرٍ شديد، أفحص كل قطعة تحت مصباح إل إي دي مكبّر. إنه عملٌ بطيء يتطلب نزع كل شوكةٍ بعناية دون أن أضُرَّ بالحجر. كانت أُمي لتُنهي هذا العمل في دقائق. حسنًا، ليس تمامًا. كانت ستؤنّبني بشدة لو علمت فيما أستخدم أدواتها لأجله. لذلك قررت منذ زمنٍ طويل أن ما لا تعرفه لن يضرها.

أنتهي من العمل قبل مُنتصف الليل بقليل. ما زال لديّ بحثٌ يجب أن أكتبه، وأمي تحتاج إلى جرعةٍ أخرى من أدويتها قبل التوجّه إلى الفراش. في أثناء وضعي الأدوات في مكانها وإطفاء الضوء، بدأت أفكر بالفعل في حفل الزفاف الذي سأحضره غدًا.

الفصل الثامن

اليوم الحالي

يستغرق الأمر مني عشر دقائق لاستعادة هدوئي. كان الذعر تصرفاً أحمقاً، وآمل ألا أندم عليه لاحقاً.

لم ينبغ عليّ الابتعاد عنها.

كان عليّ أن أكتشف ما إذا اقتصرت معرفتها على إيدن والأحداث العامة في حياتي، أم أنها تمتد لأشياء أعمق لا يعرفها إلا قلة قليلة من الأشخاص. كان يجب أن أضغط عليها أكثر، أن أبحث عن الثغرة في قصتها وأكشفها بالكامل.

كان يجب أن أكون مستعدةً لهذا.

مرَّ وقتٌ طويل منذ أن بُوغتُ بهذا الشكل.

يمسح رايان الحشد بنظره بحثاً عني عندما أخرج من الحمام. لا يزال واقفاً في المكان نفسه الذي تركته فيه، ربما معتقداً أن بقاءه في مكانه سيسهل عليّ العثور عليه.

لكن جيمس والمرأة التي كانت معه قد اختفيا منذ فترة.

يجذبني رايان إليه فور وصولي، لافاً ذراعه حول خصري. يسألني: «هل أنت بخير؟ تبدين شاحبة».

ظهور تلك المرأة هنا مثيرٌ للقلق، لكنني لم أتمكن بعد من فهم تفاصيل الخطر الكامن. من السهل التسرع في الافتراض بأن الأمر مرتبط بمهمتي الأخيرة، لكن تجاهل الخيارات الأخرى سيكون خطأً فادحاً. كَوْنَت الكثير من الأعداء على مدار العقد الماضي، ولكن مَن تثق بهم يمكن أن ينقلبوا عليك بسهولة بالغة.

أذكر نفسي أنني أتعامل فقط مع الحقائق.

أومئ برأسي وأتنحنح قائلة: «نعم، كل شيء على ما يرام. يبدو أن المشروب أصابني بالدوار».

يبدو أن رايان شعر بالارتياح عندما أدرك أن مشكلتي لها حلٌ بسيط، فسحبني نحو طاولة البوفيه وملأ طبقاً من الطعام لي. وجد رايان مقعدين شاغرين إلى طاولة مُغطاة بقطعة قماش بيضاء من الكتّان، ووضع الطبق بيننا.

- إذا لم شعري بتحسُّن بعد تناول بعض الطعام، يمكننا المغادرة.

لكن لا سبيل لمغادرتي قبل أن أحظى بفرصةٍ أخرى لمواجهة تلك المرأة. أعبت بالخيارات الموجودة على الطبق، وأتذوق شطيرةً صغيرةً بينما يشير رايان إلى نادلٍ مارٍّ ليحلب لي زجاجة ماء.

أتنفس بعمق، محاولة استعادة توازني.

أقول بهدوء: «يبدو أنه مضى وقتٌ طويل منذ آخر مرة رأيتَ فيها صديقك

جيمس».

- نعم، يا إلهي، ربما مرَّت سنتان منذ آخر مرة رأيتَه فيها. كنَّا مقربين أيام طفولتنا، لكنه لم يعد للمدينة بعد الجامعة. (تظهر على وجهه علامات الحزن) الأمور لم تكن سهلة عليه مؤخراً. أخبرني أنه هنا لأن والده سقط وكسر ساقه، يبدو أنه سيبقى لبعض الوقت لمُساعدة والدته في رعايته.

أقترح: «ربما يمكننا دعوتهما على العشاء خلال فترة إقامته هنا. ستكون فرصةً جيدة لكما لاستعادة علاقتكما».

رد بتردُّد: «نعم، ربما».

أرغب في سؤاله عن الفتاة. عمّا يعرفه عنها. إن كان قد اكتشف شيئاً عنها. إن كان قد علم أي شيء بعد أن هرعت إلى الحمام. لكن هذا ليس من طبعي. شخصيتي التي خلقتها لا تعرف التطفل. لا تطرح أسئلة غير ضرورية. لا تحاول استقصاء المعلومات عن أصدقائه أو رفقائهم. أحتاج إلى أن تندمج اللحظات التي تشمل جيمس ورفيقته في ضباب اليوم، وألا تصبح تلك الفترة الزمنية التي تنفصل عن بقية الأحداث وتتحول إلى ذكرى مُستقلة.

لأن هذا هو كل ما يتطلبه الأمر. يُقال إنه إذا رغبت في أن تبقى لحظة معينة واضحة في ذاكرتك، فما عليك سوى إحداث تغيير طفيف في روتينك المعتاد. على سبيل المثال، إذا وجدت صعوبة في تذكر ما إذا كنت قد أقفلت باب منزلك قبل مغادرتك لقضاء عطلة، يمكنك التمييز بين تلك المرة وبين كل المرات الروتينية الأخرى التي قفلت فيها الباب من خلال القيام بحركة بسيطة. كالدوران حول نفسك قبل إدخال المفتاح في القفل. حركة بسيطة كافية لتجعل تلك الذكرى محفورة في ذهنك بشكل دائم، واضحة بما يكفي لتستطيع استرجاعها مرارًا وتكرارًا. سترى الباب، وترى المفتاح وهو يدور، وتشعر باهتزاز المقبض عندما تتحقق من القفل، وستكون على يقين تام بأنك فعلت ذلك.

لا أريد أن يبدأ رايان في تحليل هذا الموقف لاحقًا، متسائلًا عن السبب وراء اهتمامي بصديقه القديم والمرأة القادمة من كارولينا الشمالية. لماذا سعيت للعثور عليهما حتى نقضي مزيدًا من الوقت معهما. لا أريد أن تصبح هذه الأسئلة هي اللحظة البارزة في ذاكرته مثلما يحدث عند قفل الباب قبل المغادرة.

يوجد الكثير من الناس هنا، ولكن ليس بعددٍ يجعل من المُستحيل مصادفتهم مرةً أخرى قبل انتهاء الحفل. سأنتظر الآن وأُعيد التفكير في كل السيناريوهات التي قد تجعل هذا الموقف منطقيًا.

تصرخ سارا بحماس وهي تقترب من الطاولة: «تبدو قبعتك رائعة!».
أميل برأسي قليلًا، فتتمايل القبعة معي. أجيبها بالحماسة نفسها: «وقبعتك أيضًا!».

يصل بقية أصدقاء رايان بعد وقتٍ قصير، ومن النظرات الزجاجة والوجنات المُتورّدة، يمكن القول إن احتساء المشروبات قبل الحفل أدى غرضه بنجاح.

ينهض رايان من مقعده، مُرحّبًا بأصدقائه المُقربين بمصافحةٍ قوية ووضعه يده بثباتٍ على أكتافهم. إذا كانت لديهم أي تحفظات على تغيُّبنا عن الحفلة التمهيدية، فإنهم لا يظهرون ذلك. يجتمع الرجال في دائرةٍ مُحكمة على بُعد خطوات قليلة، بينما تجلس سارا في المقعد الذي كان يشغله رايان. تحضر بيت وأليسون كراسي من طاولة قريبة، لكن راتشيل تبقى واقفة على مسافةٍ قريبة.

تتحرك أليسون إلى حافة مقعدها، وتدعو راتشيل للانضمام إليها قائلة: «تعال، شاركني هذا المقعد».

ربما ترددت راتشيل بسبب عدم وجود مقعد فارغ، لكنني أعتقد أن تردُّدها نبع من رغبتها في الانضمام إلى الرجال بدلًا من الجلوس معنا.

حالما استقرَّ الجميع في أماكنهم، انحنى بيت نحوهم قائلة: «سأشعر بغضبٍ شديد إذا حضرت لأكتشف أنني أرتدي القُبعة نفسها التي ترتديها ثلاث نساء أخريات هنا». لا شكَّ أنها تشير إلى القُبعة المزينة بريش الطاووس، الذي يمتد بشكلٍ لافت حتى يكاد يلامس الأرض. رأيت بالفعل ثلاث نساء ترتدين القُبعة نفسها.

ترشف سارا من كوبها الفضي وتقول: «لهذا السبب عليك التسوق عند مارثا. فهي تحتفظ بسجلٍّ لكل قبعة تُباع ولا تُكررها. كما أنها لا تعرض القُبعات نفسها في العام التالي، في حال قررت الاستعانة بمقتنياتك القديمة. (ثم تومئ باتجاه أليسون مُضيفة): أو دعي بائع الزهور يصنع لك واحدة».

تبدو قبعة أليسون أشبه ببطانية من الورود الحمراء، كأنها مُستوحاة من بطانية الورود التي سيُعطى بها الحصان الفائز.

لا أستطيع منع ضحكة خافتة من الانفلات، فهذه القبعات تُعتبر أمرًا جدًّا للغاية. وبالنظر إلى تدرج عيني راتشيل وهزة رأسها، يبدو أنها الوحيدة التي توافقني الرأي في أن هذا الحفل مبالغ فيه.

تواصلن تحليل كل شخصٍ حاضر هنا، وأدرك أنني أستطيع استغلال ذلك لصالحى. إذا كان جيمس برنارد صديقاً قديماً لرايان، فهذا يعني أنه كان صديقاً قديماً لهنَّ أيضاً.

أحتاج فقط إلى فرصة للحديث.

تصرُخ أليسون بدهشة: «أوه! هل يمكنك تصديق أن جيانا كيلبورن تجرأت على الظهور هنا؟».

تسأل بيث: «أين هي؟».

تشير أليسون إلى امرأةٍ قصيرةٍ ممثلة ذات شعرٍ أشقرٍ تزين نفسها بكميةٍ مبالغ فيها من المجوهرات. كانت في حالة سُكرٍ واضحة. لاحظتها في وقتٍ سابق عندما حاولت السير من طاولة البوفيه إلى مكانها وكادت أن تسقط بسبب كعبها العالي.

تقول سارا: «لن أفهم الرجال أبداً. إذا كانوا سيخونون، فلماذا يفعلون ذلك مع امرأةٍ بائسة مثل جيانا؟».

وبعد أن انتهين من التكهّن بمن سيكون ضحية جيانا القادمة، أضيف: «التقى رايان بصديقٍ قديم لم يره منذ سنوات... جيمس برنارد. بدا عليه الحماس الشديد عند رؤيته».

تلتفت النساء الأربع في وقتٍ واحدٍ باتجاهي، وتبدو الدهشة جليةً على وجه بيث التي تتساءل بغمٍ مفتوح قليلاً كأنها مذهولةٌ ممّا سمعته: «أهو هنا؟».

أومئ برأسى وألقي نظرة على الباقيات، فأجد أنهنَّ جميعاً يظهرن درجاتٍ مختلفة من الصدمة والارتباك. باستثناء راتشيل. هذا الخبر لا يفاجئها.

أقول بهدوء: «إنه هنا بصحبة امرأة». لا أستطيع قول اسمها. لا أستطيع النطق باسمي.

تبدأ أليسون وبيث وسارا في الالتفات والبحث بين الحشود على أمل رؤية لمحةٍ منهما، بينما تظل راتشيل تنظر إليَّ بثبات.

ثم تعود بيث باندفاع وتقول: «لا أصدق أنه تجرأ على الظهور هنا. لا بدَّ أنه بحاجةٍ إلى المال».

أرتشف ببطء من الكوب كأن لديّ كل الوقت في العالم، ثم أخفضه وأتساءل بهدوء: «لماذا تقولين ذلك؟». قشرتي الخارجية الهادئة والمُتحكّمة التي عادةً ما تكون مُحكمة الإغلاق تهتز الآن وتُهدد بالتفتّت إلى مليون قطعة. تضيف أليسون: «كان دائماً مصدرًا للمشكلات. كاد أن يتسبب في إفلاس والديه بسبب إدمانه على القمار. تدخل لإنقاذه من ورطاته مرات أكثر ممّا ينبغي، ولا أحد يعرف أين كان خلال السنوات القليلة الماضية».

تسأل بيث: «كيف كان شكله؟ سيئ؟ أراهن أنه بدا سيئًا. وبصراحة، أنا متفاجئة أنه وجد رفيقة. لا بدّ أن حالتها لا تقل سوءًا عنه».

لا أعلق على أن رفيقته كانت بعيدة تمامًا عن تلك الصورة. تقول سارا: «أنا مندهشة أن لديه الجرأة ليتحدث مع رايان». بأكبر قدرٍ من الهدوء، أسأل: «لماذا؟».

تجيب أليسون بدلاً منها: «حاول رايان مُساعدته قبل عام. قدّم إليه وظيفة، ورتّب له مكانًا ليعيش فيه وكل شيء. لكن جيمس خذله بشكلٍ فظيع. سرق منه بعض المال أو شيءٌ من هذا القبيل. غضب رايان حينها للغاية».

- نعم، لكننا نعلم جميعًا أن رايان هو الشخص الذي يمكن أن يغفر له، إذا كان هناك أحد يمكنه فعل ذلك. أتساءل من تكون تلك الفتاة؟

تهز سارا مُكعبات الثلج في كوبها الفارغ. بضع مشروبات أخرى وسيتعين على راي حملها إلى الخارج.

أشعر بالقلق أكثر الآن. عودة جيمس غير مُرحّب بها، وظهوره هنا برفقة تلك المرأة يثير مخاوفِي. عليّ أن أفكر في احتمال أن المرأة التي تحمل اسمي وخلفيتي تستخدم جيمس للوصول إليّ.

راتشيل صامتة. صمتها يوحي بأنها قد تعرف إجابات كل الأسئلة التي تدور في أذهانهنّ.

بعد أن حَقَّق الجواد «وان فور ذا هَني»، الحصان الأقل حظًا، فوزًا غير متوقع في السباق منذ أكثر من ساعة، يعيش رايان في نشوةٍ عارمة بعدما حصد مبلغًا كبيرًا بفضل رهانه عليه.

تجوَّلنا وسط الحشود عدة مرات، ولكننا لم نصادف جيمس وتلك المرأة مرةً أخرى. ومن حديث الفتيات، يتضح أنهن لم يرونهما أيضًا. إشارتي إليه هو ورفيقته أثارت فضولهنَّ، وأصبحن مُتلهفاتٍ لرؤية كليهما.

يميل رايان نحو أذني ويهمس: «تعرفين، أفضل طريقة لإنفاق هذه الأرباح هي التوجُّه مباشرةً إلى المطار وعدم التوقف حتى نصل إلى شاطئ في المكسيك».

أستدير لمواجهته، أَلْفُ رباطٍ عنقه حول يدي اليمنى وأُسحبهُ نحوِي: «يعجبني هذا الاقتراح».

تخرج كلماتي بنعومة بينما أقترُب منه حتى أصبح متلاصقين تمامًا. إيفي بورتر تمتلك الكثير من الأشياء، لكن جواز سفرٍ ليس من بينها. ملأ رايان كوبه الفضي المنقوش عدة مرات، ولا أعتقد أن هناك احتمالًا حقيقيًا لتحقيق هذه الخطط، بالإضافة إلى أنه لن يغادر دون أن يُرتب أموره في العمل أولاً. ومع ذلك، من المُمتع أن ألعب دور الشريكة المُندفعة التي لا تتردَّد في الهروب إلى الشاطئ.

- حلمتُ بكِ وأنتِ ترتدين ذلك البيكيني الوردي الذي أخرجتِه من حقيبتكِ الأسبوع الماضي.

يخفض رأسه حتى تلامس شفاته عنقي. نحن على وشك إثارة ضجةٍ هنا، لأن هذا ليس نوع الحفلات التي يمرُّ فيها التعبير العلني عن المشاعر دون أن يُلاحظ.

هذه هي المرة الأولى التي أراه فيها يشرب بهذا القدر. يبدو سعيدًا تحت تأثير الكحول، كثير اللمسات. تنعكس مشاعره على وجهه الجميل ككتابٍ مفتوح، والجميع هنا يلمح ذلك.

- لا نحتاج إلى أن نكون على الشاطئ حتى أريك ذلك البيكيني الوردي.

نظرة سريعة حولنا تؤكد لي أننا بالفعل محور العديد من الهمسات. نبقي هكذا لبضع دقائق إضافية، لأن هدفي اليوم هو ترسيخ فكرة كوني حبيبة رايان، وكل ما سيتحدث عنه الناس هو كيف كان متعلقًا بي.

ولكن الآن، يبدو أن جيمس والمرأة قد رحلا، لذا أكون مستعدة للمغادرة أيضًا. كلما غادرتُ المكان بسرعة، أتمكّن من فهم ما يجري بشكلٍ أسرع. أقول له وأنا أخفف قبضتي على ربطة عنقه وأبتعد عنه: «اطلب من عامل صفّ السيارات أن يُحضّر سيارتك وسأقود بنا إلى المنزل».

يقترب رايان لطبع قبله، ولا أقاومه. إنها قبلّة بطيئة وحلوة، من النوع الذي يجعلك ترغب في المزيد.

والرغبة في المزيد تكون محفوفةً بالأخطار.

أسمح لنفسني بالعيش في هذا العالم لمدة ثلاثين ثانية فقط، العالم الذي تكون فيه هذه اللحظة حقيقية، حيث يُعلن صديقي عن حبه لي أمام الجميع ولا يوجد ما يمنع استمرار علاقتنا إلى الأبد، حيث لا يوجد شكٌ حول هويتي الحقيقية أو دوافعي.

لكن الوقت ينفد بسرعة. أقول له هامسة وأنا ما زلت قريبة من شفتيه: «الجميع يراقبنا».

يظل رايان مركزًا نظره عليّ، ويجيب: «جيد». ثم يسحبني نحو مكان تسليم السيارات، بينما يبحث في جيبه بيده الفارغة عن بعض النقود للبقيش وتذكّرة استلام السيارة. أصدقاؤه منتشرون حول الحفل، ولا يبذل أيّ منّا جهدًا لتوديعهم.

أرمي حذائي ذا الكعب العالي وقبعتي في المقعد الخلفي حالما أستقر خلف عجلة القيادة، ثم أضبط المقعد للأمام. يسترخي رايان في مقعده، بالكاد يبقى مُنتصبًا، وعيناه مُغلقتان بينما يدندن بهدوءٍ مع الأغنية المنبعثة من الراديو.

أحب رؤيته في هذه الحالة. في الأيام العادية، يكون متوترًا إلى حدٍّ كبير، وغالبًا ما يتعكر مزاجه إذا واجه مشكلةً في العمل، لكنه هادئ الآن ومسترخٍ. هناك جزء داخلي أكرهه، عندما تتسلل أفكارٍ فيما يمكنني استخلاصه منه

حينما يتخلّى عن حذره. كم من الأسرار يمكنني انتزاعها من تلك الشفاه المرتخية؟

يمدّ يده عبر المسافة الفاصلة بيننا، تتشابك أصابعه مع أصابعي.
- لوكا.

تخترق تلك الكلمة الواحدة رثتيّ، فيصعب عليّ التقاط أنفاسي. أشد قبضتي على عجلة القيادة، وهذا وحده ما يمنع السيارة من الانحراف عن الطريق والسقوط في الحفرة.

قبل أن يتمكن عقلي من استيعاب الكلمات، يُضيف: «تلك الفتاة التي كانت بصحبة جيمس. (لا تزال عيناه مغلقتين، لذا لا يرى الذعر الصامت الذي يملكني) قالت شيئاً غريباً بعد ذهابك إلى الحمام».

اللعنة.

اللعنة، اللعنة، اللعنة.

أتنفّس بعمقٍ من أنفي، ببطءٍ وثباتٍ أزفر من فمي.
مرتين آخرين.

أسأل بصوتٍ أملُ أن يبدو عليه الملل: «ماذا قالت؟».

- قبل أن يبتعدا، قالت إن جيمس يأمل في إعادة التواصل معي، لكنها قالتها بصوتٍ مُنخفض بحيث لا يسمعها. وأضافت أنها تحب أن تتعرّف عليك أيضاً.

تلك العاهرة.

أقول: «أوه، ولماذا يبدو ذلك غريباً؟».

يقول رايان بنبرةٍ مُحفّظة: «آخر مرة التقيتُ فيها جيمس كانت العلاقة بيننا مُتوترة. تعلمت أن أكون حذرًا عندما يتعلق الأمر به. لكنها تبدو لطيفة، أفضل منه بكثير».

أشعر بالغضب يتصاعد داخلي. رغم أنني لا أزال أترك الباب مفتوحاً أمام جميع الاحتمالات حول سبب وجودها هنا، فإنني واثقةٌ من أن هذه ليست صدفةً عابرة.

ينقلب رايان على جانبه، مستندًا بخده على المقعد، وعيناها تراقبانني بتركيز.

- لن أمدّ له يد العون مرةً أخرى. انتهى الأمر. إنه مسؤوليتها الآن.

أضُمُّ يدينا المتشابكتين إلى حجري، وأضغط عليهما برفق. يبتسم رايان تلك الابتسامة المُرِحة، وأتمنى أن يكون هذا الحديث كله ضبابيًا في ذاكرته غدًا. أقول بمزاح خفيف: «هممم... يبدو أنك معجبٌ بذاك البيكيني، أليس كذلك؟». أفلت أصابعي من بين أصابعه، لكنني أبقى يده مستندة على فخذي. ينتبه فجأة، وتبدأ عيناها بالتجوُّل من وجهي إلى أسفل جسدي. أضع يده تحت حافة فستاني، وأمرر أصابعه على الدانتيل الذي يزين الجزء العلوي من الجوارب الطويلة. تتسع عيناها دهشةً عندما يكتشف ما أخفيه تحت الفستان، لكنه لا يهدر الوقت في الإمساك بالأربطة التي تثبتها.

لا ترتدي العديد من النساء الجوارب الطويلة هذه الأيام، وأعترف بأنها اختراعٌ شيطاني، لكنني لم أجد رجلًا يمكنه مقاومة سحر الأربطة. فلا يمكنك التنبؤ متى ستحتاجين إلى تشتيت الانتباه بطريقةٍ مضمونة.

وما أحتاج إليه أكثر من أيِّ شيءٍ الآن هو التأكد من أن الذكرى التي ستتلور في ذهن رايان عندما يتذكر هذه الرحلة إلى المنزل، لن تتضمن لوكا مارينو.

الفصل التاسع

اليوم الحالي

أكره القدوم إلى هنا في غير أوقات العمل، لكن بعد ما حدث بالأمس لم أستطع الانتظار. المتجر مُغلق أمام الجمهور صباح يوم الأحد، لذا أُدخل رمزي السري على لوحة المفاتيح لأتمكّن من الدخول، ثم أتوجّه إلى الخلف بأسرع ما يمكن.

رغم محاولاتي الدائمة للتنبؤ بما سيفعله الآخرون، فإن الشيء الوحيد الذي لا يمكن التنبؤ به أبدًا هو ما سأجده في صندوق البريد.

كل مُهمة تختلف عن الأخرى، والطريقة الوحيدة التي يمكن لرئيسي من خلالها التحكّم في المهمة -وفيّ- هي حجب التفاصيل عنّي لأطول فترة مُمكنة. يُزودني بما يكفي من المعلومات للمضي قدمًا فقط، ولكن ليس بالقدر الذي يُمكنني من تجاوز توقعاته أو تغيير قواعد اللعبة.

وبالطبع، لا يُخبرني أبدًا بهوية العميل، لأن السيطرة هي الهدف. أول معلومة أحصل عليها هي الموقع. أتعلّم كل شيء عن البلدة التي سأُرسل إليها.

ثم يأتي اسم الهدف.

أنا من الأشخاص المحظوظين الذين يقرأون شيئاً مرةً واحدة ويظل محفوظاً في إحدى الزوايا العميقة من ذاكرتي إلى الأبد. لهذا السبب، كان من السهل استحضار الورقة المطبوعة التي عرّفتني على رايان.

الهدف: رايان سَمْنر.

رايان رجلٌ أبيض أعزب يبلغ من العمر ثلاثين عامًا، يقيم في 378 درايف بيرش، ليك فورينج، لوزيانا. تخرج في جامعة ولاية لوزيانا في سن الثانية والعشرين بشهادة في إدارة الأعمال وتخصّص فرعي في المالية. بعد ستة أشهر من التخرّج، اجتاز امتحان السلسلة السابعة، ويعمل حاليًا مخطّطًا ماليًا.

طفولته: لدى رايان أخت واحدة تُدعى ناتالي، تكبره بثلاث سنوات. والده، سكوت سَمْنر، تُوفي نتيجة حادثة سير عندما كان رايان في العاشرة من عمره. والدته، ميريديث سَمْنر (المعروفة الآن باسم ميريديث دونالدسون)، تزوجت مرةً أخرى في غضون عام من وفاة والده. انتقل رايان إلى العيش مع جدّيه من جهة والده، إنجريد وويليام سَمْنر، عندما كان في الثانية عشرة من عمره بسبب عدم توافقه مع زوج والدته الجديد. تُوفيت إنجريد قبل ست سنوات بعد معاناة قصيرة مع السرطان. أما ويليام، فقد تُوفي بعد عامٍ نتيجة تمُدّد في شريان الدماغ في أثناء وجوده في المنزل على فراشه، وكان رايان هو مَنْ اكتشف وفاته. ترك الجدّان المنزل ومحتوياته لرايان، وقُسمت الأصول المالية بينه وبين ناتالي.

يقيم رايان حاليًا في منزل جدّيه. يُعد ذلك المنزل ملاذًا له، لذا يجب التعامل بحذر في هذا الأمر. إذا شعر رايان بالاطمئنان بما يكفي ليدعوك إلى منزله، فاعلمي أنك قد نجحت في مهمتك.

يشير تاريخ علاقات رايان العاطفية إلى ميله نحو النساء. كانت أطول علاقة له مع امرأة تُدعى كورتنى بانينج، واستمرت

خلال سنتيه الثانية والثالثة في جامعة لوزيانا. انتهت العلاقة عندما غادرت كورتنى لقضاء سنتها الدراسية الأخيرة في إيطاليا. بعد عودته إلى ليك فوربينج، حاول رايان استئناف علاقته بحبيبته السابقة من المدرسة الثانوية، أميليا رودريجيز، ولكن العلاقة استمرّت لمدة خمسة أشهر فقط. منذ ذلك الحين، خاض رايان علاقات غير جدّية، غالبًا عند حاجته إلى مرافقة لحضور مناسبات اجتماعية أو مناسبات مُتعلقة بالعمل. نتجت بعض هذه العلاقات عن لقاءاتٍ عابرة في الحانات أو النوادي الليلية، لكنها لم تتكرر. **لا يُنصح بالبدء في التواصل معه في بيئة كهذه.** رايان جزء من مجموعة أصدقاء مُترابطة للغاية، ويُعرف عنه أنه مستعد دائمًا لمُساعدتهم. يعتبره أصدقاؤه شخصًا موثوقًا ويمكن الاعتماد عليه. يبدو أن تقمُّص دور الفتاة الواقعة في محنة هو النهج الأنسب للتقرب منه.

في الأسابيع التي سبقت لقائي برايان، كرسْتُ نفسي تمامًا لمعرفة كل شيء عنه. شاهدت أبرز لحظات مباريات كرة القدم التي خاضها في المدرسة الثانوية، وتتبع حسابات أفراد عائلته على وسائل التواصل الاجتماعي، وقضيتُ ساعاتٍ طويلة في مُراقبة حياته اليومية، سواءً شخصيًا أو من خلال كاميرات المراقبة. وكان نهج الفتاة الواقعة في محنة بالتأكيد هو الاختيار الأمثل.

بعد تحديد الموقع، تُمنح لي الهوية التي سأستخدمها في المهمة، متضمنةً اسمًا وسيرةً ذاتيةً مُختلفة. كل شيء يُصمَّم بدقة، مع توفير الوثائق اللازمة لدعم الرواية. تفحَّصتُ بعناية صور كورتنى وأميليا المرفقة بالتقرير. كلتاهاما تتمتعان بشعرٍ طويل داكن، لذا لا بدَّ أن يكون لشخصية إيفي بورتر التسريحة واللون نفسه، لكن هنا تنتهي أوجهُ التشابه. على الرغم من أن رايان قد ينجذب إلى نوعٍ مُعين من النساء، فإن تلك العلاقات لم تدم طويلاً. ستتأقن إيفي لتخطف الأنظار وتترك انطباعًا لا يُمحى، بأسلوبٍ يجمع بين البوهيمية

والهيبى، مع مكياجٍ خفيف ولكن مع ارتداء الكثير من القلائد والأساور. هذا بالضبط ما يحتاج إليه الفتى المثالى المُحافظ ليُخرج من رتابة حياته.

وفي النهاية، القطعة الأخيرة من اللغز التي أتلّقاها هي المهمة نفسها. في بعض الأحيان، تكون المهام قصيرة، تستغرق بضعة أيام إلى أسبوع. دخول سريع وخروج أسرع. ولكن في أحيان أخرى، تستغرق المهمة وقتًا أطول، قد تمتد إلى شهور. قيل لي إنني قد أبقى في هذه الهوية لفترة طويلة. فعمل رايان في شرق تكساس يلعب دورًا حاسمًا في هذه المهمة، والحصول على المعلومات التي أحتاج إليها لن يكون سهلًا.

نظرًا إلى عدم رضا رئيسي عن الطريقة التي انتهت بها مهمتي الأخيرة، فإنني أُسيرُ على حبلٍ رفيع. قبل ستة أشهر، كُلفت باستعادة معلومات حساسة للغاية استُخدمت لابتزاز أحد عملاء رئيسي منذ فترة طويلة. وعندما يكون هذا العميل هو فيكتور كونولي، رئيس واحدة من أكبر عائلات الجريمة في شمال شرق البلاد، فإن الفشل ليس خيارًا مطروحًا. لكنني فشلتُ في استرجاعها.

الإتقان في هذه المهمة أمرٌ بالغ الأهمية. الفرص الثانية في هذا النوع من العمل نادرة جدًا. علمت أن رئيسي سيختبرني في هذه المهمة. عليه أن يقرر إذا ما زلتُ أحد أفضل أصوله أم أنني أصبحت أكبر عبءٍ عليه. توقعتُ أن تكون هذه المهمة صعبة، لكنني لم أتوقع مواجهتها.

لوكا.

وصولها يغير كلَّ شيء، ولهذا السبب أتُحقق من صندوق البريد في يوم أحد.

لُحُسِنَ الحظ، الجو ممطر، لذا أبقى المعطف الأسود مشدودًا بإحكام مع رفع القلنسوة. تنزلق القطرات على المعطف وتتساقط على الأرض مع كل خطوة أخطوها، حتى أصل أمام صندوق البريد رقم 1428.

أخذ نفسي عميقًا ثم أدخل الرقم المطلوب. أفتح الباب ببطء.

أُحْدِقْ إِلَى الْفَتْحَةِ الْفَارِغَةِ بَيْنَمَا تَتَشَبَّعُ السَّجَادَةُ أَمَامِي بِالْمَاءِ. أُعِيدِ إِغْلَاقَ الْبَابِ وَأَدْخِلِ الرَّمْزَ مَجْدِّدًا لِقَفْلِهِ. بِمَجْرَدِ عَوْدَتِي إِلَى سَيَارَتِي، أَفَكِّرُ فِي الْخُطْوَةِ التَّالِيَةِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ أَتَّخِذَهَا.

تَعَلَّمْتُ أَنَّ الْحَذَرَ مِنْ كُلِّ احْتِمَالٍ فِي أَثْنَاءِ أَدَاءِ الْمَهْمَةِ أَمْرٌ لَا مَفَرَّ مِنْهُ، وَلَكِنْ حَدْسِي يُخْبِرُنِي أَنَّ تِلْكَ الْمَرْأَةَ جَاءَتْ مِنَ الْجِهَةِ نَفْسِهَا الَّتِي أَرْسَلْتَنِي. وَكَمَا قَالَتْ أُمِّي دَائِمًا: شَيْطَانٌ تَعْرِفُهُ أَفْضَلُ مِنْ شَيْطَانٍ لَا تَعْرِفُهُ.

هَذَا رَقْمٌ يُمْكِنُنِي الْإِتِّصَالَ بِهِ لِإِبْلَاغِهِم بِالتَّطَوُّرَاتِ الْآخِرَةِ، وَلَكِنِّي حُذِّرْتُ مَرَارًا وَتَكَرَّرًا مِنْ أَنَّ اللَّجُوءَ إِلَيْهِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْحُلُّ الْآخِرَ. إِنَّهُ الْخُطْوَةُ الْآخِرَةُ قَبْلَ الْإِنْسِحَابِ مِنَ الْمَهْمَةِ، أَوْ إِذَا كُشِفَتْ هُوِيَّتِي. إِنَّهُ اعْتِرَافٌ بِالْهَزِيمَةِ، أَوْ مَا هُوَ أَسْوَأُ؛ أَنْكَ قَدْ كُشِفْتَ.

وَلَكِنْ رَئِيسِي لَمْ يَذْكُرْ أَبَدًا أَيَّ بروتوكولٍ لِلتَّعَامُلِ مَعَ حَالَةٍ تَوَاجَهَ فِيهَا مُحْتَالًا يَنْتَحِلُ هُوِيَّتِي الْحَقِيقِيَّةَ.

أَخُوضُ الْآنَ أَرْضًا غَيْرَ مُسْتَكْشَفَةٍ.

لوكا مارينو - قبل ثماني سنوات

تتزايد قيمة المُزايمة على رحلة المكسيك لتصل إلى اثني عشر ألف دولار. يدَّعون جميعاً أنها «من أجل قضية نبيلة!»، لكن عليك أن تكون ثملاً لتدفع أكثر من عشرة آلاف دولار في رحلة لا تتجاوز قيمتها الفعلية ألفي دولار في أفضل الأحوال.

أنا ممتنة فقط لأن كل مَنْ هنا لديه سقفُ ائتماني يسمح له بأن يكون بهذا السخاء.

أحمل صينية فارغة فوق كتفي وأتجول في قاعة الرقص. إنه مساءٌ سبتٍ آخر في رالي، وحفلٌ خيري آخر لجمع التبرعات تُعرض فيه مئات القطع في المزاد. الليلة، يرتدي الحضور بذلات رسمية وفساتين فاخرة لدعم نقابة الأوبرا المحلية.

يقف أمامي رجل في الخمسينيات من عمره، يطيل النظر إلى صدري بما يتجاوز بكثير الوقت اللازم لقراءة اسمي على شارة الهوية. يسألني: «سوزان، هل يمكنني الحصول على كأس من الماكالان مع الثلج؟».

- بالطبع، يا سيد فولر. ما هو رقم عضويتك؟

لم يُفاجأ بمعرفتي لاسمه، فأجابني بالأرقام الخمسة بسرعة، رغم أنني كنت أعرفها مسبقاً.

أخذ طلبين آخرين قبل أن أصل إلى البار، ثم أقضي الدقائق العشر التالية في البحث عن كل عضوٍ لتسليم مشروبه. بعض الزبائن أتعرف عليهم

باعتبارهم من الرّواد الدائمين؛ فهم يحضرون إلى هنا كل نهاية أسبوع لحضور فعالية ما. ولكن هناك الكثير ممن لم أتعرف عليهم من قبل.

حصلت على هذه الوظيفة منذ بضعة أشهر، وكانت أكثر ربحًا من الناحية المادية ممّا توقعت. في وقت سابق من اليوم، بعد أن جُهِز كل شيء لهذه الليلة، أضفت ماسحًا ضوئيًا إلى إحدى آلات بطاقات الائتمان. عندما يدفع الضيوف مُقابل تلك الأشياء المبالغ في سعرها، سأحصل على نسخة من كل اسم ورقم بطاقة ائتمان وتاريخ انتهاء صلاحيتها.

الماسح الضوئي كان باهظ الثمن، وآمل بعد هذه الليلة أن أتمكن من اقتناء جهازٍ إضافي.

تكمُن الخدعة في الاحتفاظ بتلك البيانات لفترة من الوقت. لا طائل من استخدامها الآن إذا اكتشف النادي أن العديد من الأعضاء أبلغوا عن سرقة بطاقاتهم الائتمانية الليلة، وبدأوا في التحقيق فيمن كان حاضراً. وكما قالت أُمي: الطمع يُقل ما جمع. لذا، سأستخدم تلك البطاقات الائتمانية بين الحين والآخر بمبالغ ضئيلة بعد بضعة أسابيع. لن تكون مبالغ كبيرة لدرجة تثير الريبة أو التساؤل عن المُعاملة على الفور. ومع وجود هذا الكم الكبير من الأرقام بين يديّ، ستتراكم تلك المبالغ الصغيرة بسرعة ملحوظة.

يعلن مُقدم المزاد عبر الميكروفون: «رحلة شاملة لأربعة أشخاص إلى كابو تَباع للسيدة رولينز بمبلغ ثلاثة عشر ألفًا وخمسمائة دولار!». ثم يضرب المطرقة على المنصة. تتصاعد الهاتفات في أرجاء القاعة.

نعم، لن أشعر بالذنب حيال هذا الأمر.

تبدأ الفرقة الموسيقية بالعزف فور بيع آخر قطعة في المزاد. يمتدُّ طابور المحاسبة على طول الجدار الخلفي للقاعة، ويتحرك طاقم الخدمة بسرعة لضمان أن أيّ عضو عالق في الانتظار لا ينقصه شيء. حتى إنني أحجز أماكن لبعضهم عندما يعتذرون للذهاب إلى الحَمَّام.

مع اقتراب المساء من نهايته، أبقى بالقرب من طاولة المُنظمين حتى أتمكن من استعادة الماسح الضوئي.

أسأل المرأة المسؤولة بينما يبدأ فريقها بتفكيك مُعداتهم: «هل أستطيع تقديم المساعدة؟».

تقول بحماسٍ مفرط: «نعم! يمكننا الاستفادة من أي مساعدة!». تضغط على ذراعي بطريقةٍ ربما تعني بها شكرًا للرب على وجودك، ولكن شعورًا غامضًا يتسلل إليّ، يجعلني أعتدل في وقوفي وألقي نظرةً على المكان بعينٍ فاحصة. هناك شيءٌ لا يبدو صحيحًا. أبدأ في تعبئة الكُتيبات المتبقية في صناديق، ثم أرصّها على العربة التي ستنقل كل شيءٍ إلى موقف السيارات، مع مُراقبتي الدقيقة لكل من حولي. تبدو الأمور طبيعية كما في أي ليلةٍ أخرى، لكنني أبتلع شعور الشك الذي يغمرني. وعندما ينشغل الجميع، أتحرك نحو آلة بطاقات الائتمان، ألتقطها بسرعة، وأخرج الماسح الضوئي بحركة خاطفة.

يسألني صوتٌ من خلفي: «ماذا تمسكين في يدك؟». أشعر ببرودةٍ تسري في عروقي. أستدير بسرعة مادةً يديّ، حيث أحمل الآلة في يدٍ والماسح الضوئي الصغير في الأخرى.

- أنا آسفة جدًا. يمكنك خصم ثمنها من راتبي. لم أدرك مدى هشاشتها عندما التقطتها.

أقدم القطعتين إلى مديري، ثم أنظر إلى عينيه. أستطيع أن أرى أنه يشعر ببعض الارتباك للحظات، ولكنه سرعان ما يستعيد توازنه.

- يمكنك التوقف عن تصنُّع البراءة. نحن نعلم جيدًا ما فعلته، تسرقين أعضاءنا وضيوفهم.

يقولها السيد سوليفان بغضب وهو ينتزع القطع من يديّ ويدفعها نحو ضابطي شرطة يرتديان زيَّهما الرسمي ظهرا بجانبه. لكن لم يأخذ أيُّ منهما الجهاز. يمدُّ الضابط الأقرب إليه كيسًا بلاستيكيًا كبيرًا للسيد سوليفان ليضع الأدلة فيه بدلًا من ذلك.

تتجعد جبهتي من الارتباك، وينفتح فمي قليلًا. لا يزال بعض الأعضاء يتجولون في الغرفة، وقد لفت انتباههم تعاملُي مع رجال الشرطة، ما يدفعهم إلى الاقتراب أكثر. يعمل عقلي بسرعة محمومة، أفكر في الحاسوب المحمول

والمودم المُختبئين تحت طاولة الحلوى على بُعد خطواتٍ قليلة فقط من مكان وقوفنا. يوشكُ فريق التنظيف إزالة الغطاء وكشف ما تحته.

أرفع يديَّ في الهواء، كَفَّاي موجهتين نحو السيد سوليفان: «انتظر لحظة. هل تعتقد أنني كنت أسرق باستخدام هذا الجهاز البلاستيكي الأسود؟».

يتخلَّل صوتي بعض الاهتزاز، كما لو أنني على وشك الانهيار من شدة التأثُّر. ألتفت نحو الضباط، وأقرأ أسماءهم بسرعة: «الضابط فورد، كل ما كنتُ أحاول فعله هو المساعدة في تنظيف المكان!».

تتجمع الدموع في عينيَّ حتى تسقط دمعة كبيرة على خدي. أحتاج فقط إلى لحظةٍ لجمع أشتائي والهروب من هنا. لا يمكنني أن أسمح لهم بالقبض عليَّ، فأنا أعلم تحت اسم ورقم ضمان اجتماعي مُزيَّفين، لن يصمدا أمام أي نوعٍ من التحقيق. عليَّ أن أختفي بسرعة.

يلتفت السيد سوليفان إلى الضابط ويليامز، بعدما بدا أن الضابط فورد يميل لتصديقي.

- أريدها خارج المكان. الآن.

يهزُّ ويليامز رأسه موافقًا، لكنه يسحب مفكرةً صغيرة من جيبه الخلفي.

- بالطبع، ولكن سأحتاج إلى بعض المعلومات قبل أن نغادر.

يشير إلى كرسي بجانب الطاولة ويطلب مني الجلوس. أفكر في الهروب لمدة ثلاث ثوانٍ فقط، لكن دون حاسوبي المحمول لن أتمكن من الابتعاد كثيرًا.

أجلس بهدوءٍ متأملًا وجوه الحاضرين في الغرفة، بينما يتحدث ويليامز مع المُنظمين ويقف فورد بجانبه. يسأل ويليامز المرأة التي ضغطت على ذراعي سابقًا: «هل يمكنك أن تخبريني كيف اكتشفت أن هناك مشكلةً في إحدى الآلات؟».

تُجيب بابتسامةٍ مشرقة: «بالطبع. عندما استخدمنا البطاقة في وقتٍ سابق من المساء، لاحظنا أن القطعة السوداء خرجت مع البطاقة. وبعد تفحص بقية الآلات، اكتشفنا أنها موجودة فقط في تلك الآلة، ممَّا أثار تساؤلاتنا

حول ماهيتها. أبلغنا السيد سوليفان، وتوصلنا إلى أنها أحد تلك الماسحات الضوئية. ولم نستخدم تلك الآلة مرةً أخرى».

يُدوّن ويليامز كل شيء، ثم يسأل: «هل يمكنك إخباري مَنْ كان يعمل على تلك الآلة المُحددة؟».

ترفع امرأة شقراء قصيرة تقف على مقربةٍ يدها وتقول: «أنا مَنْ كان يعمل على الجهاز». ثم ترمقني بنظرة اعتذارٍ، كأنها تشعر بالذنب لمساهمتها في إلقاء القبض عليّ.

يبدأ ويليامز بتسجيل اسمها ويطرح عليها سلسلةً من الأسئلة، لكن يقاطع السيد سوليفان استجوابه أخيرًا: «كان ينبغي عليك أن تكون على درايةٍ بكلّ هذا. أرسلتك الشرطة إلى هنا لمُراقبة الموقف ومعرفة ما إذا كان المجرم سيحاول استعادة الجهاز».

مرّ ما يقرب من ثلاثين دقيقة منذ أن اكتُشف أمرِي، ولا يزال الأعضاء الحاضرون يقتربون، ومن الواضح أنه يريدني أن أغادر الغرفة قبل أن يتدخلوا.

- نرغب في توجيه التهم إليها بشكلٍ رسمي وأودُّ إخراجها من المكان فورًا.

يقول أحد أعضاء فريق التنظيف، وهو يحمل مفرش طاولة ملفوفًا بإحدى يديه ويشير بالأخرى إلى الأرض: «عذرًا، يبدو أن أحدهم ترك أغراضه تحت الطاولة».

اكتشفوا مُعداتي. صحيح أن حاسوبي المحمول محمّي بكلمة مرور، ممّا يعني أنهم لن يتمكنوا من الوصول إليه، لكن إذا صُودر، فسأخسر كل شيء. تقترب المُشرفة لتفحص الأغراض، ثم تلتفت نحو الشرطة قائلة: «هذه الأغراض ليست لنا».

يتقدم فورد نحو الطاولة، مستخدمًا مناديل ليمسك بالحاسوب والمودم دون لمسهما مباشرةً. ينظر إليّ ويسأل: «أعتقد أن هذا يخصك؟».

أتجاهله. فيضع الأجهزة في صندوق وقرّه أحد المنظمين. كما يأخذون حقيبتَي التي استعادوها من غرفة الاستراحة أيضًا.

يقول السيد سوليفان بصوتٍ مُفعم بالاشمئزاز: «أخرجها من هنا». يسحبني ويليامز من على الكرسي ثم يديرني لأواجه الغرفة: «أعطيني يدك».

يقيد يديَّ بينما يسرد عليَّ حقوقي. ينخفض رأسي بينما يُخرجني ويليامز خارج المكان، ويتبعه فوررد حاملاً جميع أجهزتي. أشعر بالغضب من نفسي. غاضبة لأنه قُبض عليَّ، وغاضبة لأنني لم أصغِ لحدسي عندما حاول إخباري بأن هناك شيئاً غير صحيح.

نقف في موقف السيارات إلى جوار سيارة الشرطة، يضع فوررد الصندوق على الأرض ليُخرج مفاتيحه. حالما يفتح السيارة، يفتح ويليامز الباب الخلفي ويشير لي بالتقدم.

أقول بنبرةٍ تقريرية: «أعتقد أنك مضطّرٌّ إلى احتجازي».

على الأقل، يبدو عليه عدم الحماس وهو يرد: «نعم، يجب عليَّ ذلك. لكن إن كانت هذه مخالفتك الأولى، فهناك احتمالٌ كبير أن يتساهلوا معك».

يتحرك فوررد لوضع صندوق أغراضي في صندوق السيارة، عندما يقترب منّا رجلٌ مسنٌ يرتدي بنطالاً وقميصاً فوقه سترة بنية رخيصة.

ينادي الرجل: «ويليامز». فيلتفت الضابط نحوه قبل أن يتمكن من إدخاله إلى السيارة.

بدهشة، يقول الضابط ويليامز: «المحقق ساندرز! هل استدعاك أحدٌ لهذا الأمر؟».

ينظر المحقق إليَّ بسرعة ثم يوجه اهتمامه إلى ويليامز: «نعم، قلق شخص ذو نفوذٍ بشأن معلومات بطاقته الائتمانية وما شابه، فاتصل بالقائد. أمرني بالحضور بسرعة والتعامل مع الموضوع حتى لا نتعرض إلى أي مشكلاتٍ لاحقاً».

يمدُّ الرجل ذراعيه بوضوح طالباً من فوررد أن يسلمه الصندوق الذي يحتوي على حاسوبي المحمول والمودم وحقيبة ظهري، وهو ما يفعله فوررد دون أي مقاومة تُذكر.

يلتفت الضابط ويليامز نحوي ويسأل: «هل تريد مني اقتيادها أم أنها ستأتي معك؟».

يردُّ الرجل بلهجةٍ حازمة: «ستأتي معي. فُكَّ قيودها، وسأتولى تأمينها بأصفادي».

وفي غضون لحظات، أتحرك من القيود، فقط لأجد نفسي تحت مسؤولية الوافد الجديد.

ينظر إليَّ من علٍّ سائلاً: «هل ستسيرين معي إلى سيارتي دون مشكلات، أم يتوجب عليَّ إعادة تقييدكِ بالأصفاد الآن؟».

أجيبه بهدوء: «سأتعاون».

يعود الضابطان إلى سيارة الدورية وينطلقان بعيداً بينما نقترّب من سيارته التي لا تحمل أيَّ علامات. يضع الصندوق في المقعد الخلفي ثم يلتفت إليَّ، ممسكاً بهاتفٍ صغيرٍ في يدٍ وحقيبتني في الأخرى. يقول بلهجةٍ أمرّة: «اتصلي بالرقم الموجود في هذا الهاتف، وافعلي ما يُطلب منك، وستستعيدين أغراضك».

عندما لا أمدُّ يدي لأخذ أيٍّ منهما فوراً، يهزُّ الهاتف في الهواء أمامي قائلاً: «لا أنصحكِ بتفويت هذه الفرصة. لن تحصلي على عرضٍ آخر».

أخطف الهاتف والحقيبة من يده وأحدق به سائلة: «هل ستتركني أذهب؟».

يتحرك نحو باب السائق دون أن ينبس بكلمة. أقف في مكاني متجمدة حتى تختفي أضواء سيارته الخلفية في الظلام.

يدفعني الضجيج القادم من باب النادي الأمامي للتحرك بسرعة؛ بدأ الحشد يتفرق الآن بعد انتهاء الإثارة. أركض نحو سيارتي وأخرج المفاتيح من حقيبتني. أضع الهاتف على المقعد الأمامي، لكنني لا ألمسه حتى أصل إلى شقة المرأب التي أعيش فيها.

أندفع إلى الداخل، ملقية حقيبتني على طاولة المطبخ الصغيرة، ثم آخذ الهاتف معي إلى السرير. هناك جهة اتصالٍ واحدة مُسجلة: السيد سميث.

أضغط على الاسم وأختار الاتصال. أقول فور بدء المكالمة: «قيل لي أن أتصل بهذا الرقم».

- كنّا نراقبك.

يفاجئني الصوت الآلي، فأكادُ أسقط الهاتف من يدي. إنه يستخدم أحد تلك الأجهزة لتغيير الصوت.

- أولاً في جرينسبورو، والآن في رالي. نأسف لسماع خبر وفاة والدتك. أشعر ببرودةٍ تسري في داخلي. لا يمكن لأحد أن يربط بين الفتاة التي تعيش في هذه الشقة وتلك التي سكنت الحيّ السكنيّ الخاص بالمقطورات في إيدن. لقد تأكّدتُ من ذلك. أو على الأقل هكذا ظننت.

- لماذا؟

- تمكنت من الحصول على شيءٍ لم ينبغ لك الوصول إليه. استغرق الأمر منّا بعض الوقت والموارد لاكتشاف أنك من فعل ذلك. نادراً ما أعجب بشخص، لكن بطريقةٍ ما نجحت في ذلك. أوه، اللعنة.

رغم أنني أشعر بالهلع داخلياً، ألتقط بعض الأنفاس لأهدئ نفسي. لم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً لأنتقل من سرقة قطع المجوهرات البسيطة إلى اللوحات الفنية، والفضة، والتحف... أي شيء يمكنني حمله بسهولة. وعندما تبحث بعمقٍ كافٍ على الإنترنت، يمكنك العثور على مشتري لأي شيء. أسأل: «هل تريد استعادته؟».

- استعدنا القطعة بالفعل.

هذا يجعل الأمر أسوأ بكثير.

- وقعت في مشكلةٍ كبيرة، مع الأسف. كان حظك سيئاً حينما خانتك معدّاتك وكشفتُ أمرِك. ربما لم أكن لأتمكن من إنقاذك لو وصلت إلى مركز الشرطة.

أستلقي على سريري محدقاً إلى السقف. يبدو هذا الموقف كأنه حلم، ولا أعرف كيف أستوعبه. لم يهتم بي أحد منذ أن مرضتُ أمي، ولم أتخيل أن يكون ملاكي الحارس ذا صوتٍ آلي.

- أعتقد أنه ينبغي عليّ شكرك. كيف تمكنت من فعل ذلك؟
- استعنت بأحدهم. حاسوبك المحمول بحوزتي، وأظن أنك ترغبين في استعادته بشدة. لديّ مهمة أريدك أن تقومي بها، وإذا استمعت لي، سأعيد لك كل ما تملكين.
- أسأله: «حتى لو رفضت المهمة؟».
- يردُّ بثقة، «لن ترفضني. بحثت دوماً عن الفتات، وأنا أعرض عليك مبلغاً من المال لم تحلمي به من قبل، بالإضافة إلى الدعم الذي سيضمن عدم تعرضكِ للمشكلات كما حدث هذا المساء».
- أظُلُّ صامتة، لأننا نعلم جيداً أنني سأوافق.
- سأرسل إليك العنوان في رسالة نصيّة. كوني هناك صباح يوم الإثنين في تمام الساعة التاسعة.
- ثم ينقطع الاتصال.



أودُّ القول إنني لم أشعر بأي فضول تجاه المهمة، وإنني كنت عازمةً على رفضها مهما كانت، لكنها ستكون كذبة.

عندما حلَّ صباح الإثنين، كنت مختبئةً على بُعد مسافة قصيرة من العنوان، بعيداً عن الأنظار، قبل شروق الشمس. قادني العنوان إلى مكتبٍ لتسديد الكفالات، وبحلول الثامنة صباحاً، يتدفق حشدٌ من الناس بشكلٍ مُنتظم داخل وخارج المكان، وهو ما يبدو طبيعياً لمثل هذه المؤسسة بعد عطلة نهاية الأسبوع.

لا أحب الدخول إلى المجهول، وآمل أن أرى شخصاً مألوفاً قبل أن يُطلب مني أيُّ شيء. لم يمنحني الصوت على الهاتف أي خيطٍ أتبعه. لست متأكدة من أن اللكنة يمكنها أن تُنفذ عبر جهاز تغيير الصوت، لكن حدسي يخبرني أنه لو كانت لديه لكنة من قبل، فقد فعل مثلما فعلت؛ أمضى سنواتٍ في طمس أي أثرٍ لهويته أو مكان نشأته.

لم يستغرق الأمر طويلاً بعد أن بدأت عملي الأول في محل الزهور حتى أدركت أن لكنتي الريفية خلقت فجوة أكبر بيني وبين النساء اللواتي يزرن المتجر، أكبر حتى من تلك التي قد تخلقها حساباتنا المصرفية. الطريقة التي تمشي بها، تتحدث بها، وتتحرك بها تكشف عنك أكثر مما يمكن لأي شيء آخر أن يفعل.

لا بد أنني والسيد سميث قد تقاطعت طرُقنا في الماضي إذا تمكنت من انتزاع شيء منه. الأسماء، الوجوه، الأماكن، الأحداث، والأرقام تنطبع في ذاكرتي فور رؤيتها أو سماعها. لكن مع اقتراب الساعة من التاسعة، أستسلم لفكرة الدخول دون معلوماتٍ مُسبقة، إذ لا يوجد في الشارع سوى الغرباء.

يقع المبنى المنخفض المصنوع من الطوب البني في مُنتصف الشارع، محاطاً بمبانٍ كثيفة مماثلة على جانبيه. أفتح الباب تحت لافتة زرقاء مكتوب عليها إيه. إيه. إيه. إيه للتحقيقات وتسديد الكفالات، وأسفلها بخط أصغر: صرف الشيكات وقروض يوم القبض.

حالما أخطو إلى الداخل، تجتاحني موجة من الحرارة ممزوجة برائحة العرق. تشير لي موظفة الاستقبال نحو منطقة الانتظار بعد أن أعطيتها اسمي، ثم تلتقط الهاتف لتعلن وصولي لمن هو على الطرف الآخر. كراسي غير متناسقة مُصطفة على طول الجدران المغطاة بملصقات تجمع بين صور الحياة البرية والاقتراسات التحفيزية، كأن النسر الأصلع يفهم شيئاً عن القيادة. أجلس في مقعدٍ شاغر بين نبتتين شبه ميتين. الأشخاص الوحيدون الآخرون الذين ينتظرون هم زوجان يتجادلان بهدوء في الزاوية، ورجلٌ مُسنٌ إلى يميني منحني في كرسيه ويُسخر بصوتٍ عالٍ.

بعد عدة دقائق، تنادي موظفة الاستقبال اسمي وتُشير إلى الممر خلف مكتبها.

- آخر بابٍ على اليمين.

هذا كل ما قالته.

أمرٌ بثلاثة أبوابٍ مغلقة في الممر الضيق قبل أن أتوقف أمام الباب الذي أشارت إليه. أخذ ثانيةً أو اثنتين لأهدئ نفسي، ثم أطرق على الباب.

يأتي ردُّ مكتوم: «ادخلي!».

أدفع الباب وأدخل، لأتفاجأ بالرجل الجالس خلف المكتب. في مُخيلتي، كنت قد تخيلت الشخص النمطي الخبيث: رجل قصير، أصلع، ذو ابتسامة ماكرة، وسيجارة تحترق في منفضة قريبة. لكن هذا الرجل هو النقيض تمامًا. إنه أشقر، وسيمٌ للغاية. يقف حين أدخل، ويمد يده عبر المكتب ليصافحني بحماس. قميصه الأزرق الفاتح يتناسب تمامًا مع لون عينيه، والتأثير مُذهل لدرجة تجعلني أوقن أن خزانة ملابسه مليئة بقمصان من اللون نفسه.

يقول بابتسامة: «لوكا! سعدتُ برؤيتك. أنا مات روين».

لا توجد طريقةٌ للتأكد ممَّا إذا كان هذا هو الشخص نفسه الذي تحدثت معه الليلة الماضية، لكنني أراهن على أنه ليس كذلك.

أومئ برأسي وأقول: «سيد روين».

يرسم على وجهه ابتسامة مُشرقة ويقول: «ناديني مات. تفضلي بالجلوس».

أجلس على حافة الكرسي، وأرى حاسوبي المحمول موضوعًا على زاوية المكتب.

يلاحظ أنني أنظر إليه، فيقول: «تفضلي، إنه لك لمجرد حضورك».

أمسك بالحاسوب من على المكتب وأضعه على حجري، محاربة الرغبة في ضمه إلى صدري.

يقلب مات قلماً في الهواء ويلتقطه مرارًا وتكرارًا بينما يتأملني بتركيز. يقول: «عليَّ أن أعترف، أدهشنا قدرتك على التسلُّل إلى الأماكن والخروج منها».

أسأله: «مَن أنتم؟ كم عدد الأشخاص المريبين في عصاباتكم الصغيرة؟».

يردُّ بابتسامة مُتعجرفة، كأنه يعتقد أنني أبدو لطيفة. ثم يُصدر هاتفه صوت تنبيه، فيلتقطه من على المكتب. تتحرك إبهاماه بسرعةٍ مذهلة على الشاشة، بينما يصبُّ تركيزه بالكامل على هاتفه.

أسأله: «هل هذا السيد سميث؟».

يتجاهلني تمامًا.

لا أنزعج. يمكنني الانتظار.

يرفع مات أخيراً عينيه عن الهاتف ويقول: «لدينا عرضٌ لك؛ فرصةٌ لكسب مبلغٍ محترم من المال». أسأله: «ماذا سأفعل؟».

يستند مات بمرفقيه على مسندَي الكرسي ويضع قدميه على مكتبه، متجاهلاً الهاتف للحظة. يقول: «ستفعلين ما تتقنينه. سنضعكِ في موقفٍ مُعين، وستحصلين لنا على ما نحتاج إليه دون أن يلاحظ أحد. لن تصدقي الفارق الذي سيحدثه دعمنا لك. سأقدم لك التفاصيل فور موافقتكِ».

ينقسم عقلي إلى طريقتين مختلفتين؛ هذه لحظةٌ مفصليّةٌ في حياتي بلا شك. قبول عرض مات يعني الانغماس أكثر في هذا العالم، لكنه سيمنحني الدعم الذي سيجعل شعور الأصفاد المؤلم على معصمي مجرد ذكرى بعيدة. أما الطريق الآخر فيتطلب مني التراجع الآن والخروج قبل أن أجد نفسي واقعةً في مشكلة حقيقية. لأن ما حدث ليلة السبت أظهر لي أنه لن يمضي وقتٌ طويل قبل حدوث شيءٍ خاطئٍ آخر.

قالت لي أمي دومًا إن النجاح في الحياة يتطلب ثلاثة أشياء: أن تتعلم كل ما تستطيع تعلّمه، أن تبذل قصارى جهدك، وأن تكون الأفضل فيما تفعله. علمتني ليلة السبت أن لديّ الكثير لأتعلّمه.

مجرد التفكير في أمي يملأ صدري بالألم. لكنني أكبح هذا الشعور. لقد رحلتُ، ولا يتبقى لي شيءٌ في تلك الحياة القديمة. في يومٍ من الأيام، سأعود لأكون لوكا مارينو، الفتاة البسيطة من بلدة إيدن في كارولينا الشمالية، التي تعيش في ذلك المنزل الخيالي مع حديقته المثالية، لكنه ليس ذلك اليوم. اليوم، سأتعلم كيف أجني المال الذي أحتاج إليه لتحقيق ذلك الحلم.

- حسنًا، أنا موافقة. ما هي المهمة؟

الفصل العاشر

اليوم الحالي

مرّ ثلاثة أيام منذ حفلة الديربي، ولا يزال صندوق البريد فارغاً. لم أقترب أيضاً من معرفة الاسم الحقيقي لتلك المرأة أو من أين جاءت. وحتى أعرف اسمها الحقيقي، ستظلُّ بالنسبة لي مجرد «تلك المرأة».

لكن عدم رؤيتي لها في المدينة لا يعني أنها كانت تختبئ. في كل مكانٍ أذهب إليه، أسمع اسم «لوكا مارينو» يتردد على ألسنة الناس وهم يحكون معاملاتهم معها.

أُضِفْتُ إلى مجموعة الدردشة بعد حفلة الديربي، لذا تمكنتُ من متابعة الأحداث في الوقت الفعلي. على سبيل المثال، رأيت أن سارا صادفتها في غرفة الشاي نفسها التي اقترحنا التجمُّع فيها لأول غداء لنا، وقابلتها بيت في أثناء طلاء أظافرهما. ورغم الانتقادات اللاذعة التي وجهتها أليسون لجيمس في حفلة الديربي، فإنها وكول خرجا لتناول العشاء معهما الليلة الماضية. وشاركت أليسون الجميع بتفاصيل كاملة هذا الصباح.

بل وحتى نُشرت صورة لجيمس معها في قسم «الأشخاص والأماكن» في الصحيفة المحليّة الصغيرة؛ وقد بدت قبعتها أكثر رقة وأناقة في الطباعة ممّا كانت عليه في الواقع.

بينما كنتُ أتريثُ في التغلغل في هذا المجتمع، دخلتُ هي كالإعصار.

لم أدرك مدى جرأتها إلا عندما عثرتُ على منشور لوالدة جيمس على فيسبوك، تتحدث فيه بحماسٍ عن تلك المرأة والحساء المنزلي الذي أعدته لوالد جيمس. حصل المنشور على 128 تعليقًا (والعدد في تزايدٍ) يشيد بحظّ عائلة بيرنارد لوجودها معهم. وبما أن والدة جيمس وسَمَت اسمها على حسابها، لم يتطلب الأمر سوى نقرةٍ واحدة للوصول إلى صفحتها.

لم يكن حسابها نشطًا منذ فترةٍ طويلة. أول نشاطٍ لها كان تحميل صورةٍ للملف الشخصي مع تعليق يقول: أوه، اختُرِق حسابي القديم، فلنكن أصدقاء هنا! وذلك بعد حوالي أسبوعٍ من وصولي إلى ليك فوربينج.

أكد لي منشورها الثاني أن ظهورها في هذه البلدة لم يكن مجرد صدفة بريئة، بل كان متعمدًا، خاصةً مع تطابق اسمها وتفاصيلها مع تاريخي الشخصي.

عندما كنتُ في الصف السادس، ذهب صفي في رحلةٍ مدرسية إلى مزرعة محلية، حيث قضينا اليوم نلعب دور الفلاحين ونقوم بأعمالٍ مثل حلب الأبقار وإطعام الدجاج. بطريقةٍ ما، عثرت تلك المرأة على الصورة الجماعية التي التُقطت لنا في نهاية اليوم ونشرتها تحت عنوان «خميس الذكريات» مع تعليق يقول: انظروا ما وجدته في أثناء تفريغ بعض الصناديق القديمة! كان يومًا ممتعًا! أوسموا أنفسكم إننا لم أنكركم.

في الصورة، جلستُ متربعة في الصف الأمامي، الثانية من جهة اليسار، مرتدية بنطال جينز وكنزتي الحمراء المفضلة التي زينتها أُمي بشريطٍ من القماش الكاروه الأزرق حول الياقة والأكمام والحافة السفليّة.

عدتُ من زملاء الدراسة -أشخاصٍ لم أفكر فيهم منذ سنوات- وسموا أنفسهم على المنشور. تحول قسم التعليقات إلى لقاءٍ افتراضي، حيث تواصل معظمهم معها مُعبّرين عن سعادتهم بإعادة التواصل، وهم مقتنعون تمامًا بأنها أنا.

عدتُ إلى صورة الملف الشخصي وتمعنّت فيها حتى تداخلت الرؤية أمام عيني. كان رأسها مائلًا، وشعرها الطويل يُغطي معظم وجهها، وهي تضحك في لقطةٍ عفوية رائعة. آخر مرة رآني فيها هؤلاء الأصدقاء القدامى كانت أيام

مراهقتي حين احتفظتُ وجنتاي ببعض الامتلاء الطفولي. من السهل أن نفهم لماذا يصدقون أنها هي بالفعل مَنْ تدّعي أنها تكون.

لو كانت هذه أي مهمة أخرى، لجمعتُ مُقتنياتي القليلة وغادرت المدينة فوراً بعد أن تعرفتُ عليها، لكن تبعات التخلّي عن هذه المهمة تتجاوز ذلك الشعور الغريزي. لا أستطيع الهروب. ليس بعد. ليس بعد المهمة الأخيرة.

تطلّب الأمر مني كل ما أملك من قوةٍ للحفاظ على مظهري اللامبالي ودور الحبيبة السعيدة الذي مثّلته بشكلٍ طبيعيٍّ قبل حفلة الديرابي، وذلك لمنع رايان من الشكّ والشعور بأن هناك خطباً ما.

نظرةً سريعةً إلى ساعة المطبخ تدفعني للتحرك. أشطف فنجان القهوة في الحوض قبل التقاط حقيبتني والتوجّه إلى المرأب.

بعد الكثير من التفكير، حان الوقت لإجراء المكالمات التي كنت أؤجلها، ولكن أجريتها فقط في خصوصية سيارتي. على الرغم من وجود احتمالٍ ضئيل بأن يكون شخصٌ آخر غير رئيسي قد أرسل هذه المُنتحلة إلى هنا، فإن ذلك غير مُرجّح. إذا اكتشف رئيسي أمر هذه المرأة من أي مصدر آخر غيري، فستكون هناك بالتأكيد عواقب وخيمة. إجراء هذه المكالمات هو ما يُتوقع مني فعله، وفي الوقت الحالي، يجب أن أكون مُتوقعة تماماً في تصرفاتي.

بينما لا تزال سيارتي مخبأة في مرأب رايان، أفتح دُرج التابلوه وألتقط هاتفاً مُسبق الدفع، وأخرجه من علبته. سيُستخدم هذا الهاتف مرةً واحدة فقط، ثم يُدمر.

بعد تشغيله، أدخل الرقم الذي حفظته في بداية هذه المهمة. تبدأ المكالمات، ويأتي صوتٌ إلّيّ ليسأل: «هل هناك مشكلة؟». مع كل برامج التعرّف على الصوت المتاحة، يظل الصوت الحقيقي للسيد سميث سرّاً محفوظاً بعناية، تماماً مثل اسمه الحقيقي.

أردُّ عليه: «تطوّر كبير يستدعي هذه المكالمات. تواصلتُ مع امرأة تدّعي أنها أنا. استخدمتُ اسمي الأصلي، وذكرت أنها من مسقط رأسي، واستخدمت تفاصيل من ماضيِّ كأنها تخصها. أرجو توجيهي».

يتبع ذلك صمتٌ طويل غير مريح.

- ومع ذلك، انتظرتِ ثلاثة أيامٍ للإبلاغ عن هذا التطوُّر.
اللعنة.

أرد سريعًا: «أردت أن أكون متأكدةً بنسبة مئة في المئة من أنها ليست مجرد صدفةٍ قبل أن...».

يقاطعني قبل أن أكمل: «شعرتُ أنك بحاجة إلى تذكيرٍ بأنك قابلة للاستبدال. اعتبري وصولها دافعًا لإنجاز هذه المهمة بنجاح، على عكس فشلك الذريع في مهمتك الأخيرة. حالما تُنجز هذه المهمة بما يُرضيني، ستعودين لتكوني الوحيدة التي تحمل اسم لوكا مارينو من إيدن، كارولينا الشمالية، ضمن فريقِي. (يتوقف لحظة ثم يُضيف): وأعلم مدى أهمية ذلك بالنسبة لك».

لو لم تكن المعلومات التي كان من المُفترض أن أُسلمها للسيد سميث في مهمتي الأخيرة حساسة للغاية، لا أعتقد أنه كان سيشعر بالحاجة إلى تهديدي بهذا الشكل. قد لا أعلم بالضبط مدى الخطر الذي يمكن أن تُشكله هذه المرأة التي تحمل اسمي وخلفيتي هنا، لكن هذا لا يعني أنها ليست قادرةً على إيذائي. السيد سميث لا يفعل شيئًا دون سببٍ وجيه.

في هذا النوع من العمل، أن تُستبدل لا يعني أنك تُعفى من مهامك بخطاب توصية. حتى لو كنت أجهلُ الاسم الحقيقي للسيد سميث، فأنا أعلم ما يكفي لأدرك أنني لا أملك خيار الابتعاد ببساطة.

أُمسك عجلة القيادة بيدي الفارغة وأكبج الرغبة في الصراخ. عندما أكون متأكدةً من أن صوتي تحت السيطرة، أقول: «لا يُعجبني أن يلوح تهديدٌ فوق رأسي، خاصةً بعد كل المهام التي أنجزتها بنجاح».

يردُّ ببرود: «كل تلك النجاحات السابقة هي ما جعل الفشل الأخير صعبًا قبوله. لكنها أيضًا منحتكِ فرصةً ثانية. عليك أن تتذكري ذلك بينما تجلسين على الشرفة الخلفية تتناولين الطعام الصيني».

الطعام الصيني.

هذا ما اشتريته للعشاء الليلة الماضية.

أقول بهدوء: «ليس هناك ما أرغب فيه أكثر من إنهاء هذه المهمة بما يُرضيك. متى يمكنني توقع التعليمات التالية؟».

يردُّ بصوتٍ جاف: «لا يوجد تاريخٌ مُحدد، ولكن في غضون الأسبوعين المُقبلين. وللتوضيح، هذا تذكيرٌ وليس تهديدًا. لو كنت أهددك، لما كان هناك أي لبسٍ في ذلك».

ثم ينقطع الاتصال.

لم أحصل على كل ما أردته من تلك المكالمة، لكنني علمت ما يكفي. لديّ الآن تأكيدٌ أن سميث هو مَنْ أرسل تلك المرأة إلى هنا، وعلى الأقل أصبحت لديّ فكرة عامة عن الإطار الزمني للتعليمات القادمة.

لكن الأهم ممّا اكتشفته هو أن ثقته بي، رغم أنها ضعفت، لم تتلاش تمامًا. حتى وإن كنتُ أشعر كأني هدفٌ سهل، يجب أن أنهي ما بدأت. حان الوقت للخروج عن النص.

أدير محرك السيارة وأخرج من الممر، متجهًا إلى العمل. حالما أصل إلى أحد الشوارع المزدهمة، أنحرف فجأةً وأدير عجلة القيادة بقوة، فيصطدم الإطار الأمامي الأيسر بالرصيف الخرساني. يصدر صوت صريرٍ عالٍ، ثم أسمع الإطار ينفجر. تتهاذى السيارة حتى تصل إلى ورشة إصلاح الإطارات في نهاية الشارع. يشير لي أحد الفنيين بالدخول إلى إحدى المحطات المفتوحة، ثم يقترب ليتفحص الإطار.

يقول الفني عندما أخرج من السيارة: «أنتِ محظوظة أننا قريبون. لم يكن بإمكانك القيادة بهذا الإطار لفترةٍ طويلة هكذا».

أوافقه بلهجة هادئة: «محظوظة جدًا». ثم ألتقط حقبتي وأتجه إلى داخل المتجر.

يستقبلني الرجل خلف الكاونتر عندما أقترُب منه، ويقول: «كيف يمكننا مساعدتك اليوم؟».

أدير عينيّ وأقول: «اصطدمتُ بالرصيف في الشارع وانفجر إطار سيارتي». ثم أشير إلى سيارتي من خلال النافذة الزجاجية المُطلّة على منطقة العمل.

يطلب اسمي ومعلوماتي بينما يملأ تذكرة الطلب.

- سيستغرق الأمر بضع ساعات قبل أن تكون السيارة جاهزة. لدينا بعض الأشخاص قبلك.

أجيب بلا مبالاة: «لا مشكلة»، ثم أتجه نحو منطقة الانتظار. أخرج هاتفني من حقيبتي وأتصل برايان. يردُّ بعد الرنة الثانية. يسأل: «مرحبًا، ما الأمر؟».

أردُّ عليه بلهجة مُفعمة بالإحباط: «مرحبًا. أنا في ورشة الإطارات على شارع جاكسون. لم أكن منتبهةً واصطدمتُ بالرصيف، ما أدى إلى انفجار الإطار. لحسن الحظ، كنت قريبة بما يكفي للوصول إلى هنا قبل أن يتفاقم الوضع».

يضحك ويقول: «يبدو أن بينك وبين الإطارات عداوة قديمة». أضحك قليلًا وأقول: «نعم، لسنا على وفاق أبدًا».

يضحك ثم يسأل: «تحتاجين إلى توصيلة؟ يمكنني الاتصال بכול ليأتي ويُقلِّك إلى المنزل أو العمل». عادةً ما يكون يوم الخميس هو اليوم الوحيد الذي يكون فيه رايان خارج المدينة، لكنه اليوم لديه اجتماع مع بعض العملاء المُحتملين في جنوب المدينة، لذا سيكون مشغولًا طوال اليوم.

أجيبه: «لا، سأنتظر هنا. أخبروني أن الأمر لن يستغرق وقتًا طويلاً. سأتصل بالعمل وأخبرهم. لا أعتقد أنهم سيعترضون على تأخري، خاصةً بعد أن بقيت للعمل على الفعالية الأسبوع الماضي».

يردُّ قائلاً: «حسنًا، أخبريني عندما يتم إصلاح الإطار».

- سأفعل. أراك الليلة.

أنهي المكالمة ثم أرسل رسالة نصيةً إلى رئيسي، أخبره فيها بما حدث وأناني سأتأخر. أقترّب من الكاونتر وأقول للرجل الذي ساعدني قبل لحظات: «أرسل إليَّ رسالة نصيةً عندما تكون السيارة جاهزة، وسأعود لأخذها».

يهزُّ رأسه موافقًا: «نعم، يا سيدتي».

أغادر المتجر وأتجه إلى وكالة تأجير السيارات بعد ثلاث محلات. الفتاة الجالسة خلف الكاونتر شابةً نشيطة بشكلٍ مُفرط في هذا الوقت المبكر من الصباح.

تسأل بصوتٍ أعلى ممّا يلزم: «هل أستطيع مساعدتك؟».

- نعم، لديّ حجز لسيارة باسم آني مايكلز.

تبدأ بالكتابة على حاسوبها، ثم تبتسم لي بحماس.

- نعم! كل شيء جاهز لك!

أوقع الأوراق وأستلم مفاتيح سيارة سيدان سوداء ذات أربعة أبواب متوقفة أمام المكتب. وخلال عشر دقائق، أكون على الطريق.

اعتاد رايان على زيارة عملي بشكلٍ مفاجئ، لذلك كان عليّ الاستفادة من اجتماعه الطارئ خارج المدينة. لكن كان عليّ أيضًا أن أكون دقيقة في توضيح سبب غيابي لرئيسي. وبما أن الجميع في هذه البلدة يعرفون بعضهم، لا بدّ أن تكون رواياتي مُتطابقة.

بينما أسلك الطريق السريع متجهة غربًا، أحاول حجب كل شيءٍ آخر والتركيز على ما ينتظرني. قضيت أسابيع في مراقبة أعمال رايان في شرق تكساس عندما وصلتُ هنا لأول مرة. وعندما تلقيت أول مجموعة من التعليمات، أدركت مدى أهمية تلك الأعمال لهذه المهمة. منحني البحث في مكتبه في جلينفيو بعض المعلومات، لكنها لم تكن كافية لإنهاء ما جئتُ من أجله. وصول تلك المرأة إلى البلدة جعلني أشعر بالتوتر كأنني بحاجة إلى العودة للتأكد من أنني لم أُفوّت أي شيء، لذلك وضعت خطة للذهاب إلى هناك حالما أخبرني رايان بأنه سيكون مشغولاً هذا اليوم.

بعد تلك المكالمات مع السيد سميث، باتت هذه المهمة تحمل طابعًا مُلحًا لم أختبره من قبل. أراد أن يوضح لي أنني لستُ بمنأى عن الاستبدال، لكنه في الوقت ذاته أظهر لي أنه خلال الفترة بين المهمة السابقة والحالية، استثمر جهدًا كبيرًا في إعداد شخصٍ آخر ليحلّ مكاني. من الواضح أن هناك أمرًا جوهريًا غاب عني، ومن الضروري أن أبدأ من جديد وأن أراجع كل شيء بنظرة مُتجددة.

تغيرت قواعد اللعبة.

الفصل الحادي عشر

اليوم الحالي

في ليك فوربينج، يدير رايان فرعًا محليًا لشركة وساطة وطنية. يقع مكتبه في إحدى تلك المجمعات التجارية الحديثة، حيث تبدو المباني المتطابقة كأنها أكواخ صغيرة. معظم عملائه هنَّ نساء مُسنَّات يحتجن إلى مساعدة في استثمار شيكات حقوق الملكية الخاصة بالنفط والغاز. يُعتبر رايان الشاب الذهبي في المنطقة، ويحظى بثقتهم الكاملة. يمكنني على الأرجح مطابقة قائمة عملائه مع دفتر الزوار في جنازة جده، اسمًا بعد اسم.

في جلينفيو، تكساس، يدير رايان شركة نقلٍ وشحن تقع في مستودع ضمن منطقة صناعية على أطراف المدينة. اللافتة الوحيدة على كامل العقار هي لوحة معدنية بيضاء مستطيلة تحمل اسم **جلينفيو للشحن** مكتوبة بحروف سوداء.

عند الاتصال برقم الهاتف، يتم تحويلك مباشرةً إلى نظام البريد الصوتي، ولا توجد أي مواقع إلكترونية أو حسابات على وسائل التواصل الاجتماعي مرتبطة بهذه الشركة. لا يتحدث رايان أبدًا عن **جلينفيو للشحن**، وأعتقد أن قلة قليلة من الناس، إن وُجدت، تعرف بوجودها.

بينما أعبر الحدود إلى تكساس، وهي نقطة المنتصف بين ليك فوربينج وجلينفيو، أسترّجع في ذهني تلك الصفحة المطبوعة التي تحتوي على المعلومات التي زُوِّدْتُ بها عن رايان والشركة التي يديرها هنا.

تأسست شركة **جلينفيو للشحن** عام 1985 على يد جَدِّ رايان، ويليام سَمَنر. انضم ابنه سكوت إلى العمل بعد عودته من الجامعة في عام 1989. في بدايتها، كانت الشركة مشروعًا شرعيًا يخدم منطقة شرق تكساس وشمال لوزيانا.

لا تزال الشركة تعمل في مجالها الأساسي، ولكن في أواخر التسعينيات، توسَّع نموذج العمل ليشمل خدمات الوساطة للبضائع المسروقة. ويُعتقد أن ثُلثي الشاحنات التي تصل حاليًا تحمل بضائع موجهة للسوق السوداء. وعلى الرغم من أن الجانب غير القانوني للعمل أكثر ربحية بكثير، فإن **جلينفيو للشحن** تُعد واجهة لا تقدر بثمن لا بدَّ من الحفاظ عليها.

تولَّى رايان إدارة العمليات بعد تشخيص جدّته، إنجريد سَمَنر، بالسرطان، حيث أصبح جدُّه مقدم الرعاية الرئيسي لها، ممَّا اضطره إلى تقليص مُشاركته في العمل إلى يوم واحد في الأسبوع؛ يوم الخميس. نجح رايان ببراعة في إبقاء الشركة في تكساس مُنفصلة عن حياته في ليك فوربينج، لوزيانا، تماقًا كما فعل جده ووالده من قبله.

استنادًا إلى البحث، لكن دون وجود دليلٍ قاطعٍ لدعمه، يبدو أن رايان يبذل كل جهدٍ ممكن للحفاظ على الشركة التي أنسَسها جده، والتي عمل فيها والده حتى وفاته عام 2004، في جلينفيو. أعتقد أن هذه الشركة تمثل أهميةً كبيرةً له، وسيفعل كل ما بوسعه لحمايتها بأيّ ثمن.

كانت مهمتي الأخيرة غير اعتيادية من حيث إنني علمتُ على الفور أنني مكلفة باسترجاع معلومات حساسة تُستخدم لابتزاز فيكتور كونولي. لكن عادةً ما تكون هناك فترةٌ زمنية بين حصولي على اسم الهدف وتلقي أول مجموعة من التعليمات. خلال هذه الفترة، أعمّق بحثي في كل جانبٍ من جوانب حياة الهدف، لأكون مستعدةً تمامًا عندما يحين وقت التنفيذ. في أثناء انتظاري معرفة طبيعة المهمة، أحاول توقع سبب استئجار العميل لنا، رغم أنني لا أعرف هويّة العميل على الإطلاق.

لذا، هذا ما فعلته عندما حصلتُ على الاسم: رايان سَمَر.

للوهلة الأولى، بدت أعماله في الخدمات المالية وقائمة عملائه الطويلة من السيدات المُسنّات اللواتي يتلقين شيكات حقوق النفط والغاز هي الإجابة الواضحة. ولكن مع تعمّقي أكثر في هذا الجانب من حياته، بدأت أشكُّ في أن يكون هذا هو السبب الحقيقي لوجودي هنا. لم يلفت أحد انتباهي في قائمة عملائه ليكون سببًا جوهريًا لهذه المهمة.

هناك دائمًا احتمالٌ أن يكون الهدف مجرد وسيلة للوصول إلى أحد أصدقائه، لكن سرعان ما استبعدتُ هذا الاحتمال أيضًا. أصدقاء رايان قد يكونون من النوع الذي يغشُّ في لعبة الجولف أو يخون شريكه أو يتحايل على الضرائب، لكن هذا أقصى ما يمكن أن يصل إليه سلوكهم السيئ.

لكن عندما بحثتُ في أعمال النقل والشحن في جلينفيو، أدركتُ أن هذا هو السبب الحقيقي وراء إرسالتي إلى هنا. ما حقّقه رايان في السنوات الست الأخيرة مثير للإعجاب حقًا. حوّل شركةً صغيرةً إلى مشروعٍ مُربح ذي سمعة رفيعة، يُقدم خدمة راقية لعملاء من جميع أنحاء البلاد. ورغم أنه لا يزال يتعامل بين الحين والآخر مع شحناتٍ مسروقة من أجهزة إكس بوكس وبلاي ستيشن، فإنه نقل العمل إلى مستوى أعلى، حيث يُركز الآن على نقل البضائع الفاخرة وتوفير سلعٍ خاصة حسب الطلب. أصبح بمنزلة «الوسيط» للسوق السوداء.

ببساطة، رايان لصٌّ، مثلي تمامًا.

أكدتُ أول مجموعة تلقينها من التعليمات شكوكي عندما علمتُ أن شركة النقل الخاصة بريان أصبحت مُربحة لدرجة أنها أضحت مستهدفةً لعملية

استحواذٍ عدائية، وليست هذه المرة الأولى التي أُكَلِّف فيها بمهمةٍ من هذا النوع.

ورغم أن مساعدتي للعميل في تسهيل الاستحواذ على أعمال رايان قد تكون السبب الذي أتى بي إلى هنا، فإن الهدف تغير الآن بعد أن أدخل السيد سميث امرأةً منتحلة شخصيتي الحقيقية إلى المشهد. احتياجات العميل المجهول لم تعد تهمني. سأعود لمراجعة كل شيءٍ لأكتشف لماذا اختار السيد سميث رايان سَمَنر وهذه المهمة لاختباري.

قبل وصولي إلى وجهتي، أتوقف عند محطة وقود قديمة وأتجه إلى الجزء الخلفي من موقف السيارات لتبديل ملابسِي. قد تبدو السيارة المُستأجرة غير ملائمة لهذه المنطقة الصناعية، لكن التَنَكُّر متقنٌ تمامًا. استبدلتُ التنورة الضيقة والبلوزة الفضفاضة ببنتال جينز واسعٍ مهترٍ من ماركة ليفايز، وقميصٍ كاكِّي ذي أزرار، وسترة سلامة. أخفيت شعري تحت شعرٍ مستعار قصير وقبعة بيسبول، بينما حولت أجزاء الوجه المصنوعة من السيليكون ملامحي لتبدو أكثر ذكورية. بهذا الشكل، يمكنني بسهولة أن أبدو رجلًا في طريقه إلى العمل.

أركنُ السيارة في موقف المبنى المجاور لشركة جلينفيو للشحن، ثم أسير باتجاه السياج الشبكي الذي يفصل هذا المبنى عن شركة رايان. هذه هي المرة الثانية فقط التي أزور فيها هذا المكان، لكنني شاهدتُ العديد من الفيديوهات لرايان في أثناء عمله هنا. المعلومات التي أحصل عليها قبل أي تواصل دائمًا ما تكون شاملة، لذا رأيتُ كيف يستبدل بسرعة المعطف والبنطال والحذاء الرسمي الذي يغادر به المنزل ببنتال جينز مهترٍ، وتي شيرت، وحذاءٍ جلديٍّ قديم.

في الفيديوهات، يظهر رايان وهو يخرج من باب المكتب الموجود في زاوية المُستودع، ويتوجَّه إلى جانب السائق في كل شاحنة تصل إلى المبنى. ينزل السائق نافذته، ويبدو أن هناك تبادلًا للمجاملات قبل أن يستخرج رايان جهاز التحكم عن بُعد من جيبه ليفتح باب المخزن.

المبنى كبير بما يكفي ليسمح بدخول شاحنة ذات ثماني عشرة عجلة عبر أيٍّ من الأبواب الكبيرة الثلاثة القابلة للطِّي التي تمتدُّ على الجانب الأمامي

من الهيكل المعدني المُموج، بحيث يمكنها الوقوف بالكامل داخل المبنى لتفريغ حمولتها بعيدًا عن الأنظار، ثم الخروج عبر الأبواب الموجودة على طول الجدار الخلفي. خُطتي هي الدخول إلى هذا المبنى الضخم بالطريقة نفسها التي استخدمتها في المرة الأولى التي جئتُ فيها إلى هنا.

لا يوجد الكثير من النشاط اليوم كما في الأيام الأخرى. وفقًا للتقارير، فإن الشحنات غير القانونية تصل فقط أيام الخميس، عندما يكون رايان هنا ليفحصها بنفسه. ومع زيادة حجم العمل خلال السنوات القليلة الماضية، سيحتاج قريبًا إلى إضافة يومٍ ثانٍ لمواكبة الطلب المتزايد. تجذب العمليات الشرعية انتباهًا أقل بكثير. نجح رايان في فصل جانبي العمل بشكل جيد، بما في ذلك فصل الموظفين. الطاقم الموجود هنا اليوم هو فريق محدود، ولا يوجد أي من هؤلاء العمال أيام الخميس. ينبغي أن أتمكن من الدخول دون أن يلاحظ أحد، نظرًا إلى أن حذرهم سيكون أقل بكثير من حذر الفريق الذي يعمل مع رايان.

أنتظر على الجانب الآخر من السياج، بالقرب من المكان الذي يركن فيه موظفو رايان سياراتهم، حتى تصل شاحنة. عندها، أستغل الفرصة وأفتح فتحة صغيرة في السياج باستخدام قاطع الأسلاك المعلق على حزامي. عندما يخرج أحد الرجال من المكتب الصغير لاستقبال السائق، أتسلل عبر الفتحة وأسير المسافة القصيرة إلى الجزء الخلفي من المبنى، تمامًا كما يفعل أي موظف آخر. أفتح القفل بسرعة ثم أفتح الباب المعدني بهدوء.

يوجد شخص واحد فقط في الداخل، لكنه منشغل في الزاوية الخلفية اليمنى بتكديس الصناديق. يبدو مرکزًا على عمله، لذا أتحرك بحذر عبر المستودع متجهة نحو المكتب الموجود في الزاوية الأمامية اليسرى من المبنى. أطل من خلال النافذة الصغيرة الموجودة في الباب لأتأكد أن الغرفة خالية، ثم أتسلل إلى الداخل مع بدء فتح أحد أبواب المخزن لدخول الشاحنة. المكتب في حالة فوضى عارمة. أكوام من الأوراق تُغطي سطح كل مكتب من المكاتب الثلاثة، بالإضافة إلى أكواب قهوة فارغة وعدة صناديق بيتزا. يبدو أن البحث في خزائن الملفات سيكون استثمارًا أفضل لوقتي من التنقيب في القمامة.

سَلَّمْتُ معلومات حول هذه الشركة للسيد سميث مرتين حتى الآن. في المرة الأولى، كانت معلومات عامّة، تصف الأنشطة اليومية والموظفين الرئيسيين، وقد تمكنتُ من الحصول عليها من بعض الملفات هنا. رغم أن تلك المعلومات كانت مفيدة، فإنها لم تكن كافية لإكمال هذه المهمة. لم يكن هذا مفاجئًا، نظرًا إلى وجود عدّة موظفين يستخدمون هذا المكتب لإدارة الجانب القانوني من شركة جلينفيو للشحن في الأيام التي لا يوجد فيها رايان. فهو لن يكون متهورًا إلى درجة ترك معلومات حساسة.

أما التسليم الثاني، فقد تضمّن بياناتٍ حاسمة جعلت الاستحواذ ممكنًا؛ كل التفاصيل المالية، بما في ذلك أماكن وجود الأموال وهوية العملاء. قوائم بمصادر البضائع المسروقة، وكذلك جهات الاتصال مع أفرادٍ في أجهزة إنفاذ القانون المحليّة وحرس الحدود الذين يتفاوضون عن الأنشطة غير القانونية. حصلتُ على ذلك الكنز من المعلومات من حاسوب رايان المحمول، الحاسوب نفسه الذي يحتفظ به معه في جميع الأوقات. قضيتُ أسابيع في انتظار اللحظة المناسبة للوصول إليه.

عثرتُ على كل ما يحتاج إليه السيد سميث ليستولي على ما قضى رايان سنواتٍ في بنائه، وفوجئتُ بوخزة الندم التي شعرتُ بها عندما فكرت في حجم الخسارة التي سيتكبدها. كانت هذه المرة الأولى التي أشعر فيها بالسوء حيال أدائي لعملِي.

لأول مرة، تمنيتُ أن أمنح الهدف فرصة للدفاع عن نفسه والاحتفاظ بما يمتلكه.

حاولتُ أيضًا ألا أحلل سبب شعوري بهذه الطريقة، خاصةً وأنني أدرك مدى أهمية هذه المهمة لنجاتي.

لذلك، على الرغم من أنني أعود لأتفحص الملفات التي سبق أن بحثتُ فيها، لا أتوقع حقًا أن أجد أي شيء جديد. أريد فقط إلقاء نظرةٍ أخيرة، فقد يظهر شيءٌ مختلف لي الآن، خاصةً وأن تركيزي الرئيسي قد تغيّر.

ضجيج مُحرك الشاحنة المتوقفة داخل المستودع كان عاليًا لدرجة أنني لم أسمع الأصوات القادمة من الجانب الآخر من الباب إلا قبل ثوانٍ قليلة من فتحه. الحَمَام الصغير هو المكان الوحيد الذي أستطيع الاختباء فيه. أندفع

بسرعةٍ إلى كابينة الاستحمام وأسحبُ الستارة البيضاء المُعتمة في اللحظة التي يُفتح فيها الباب ويدخل رجلان إلى المكتب.
أجلس القُرفصاء وأستند إلى جدار الكابينة، وأقربُ رأسي قدر الإمكان من الستارة دون أن أكشف نفسي.

من خلال الفجوة الصغيرة بين ستارة الدش والجدار، أتمكن من رؤية جزء من المكتب عبر الباب المفتوح. يجلس رجلٌ على الكرسي الأقرب إليّ، لكنني أستطيع رؤية جانب الكرسي وجزءًا من كتف الرجل.

يقول بصوتٍ حازم: «اتصل به ليأتي إلى هنا».

يصيبني صوت رايان بصدمةٍ كأنني تلقيتُ ضربةً في معدتي. رايان هنا. ليس في لوزيانا للقاء العملاء، بل جالس على بُعد ستة أقدامٍ مني تقريبًا.

يُفتح الباب ويُغلق مرة أخرى، ونبقى وحدنا. أبتعد قليلًا عن الستارة تحسبًا لأن يتوجه رايان إلى هنا لاستخدام الحَمَّام.

هذا تصرفٌ غير احترافي من جانبي، وأنا لست بهذه الفوضوية أبدًا، رغم ما يشعر به السيد سميث بشأن أدائي في المرة الأخيرة. ولكن إذا تمكن من رؤيتي الآن، فلن ألومه إذا شكَّ في قدرتي على إتمام هذه المهمة بنجاح.

صوت تقليب الأوراق هو الشيء الوحيد الذي يخبرني أن رايان لا يزال في المكتب، حيث لم أعد أتمكن من رؤيته.

بعد بضع دقائق، أسمع الباب يُفتح مرة أخرى، ويصدح صوتُ خطواتٍ ثقيلة لزوجين من الأحذية عبر الأرضية الخرسانية.

يقول صوت رجل: «مرحبًا، يا رجل، ماذا تفعل هنا اليوم؟». نبرة صوته مرتفعة، كأنه مندهش، لكن هناك ارتعاشًا خفيفًا يكشف عن توتره. إنه خائف.

لا يتلقى الرجل أيَّ رد، فيستمرُّ في الحديث كأن كلماته أقل وطأة من الصمت الثقيل الذي يُسيطر على المكان. يقول: «أعلم أنني من المُفترض أن أعمل أيام الخميس فقط، لكنني احتجت إلى بعض الساعات الإضافية هذا الأسبوع. زوجتي السابقة تلحُّ عليَّ بشأن المال مرة أخرى، تريد إرسال الأطفال إلى مُخيم صيفي في أركنساس. قلت لها: اللعنة، ليس عليهم السفر كل تلك المسافة إلى جبال أوزارك لمجرد اللعب والقيام بتفاهاتٍ أخرى هناك».

ثم يعمُّ الصمت من جديد.

- آسف، يا رايان. أعلم أنني لست من المُفترض أن أكون هنا اليوم.

ينكسر صوته عندما يذكر اسم رايان، وهذا يزيد من فضولي أكثر من أي شيء آخر. لم ينطق رايان بكلمة حتى الآن، وهذا الرجل مرعوب. كل ما شهدته في رايان كان الجانب اللطيف، الرومانسي والمَرَح.

رايان المُخيف مثيرٌ للاهتمام.

- بربك، يا فريدي. هل اعتقدت حقاً أنه بإمكانك عقد صفقة جانبية وإدخال شاحناتي عندما أكون غائباً؟

أصبح صوته أعمق قليلاً الآن.

يجيب فريدي: «لا. كان ذلك تصرفاً غبيّاً. غبيٌّ جداً. حقاً تصرفٌ غبيٌّ للغاية».

لم يتكلم الشخص الثالث في الغرفة بعد.

يصدح صوت صريرِ كَأَن رايان يتكئ على كُرسيه، ربما تكون النوابض بحاجة إلى تزييت. يمكنني تقريباً تخيُّله؛ يداه مشبوكتان خلف رأسه، وربما قدماه مرفوعتان على المكتب. يبدو هادئاً، شبه غير مبالي، لكن يكشف صوته أنه ليس كذلك على الإطلاق.

يقول رايان بصوتٍ هادئٍ بشكلٍ خادع: «سيث، أحضر قاطع الأسلاك من على مكتب بيني».

أسمع صوت حَفيف، ثم يقول سيث: «أحضرتُه».

عندها تظهر في صوت رايان حدة لم أسمعها من قبل. يقول: «ستخبرني بمن شارك في هذه الصفقة، وإلا فسوف يستمتع سيث باستخدام قاطع الأسلاك على أصابعك. (يصرخ الكرسي مرة أخرى، ويُضيف رايان): ما رأيك يا سيث، إصبعٌ لكل دقيقة ننتظرها؟».

- يبدو مناسباً لي، يا مدير. لكن هذه القواطع غير حادة، لذا قد يستغرق الأمر أكثر من دقيقةٍ لقطع إحداها.

لم يكمل سيث جملته حتى بدأ فريدي يتحدثُ بسرعة، ينهال بالأسماء والخطط والتواريخ بوتيرةٍ سريعة لدرجة أنني أمل أن يكون سيث قد نسي أمر قاطع الأسلاك وأمسك قلمًا وورقة بدلًا من ذلك.

يردُّ رايان عليه بحدة: «أنت لا تخبرني بكل شيء. أنت وأولئك الحمقى الآخرون لستم أذكاء بما يكفي لتنفيذ هذا بمفردكم. أخبرني مَنْ هو الشخص الآخر المتورط».

ينكسر صوت فريدي عندما يقول: «هذا كل شيء، أقسم لك!».

أسمع صوت الكرسي يتحرك لفترةٍ وجيزة، وأتخيل رايان وهو يميل إلى الأمام، واضعًا مرفقيه على المكتب ويداه متشابكتان أمامه. ثم أسمع صوت شيء ما، ربما مجموعة من الأوراق، تسقط على الأرض. يقول بغضب: «هل تعتقد أنني لا أعرف متى يعبت أحدهم بأغراضٍ؟».

يا إلهي. يبدو أن هذا المسكين قد يتحمل عواقب شيء فعلته أنا.

ثم يُضيف رايان ببرود: «سيث، خذ هاتفه، واحرص على راحته في المُستودع. اجلب باقي الرجال إلى هنا. سأخبر روبرت أنهم جاهزون لاستقباله».

يصيح الرجل، وصوته ممتلئ بالرعب: «انتظر! انتظر! لا داعي للاتصال بروبرت!».

من المعلومات التي وجدتها، يبدو أن روبرت الذي يشير إليه هو على الأرجح روبرت ديفيدسون، أحد أكبر عملائه. وبناءً على بحثي، لدى فريدي ورفاقه كل الأسباب ليرتعبوا من تدخُّله.

ينتظر رايان لفترةٍ غير مريحة قبل أن يجيب أخيرًا: «أظننت أن الشحنة التي حاولت سرقتها اليوم ستظهر من العدم؟ أظننت أن روبرت لن يكتشف أن بضائعه لم تصل إلى وجهتها؟ (يرتفع صوته مع كل جملة، ويصير أكثر حدة مع كل كلمة) أنت وأصدقائك الحمقى عرّضتم عملي بأكمله للخطر من أجل بضعة آلاف من الدولارات. لم تعلم حتى قيمة البضائع المُحملة في الشاحنة. تظن نفسك ذكيًا لأنك رتبت لبيعها مسبقًا، لكنك في الواقع غبي جدًا

لأنك عقدت صفقةً مع أحد رجالي. عرفتُ ما كنتَ تحاولِ فعله بعد ثلاثين ثانية فقط من تواصلك معه».

يجيب فريدي بصوت متوتر: «تَبَّ، يا رايان، أنا آسف. لم أقصد فعل ذلك. الآخرون هم مَنْ أقنعوني».

- توقف عن الكلام قبل أن تُغضبني حقًا. (ارتفع صوت رايان بما يكفي ليجعلني أرتجف) لم تعد مشكلتي الآن. لقد اخترتِ الشاحنة الخطأ، يا صديقي. يريد روبرت أن يتحدث معك ومع رفاقك. سيث، أخرجه من مكنتي.

يبدو الصمت مزعجًا بعد الدقائق القليلة الماضية. لم أسمع رايان يتحدث مع أي شخص بهذه القسوة من قبل. من الصعب الربط بين الرجل الذي عرفته والرجل الجالس في الغرفة المجاورة.

يواصل رايان العمل على المكتب لبعض الوقت بينما أظل مختبئةً في الحمام. يعود سيث بعد فترة قصيرة، ويبدو أنه يجلس على أحد الكراسي الأخرى. ألتقط أجزاء متفرقة من حديثهما، لكنها مجرد دردشة عادية بين رجلين يعرفان بعضهما منذ فترة طويلة. يتحدثان عن فرص فريق تكساس رينجرز في التأهل إلى التصفيات، ويمزح رايان معه بشأن فتاة كان سيث على علاقة بها. ثم يدور بينهما نقاش طويل حول أنواع الجعة المصنوعة يدويًا، ما يجعلني أرغب في ضرب رأسي بالحائط إذا كان بإمكانني فعل ذلك دون كشف مكاني.

بينما أنتظر الفرصة للهرب، تبدأ صورة رايان الجديدة في التكوّن في ذهني. عليك أن تكون قاسيًا في عالم الأعمال، وأكثر قسوةً عندما تعمل في أعمال غير قانونية. علمتُ أن رايان لم يكن ليحقق هذا النجاح الكبير دون أن يتسخ قليلًا، لكن لو لم أسمع به بأذني، لما صدقت أنه قادرٌ على تهديد شخصٍ بقطع أصابعه واحدة تلو الأخرى. قد تبدو أساليبه بربريةً بعض الشيء، لكنها فعالة أيضًا، إذ أقرّ فريدي بأسماء شركائه في ثوان. أنا سعيدة بأنني رأيتُ هذا الجانب منه. من الضروري أن أعرف مع مَنْ أتعامل عندما يتعلق الأمر برايان.

أخيرًا، يغادر رايان وسيث المكتب، وأنتظر بضع دقائق إضافية قبل أن أسحب الستارة ببطء. أراهما من خلال النافذة، مستغرقين في حديث مع سائق شاحنة وصل لتوه، فأتسلل إلى الخارج بالطريقة نفسها التي دخلتُ بها، متتبعًا خطواتي حتى أعود إلى سيارتي المُستأجرة المصفوفة في موقف السيارات المجاور.

أتحقّق من هاتفِي وأرى رسالةً من ورشة إصلاح الإطارات تخبرني بأن سيارتي جاهزة، ورسالة أخرى من رايان أرسلها قبل خمس عشرة دقيقة يُخبرني فيها أنه يكاد ينتهي من اجتماعه وسيكون في طريقه قريبًا. في أثناء مُراقبتي له، أُرسل إليه رسالة نصيّة أخبره فيها أنني سأجلب العشاء في طريقي إلى المنزل من العمل. بعد أقل من دقيقة، يسحب هاتفه من جيبه الخلفي. يبتعد عن الأشخاص الذين يتحدث معهم، ويستدير ليعطيهم ظهره، ممّا يجعله الآن في مواجهةتي. لم أراه في وقتٍ سابق، لذا أدهشني مظهره المُتعب والباهت. تتحرّك أصابعه بسرعة على الشاشة، وبعد ثوانٍ قليلة يهتزُّ هاتفِي في يدي.

رايان: كان يومًا سيئًا جدًّا. لا أطيع الانتظار لرؤيتك.

أحاول تجاهل ما تثيره هاتان الجُمَلتان داخلي بتذكير نفسي أن رايان سيعود إلى المنزل الليلة مرتديًا البذلة التي غادر بها هذا الصباح، وسيكذبُ بشأن سبب سوء يومه. ثم سأريه إيصال ورشة الإطارات وأشكو من أنهم فرضوا عليّ رسومًا إضافية.

ورغم أنني أتوقع كذبَهُ، هل يتوقع هو أكاذيبي؟

الفصل الثاني عشر

اليوم الحالي

أرتشف من كوب الشاي وأجلس على الدَّرَج المؤدي إلى الفناء الخلفي. إنه يومٌ من تلك الأيام التي تبدو فيها السماء صافية وزرقاء لدرجة لا تُقاوَم، تستدعيني للخروج. يقلب رايان جازاة عُشب تبدو أقدم منه كأنه يستعد لإجراء عمليةٍ جراحية لها.

أسأله وهو يتأملها: «ما التشخيص؟».

يرفع بصره، وخطُّ من الشحم يمتد على جانب وجهه: «سأعلن وفاتها. (يتفحَّص ساعته) وقت الوفاة: الساعة العاشرة وخمس وأربعون دقيقة صباحًا».

أضحك قليلًا بينما يُغطي رايان الآلة بقطعة قماش كأنه يُغطي جثة.

- يبدو أنني سأذهب إلى متجر هوم ديبوت.

أسأله: «هل تريد رفيقًا؟».

تشرق على وجهه تلك الابتسامة التي أعرفها جيدًا.

- دائمًا. أعطني بضع دقائق لأنظف نفسي.

يتجه إلى الداخل بينما أجلس متكئةً محدقةً إلى السماء. مرت بضعة أيام منذ أن تجسستُ عليه في المُستودع، وصندوق البريد لا يزال فارغًا. شُاهد

جيمس وتلك المرأة الليلة الماضية. وفقاً لما تم تداوله على وسائل التواصل الاجتماعي، كانا في مصنع جعةٍ محليٍّ يستمعان إلى فرقة موسيقية شهيرة محلية. زارا كل مكانٍ شهير في المدينة.

تلقت حاملة إطعام الطيور الطنّانة المتدلية من غصن شجرةٍ جوار الشرفة انتباهي، فأراقب الطيور وهي تُرفرف بأجنحتها الصغيرة، متنقلةً بسرعة داخلها وخارجها لترتشف منها الماء. كل صباح، يعيد رايان ملء تلك الحاملة، كما كانت تفعل جدّته على الأرجح.

كانت أُمي ستعشق هذا المكان.

أمضينا ليالي كثيرة نحلم بالمنزل المثالي الذي كنّا ننوي بناءه يوماً ما. اعتقدتُ في صغري أنها كرهتُ فقط المقطورة أو شعرتُ بالحرَج منها. لكن مع مرور الوقت، أدركتُ أن أُمي كانت تطمح إلى أكثر من مجرد سقف أكبر؛ كانت تسعى إلى حياةٍ مختلفة، حياةٍ لا تحمل فيها همّ توفير المال الكافي لشراء احتياجاتنا الأساسية، وحياةٍ لا تخشى فيها على مستقبلي بعد رحيلها. يسألني رايان من عند باب الفناء: «هل أنتِ مستعدة؟».

- نعم.

ألقي نظرة أخرى على الطيور، ثم أقفز على قدميَّ وأتبعه عائدتين إلى داخل المنزل نحو باب المطبخ الذي يقودنا إلى المرأب.

بينما نتجول ببطءٍ بين ممرات متجر هوم ديبوت، يتفحّص رايان جزّازات العشب جميعها، ثم يتحقق من التقييمات على هاتفه قبل أن يحصُر خياراته. أقول، بعدما أمضى عشرين دقيقةً محدّقاً إلى الثلاث جزّازات أنفسهم: «سأذهب لإلقاء نظرةٍ على النباتات».

- أحضري عربة. نحن بحاجة إلى نبتةٍ لمدخل الشرفة الأمامي.

يزيح نظره عن الآلات أمامه وينظر إليّ.

- ربما بعض نباتات السرخس؟

أسأله: «تلك التي تُعلّق؟».

يهزُّ كتفيه ثم يومئ برأسه، ليخبرني أن القرار يعود إليّ، لأن في ذهنه، هذا المنزل لي أيضًا. نحن نُجسّد نموذج الزوجين العاديين المثاليين، وكل ما ينقصنا هو كوبان من ستاربكس وبعض اللحظات التي تتشابك فيها يدانا.

يُشبه قسم الحقائق في المتجر واحة وسط بحر من الأدوات والأخشاب والمستلزمات الكهربائية. أمشي ببطء، مارةً بصواني نباتات إبرة الراعي والبتونيا والبنفسج ثلاثي الألوان، وأفكر فيما قد أضيفه إلى أحواض الزهور في الفناء الأمامي لو كان بإمكانني أن أفعل ما أريد. كأني سأبقى هنا لأرى هذه الزهور وهي تُزهر بالكامل. في أثناء شرودي بجمال زهرة الكوبية ذات اللون الوردي التي لم أرَ مثلها من قبل، تصطدم عربتي بجانب عربةٍ قادمة من الاتجاه المعاكس.

- آه، آسفة!

لكنني أكاد أتجمّد في مكاني عندما أرى أنه جيمس والمرأة التي تدّعي أنها أنا.

تقول المرأة: «أوه، مرحبًا! أعتقد أننا التقينا في حفلة الديربي!».

أمل أن الابتسامة التي ترتسم على وجهي تُخفي تعبير التذمّر الداخلي من كلماتها. أومئ لهما قائلة: «نعم، بالطبع».

هل من الممكن أنها لا تعرف مَنْ أكون حقًا؟ أرسلت إلى هنا كنوعٍ من التهديد لتحلّ محلي؟ لأنها تتصرف بمهارة. مهارة كبيرة جدًا. لا تظهر عليها حتى أي إشارة تدل على أنها تعرفني أو نظرة مُطوّلة تُقيم وضعي كوني منافسةً واضحة لها. ربما لا تزال في مرحلة «انتظار المعلومات» ضمن وظيفتها، لكن ألا تجد الشبه بيننا مزعجًا كما أجده أنا؟ رغم أن شعري أغمق، فإن الشبه بيننا مذهل.

يقول جيمس مشيرًا إلى النباتات في عربته: «عادةً ما يُجدد والدي أحواض الزهور لأمي، لكنه غير قادر على فعل ذلك حاليًا، فقررنا أن نقوم بذلك عنه بما أن الطقس جميل جدًا اليوم».

أقول بينما تطحن ضروسي الخلفية بعضها: «يا لك من ابنٍ بارٍّ».

- جيمس، أهلاً يا رجل!

أسمع صوت رايان من خلفي. يركض نحونا ويتصافح الاثنان، ثم يومئ رايان تحيةً للمرأة.
- لوكا.

ينظر إليها ثم إليّ قبل أن يعاود النظر إليها مرة أخرى. يبدو أنه لاحظ التشابه بيننا أيضًا.

يسأل رايان بخفة ثم يلتفت إليّ ويقول: «اخترتُ واحدة، وسيحضرونها إلى مكان الدفع هنا. فكرت أن أساعدك في اختيار النباتات».

يضحك جيمس قائلاً: «يا إلهي، متى تقدّم بنا العمر إلى حدّ أن يومًا ربيعياً جميلاً يعني لنا العمل في الحديقة؟ كان أجدر بنا التمدّد على ضفاف البحيرة، نستمتع ببعض البيرة المثلجة».

يقول رايان: «نعم، بلا شك». لكنني أعلم أنه لو كان لنا الخيار، لاخترنا أن نغادر المكان ونقضي اليوم في الحديقة، ونترك الاستمتاع بالبحيرة والبيرة إلى ما بعد الانتهاء من العمل.

يقول جيمس: «في وقتٍ آخر». يستمرّ الحديث البسيط لبضع دقائق إضافية بينما نتبادل أنا وهي النظرات بصمت. عندما يهَمَّان بالابتعاد، أضع يدي برفقٍ على ذراع جيمس، موقفةً إياهما.

- كنت أفكر، هل لديكما أي خطط الليلة؟
ألقي نظرة سريعة على رايان ثم أعيد نظري إليهما. ظلت بعيدة عن متناول يدي لفترة أطول ممّا ينبغي.

- سيكون من دواعي سرورنا أن تنضمّا إلينا على العشاء.
تضيء وجهها ابتسامة مُشرقة عند تلقيها الدعوة.
يجيب جيمس نيابةً عنهما: «سنكون مسرورين بذلك. ماذا يمكننا أن نحضر معنا؟».

- لا شيء! لدينا كلُّ شيء. (ألتفتُ نحو المرأة قائلةً): لا أستطيع الانتظار!

الاسم المستعار: إزي ويليامز - قبل ثماني سنوات

هذه المهمة هي الأولى التي يُدعم فيها اسمي المزيف وخلفيتي الوهمية بسجلٍ حقيقي. حتى إنني بحثت عن اسمي الجديد، إيزابيل ويليامز، أو إزي اختصارًا، على جوجل ووجدتُ نفسي مدرجة كوني عضوًا في فريق العدو الريفي الذي شارك في البطولة على مستوى الولاية لإحدى المدارس الثانوية المحلية قبل بضع سنوات. بطريقةٍ ما، تضمنت الصورة المُرفقة بالمقال صورة جماعية ضبابية، وأكاد أقسم أنني كنت الفتاة الثالثة من جهة اليمين، بشعرٍ أشقر قصير، تمامًا مثل الشعر المستعار الذي أرتديه الآن.

هذا يجعلني أتساءل عن عدد الأشخاص الذين يعملون لصالح السيد سميث. ليس فقط أولئك الذين يُرسلهم في مهام مثلي، بل أيضًا أولئك الذين يعملون في الخفاء، يُعدّلون الصور التي تظهر في عمليات البحث على الإنترنت، ويخلقون هوياتٍ من العدم.

الشخص الوحيد الآخر الذي تعاملت معه هو مات، لكن يبدو أن هذه المنظمة، أيًا ما كانت، أكبر بكثير من مجرد السيد سميث ومات.

تطلبتُ المهمة الكثير من التحضيرات. تلقيتُ توجيهاتٍ دقيقة حول كيفية رفع شعري الطبيعي وتثبيتته بعناية تحت الشعر المستعار، بحيث لا تكون هناك أي فرصة لظهور أي خصلة منه. كما أُمّرت بوضع طبقةٍ سميكة من الضمادة السائلة على أطراف أصابعي، لضمان عدم ترك أي بصمة على أي ما ألمسه في أثناء وجودي هنا، مع التأكيد على إعادة وضعها كل بضع ساعات. أفرك أصابعي ببعضها، لا زلتُ أحاول التأقلم مع غياب الإحساس فيها. أضفتُ

المكياج المحدد لنحت الوجه والعدسات الملونة بنفسني. علمتني أُمي كيف أن بضع لمساتٍ من البودرة يمكن أن تُغيّر شكل ومظهر الوجه بالكامل، على الرغم من أنني أعلم أنها فضّلت أن أستخدم تلك الحيل لإبراز جمال ملامحي، وليس لطمسها.

إنه اليوم الأول من أول مهمةٍ لي مع السيد سميث، ولا بدّ أن أعترف بأنني أشعر ببعض التوتر. بالنسبة لجريج وجيني كينجستون، فأنا مجرد المُربية الجديدة لابنهما، مايلز. لكن الحقيقة هي أن جريج يملك شيئاً في هذا المنزل يريده مُديري، ومهمتي هي الحصول عليه.

تلقيتُ تعليماتٍ عديدة حول كيفية التعامل مع الأشياء أيضاً. حالما أَسْتَعِيد الشيء الذي أُرسلت من أجله، يجب عليّ أن أضعه في المكان المحدد مسبقاً في أسرع وقتٍ ممكن. تصعب إدانتك إذا لم تكن بحوزتك المسروقات عند الإمساك بك.

وأنا أَسْعِد إلى الشرفة الأمامية، أُمسد قميصي وسروالي القصير قبل أن أضغط على جرس الباب.

يفتح جريج الباب على الفور، كأنه كان يترقّب وصولي بلهفة. يرتدي بذلةً رمادية أنيقة مع ربطة عنق بلون رمادي داكن، ويبدو شعره كما لو أنه لم يتغيّر منذ أن كان صبيّاً؛ قصير، مُصَفَّف بعناية جانباً، دون أن تنفّلت شعرةً واحدة من مكانها.

يسألني وهو يرمقني بنظرةٍ فاحصة من أعلى إلى أسفل: «إيزابيل ويليامز؟». ارتديت ما طُلِب مني بالضبط: شورت كاكي يصل إلى أعلى الركبة ببوصتين، وقميص بولو وردي. أبدو كأنني على أهبة الاستعداد للعب الجولف.

أمد يدي إليه فنصافح بعضنا بحرارة. أقول بابتسامةٍ هادئة: «نعم، يا سيدي. سيد كينجستون. يمكنك مناداتي إزي».

يهزُّ رأسه ويدعوني للدخول. ينظر إلى ساعته للمرة الثانية منذ أن فتح الباب، ثم يصيح باتجاه الدَّرَج الحلزوني الذي يلتفُّ حول جدار المدخل: «جيني! إنها هنا!».

تتجه أنظارنا معًا نحو الطابق العلوي، منتظرين ظهور جيني.

لكنها لا تظهر.

يناديهـا جريج مجددًا، ومع ذلك، لا تزال غير مرئية.

يبدو عليه الانزعاج، ويشعر ببعض الإحراج. يتمتم: «عذرًا، أستاذذك للحظة». ثم يندفع صاعدًا الدَّرَج بخطوات سريعة، ويختفي عن الأنظار في غضون ثوانٍ.

- هل أنتِ المربية الجديدة؟

أستدير بسرعة لأجد مايلز يقف خلفي، في مُنتصف المدخل الذي يؤدي إلى غرفة الطعام، ثم المطبخ في نهايته، وفقًا للخرائط التي درستُها بعناية. أتقدّم نحوه ببطء، وأتوقف عندما أكون على بُعد بضعة خطوات منه، ثم أجتو حتى أكون في مستوى نظره. أسأله: «نعم، أنا كذلك. اسمي إزي. ما اسمك؟». رغم أنني أعلم اسمه بالفعل، بل وأعرف كل شيء عنه تقريبًا. زودني مات بملفٍّ شامل يتناول كل تفاصيل هذه العائلة عندما وافقتُ على العمل مع السيد سميث. يبلغ مايلز من العمر خمس سنوات، هو الطفل الوحيد في العائلة، وأنا المربية الرابعة التي يتعامل معها هذا العام.

يُدخل إبهامه إلى فمه مرة أخرى حالما يُخبرني باسمه، رغم أنه يبدو أكبر من أن يقوم بمثل هذه العادة.

أشير إلى التي شيرت وأقول: «الرجل الحديديُّ هو شخصيتي المفضلة». يشد التي شيرت بعيدًا عن جسده وينظر إلى الأسفل كما لو كان بحاجة إلى تذكُّر ما يرتديه. إنه تي شيرت يُظهر جميع شخصيات مارفل في أوضاعهم القتالية.

يقول: «أنا أحب هالك. إنه يُحطم الأشياء»، ثم يُضيف زئيرًا ويقبضُ يديه كأنه يستعد لتحطيم شيء ما.

أوشك أن أطرح سؤالًا آخر، لكن حركةً على الدَّرَج تلفت انتباهنا. وجد جريج جيني أخيرًا، وهو الآن يقودها نزولًا على الدَّرَج. تكاد تتعثر عندما تصل إلى الدرجة الأخيرة، كأنها لم تدرك أن الدَّرَج قد انتهى.

يقول جريج: «إزي، هذه زوجتي، السيدة كينجستون». يبدو أن قبضته على ذراعها هي ما تبقيها واقفة بثبات.

تبتسم جيني لي، لكن ابتسامتها تبدو خالية من الروح، لا تصل إلى عينيها. وأعلم أيضًا شيئًا آخر؛ تبدأ جيني يومها بتناول حبة زاناكس، تفضل احتساء كأس من الشاردونيه بعد الظهيرة، ولا تخلو أمسياتها من كأس أو ثلاث من الفودكا.

أمد يدي نحوها، فتقبض عليها بكلتا يديها قائلة: «إزي، سررت جدًا بلقائك!».

تمسكُ بيدي لمدة أطول مما ينبغي لتشعُرني بعدم الراحة. لحسن الحظ، يقترب مايلز، مما يجبرها على تحويل انتباهها إليه.

- ها أنت هنا، يا حبيبي! هل تناولت إفطارك؟

يهزُّ مايلز رأسه بالإيجاب، لكنه لا يقول شيئًا آخر.

يقول جريج: «حسنًا، عليَّ الذهاب إلى المكتب. (ثم يتوجه إليَّ بالحديث) أنتِ المسؤولة عن مايلز. جدوله اليومي مكتوب ومُعلق على الثلاجة، ورقمي في الأسفل. يمكنه أن يأخذك في جولةٍ بالمنزل ويُريك كل شيء. سأكون في المنزل بحلول السادسة».

يُداعب شعر مايلز سريعًا ثم يتجه نحو الباب دون أن يُلقي تحية وداع على جيني أو حتى ينظر في اتجاهها.

نقف نحن الثلاثة في المدخل لبضع لحظات غير مُريحة، حتى تنحني جيني لتطبع قبلة على خدِّ مايلز، ثم تمنحني ابتسامةً واسعة قبل أن تنسحب بخفة عائدةً إلى الطابق العلوي.

يسألني مايلز: «هل تودين أن أريك المكان؟».

أجيبه بابتسامة: «نعم، أرني جولةً شاملة». أتبعه عبر الباب الذي دخل منه في وقتٍ سابق.

اعتادت أُمي دائماً أن تخبرني أنني سأعرف الحياة التي قُدر لي أن أعيشها عندما أراها. أتأمل هذا المنزل وأتخيل ما قد يكون عليه شعوري لو كانت هذه هويتي الحقيقية، لو كنت إزي ويليامز، الطالبة الجامعية ومُربية مايلز كينجستون.

لكن هناك شيء واحد لا شكَّ فيه: هذه الحياة ليست لي.

خمسة أيام مضت، ولم أجد بعد ما جئتُ من أجله.

ما اكتشفته هو أن مايلز هو مَنْ يدير هذا المنزل. يعرف متى تصل مُدبرة المنزل، وأين يُحتفظ بالنقد اللازم لشراء مستلزمات الأسبوع، ويعرف أيضاً متى تنتقل جيني من الحبوب إلى المشروبات. عندما يبدأ النبيذ في التدفق، تبدأ الدموع في الانهمار، فنحرص على أن نختفي من المشهد.

بينما تكون جيني حزينة ومهمومة فيما يتعلق بمايلز، فإنها تُصبح شبه شرسة عندما يتعلق الأمر بي. تبتسم طوال الوقت عندما يكون جريج موجوداً، ولكن ما إن يُغادر حتى تظهر مخالبتها. إنها لا تريدني في منزلها، ولا تريدني أن أقضي وقتاً مع ابنها. لكنها غارقة في السُّكر والانتشاء لدرجة أنها لا تستطيع تغيير أيٍّ من هذه الأمور.

نقضي أنا ومايلز وقتنا في اللعب بمُكعبات الليجو. نبني القلاع. نُغني الأغاني. وأنا أواصل البحث، أبحث وأبحث دون توقُّف.

لن أكذب، يزداد هذا العمل صعوبة مع مرور كل يوم. لأنني عندما أجد ما أُرسلتُ من أجله، سأغادر. ومَنْ سيعتني بمايلز حينها؟

غير أن التفكير بهذه الطريقة أمرٌ خطِر. لذا، في كل يوم، أُضيف لبنة جديدة إلى الجدار الذي أبنيه داخل نفسي، على أمل أن يفصلني عن هذا الطفل الأشقر ذي العينين الزرقاوين، الذي يبدو أكبر من عُمره بكثير.

في اليوم الثامن، أتمكن أخيراً من دخول غرفة جيني.

هذا الجزء من المنزل نادراً ما أتمكن من الوصول إليه، لأن جيني تقضي مُعظم وقتها هنا. كلما خرجت من غرفتها، يلتصق مايلز بي كالغراء. لكن الآن، مايلز نائم، وجيني مُسترخية في الحَمَّام، بابٌ رقيقٌ فقط يفصلها عني.

هل تبقى هناك لساعات؟ أم تشطف جسدها سريعًا وتخرج؟ لا أحد يعلم. لكن لا يمكنني تحمّل تفويت هذه الفرصة لمجرد أنني لا أعرف ما سيحدث. أتجول في الغرفة، وأمعن النظر في كل زاوية. أبحث عن ناقل بيانات، يشبه تمامًا ذاك الذي أحتفظ به في جيبتي، والذي سأتركه مكانه. هناك الكثير من الأماكن التي يمكن إخفاء شيء صغير كهذا فيها. أبحث في كل درج وزاوية وركن في مكتب جريج، ولكن دون جدوى. لا أتردد في البحث في درج جواربه إن كان هذا هو المكان الذي يُخفي فيه مقتنياته الثمينة.

أبدأ في التفكير أن الخزنة ربما أُضيفت بعد شراء المنزل، رغم أن المخططات لا تُظهر وجودها، لذا أبدأ الآن البحث عن تلك الخزنة المخفية، فلن أحتمل الفشل في أول مهمة لي.

قطع من مجوهرات جيني مُبعثرة بإهمال على سطح مكتب عتيق ورقيق. هذه القطع ساحرة، وفي ذهني أفكر في إزالة الأحجار من مواقعها، وأحسب قيمة كل منها في السوق.

لكن هذا ليس سبب وجودي هنا، فأجبر نفسي على الابتعاد عن المجوهرات. أفتح الأدراج وأبحث في كل زاوية من الغرفة. إنها كبيرة بما يكفي لتكون هناك منطقة جلوس مخبأة في زاوية قرب الباب المؤدي إلى الحمام. أتسلل ببطء إلى تلك المساحة، أبقى هادئة تمامًا بينما أستمع إلى جيني تُغني بصوتٍ غير مُتناغم وهي في حوض الاستحمام.

الصورة العائلية المؤطرة لعائلة كينجستون، المُعلقة على الجدار، تعرض ثلاثيًا يبدو مثاليًا، لا يعكس الواقع الحقيقي للحياة داخل هذا المنزل. أنا متأكدة أن جيني شاركت هذه الصورة على وسائل التواصل الاجتماعي لتُوهم الجميع أن الحياة هنا وردية كما توحى الصورة. أسحب زاوية الإطار، كما فعلتُ مع كل قطعة فنية مُعلقة على جدران المنزل، وأمنع نفسي من الاحتفال عندما ينفتح الإطار كاشفًا عن خزانة صغيرة مُدمجة في الجدار. أحاول سحب المقبض، لكنه مغلق بإحكام.

أحرق إلى لوحة المفاتيح المكونة من عشرة أرقام، وأبدأ في التعرُّق. هناك الكثير من الأشياء التي أستطيع فعلها، ولكن فتح الخزائن ليس واحدًا منها. أُخرج الهاتف الذي أعطاني إياه مات للاستخدام في حالات الطوارئ فقط.

وهذه حالة طارئة.

لحسن الحظ، يردُّ على المكالمة من الرنة الأولى.

- ما الأمر؟

أهمس بصوتٍ خافت: «لا شيء. عثرتُ على خزنة، بها لوحة مفاتيح، وليس لديَّ الكثير من الوقت. ماذا أفعل؟».

- التقطي صورة وأرسلها إليّ.

أنفذ ما طلبه وانتظر حتى تصله الصورة.

- الأمر بسيط. لا يبدو أنها متصلة بنظام أمان معقد. جرّبي إدخال رقم مُكون من أربعة أرقام وانظري ما سيحدث».

أدخل 2580، لأنني قرأتُ ذات مرة أنه الرمز الأكثر شيوعًا، كونه الوحيد المكون من أرقام متتالية عموديًا.

- سمعتُ صوت تنبيه واحد ورأيت الضوء الأحمر يُومض مرة واحدة.

يصمت مات للحظاتٍ على الطرف الآخر، ثم يقول: «جرّبي تاريخ ميلاد الطفل».

أسترجع جميع التواريخ المهمة التي أعطوني إياها في الملف قبل أن أبدأ المهمة، ولا أجد صعوبة في استحضار الرقم الصحيح من ذاكرتي. أدخل 1017، وهو تاريخ 17 أكتوبر.

- صدر صوت تنبيه واحد وضوءان باللون الأحمر.

يُتمتم مات من الطرف الآخر: «تبًا. أراهن أن النظام يُقفل نهائيًا بعد ثلاث محاولاتٍ خاطئة. ربما يُعاد ضبطه بعد مدة معينة، قد تكون أربعًا وعشرين ساعة. ابقِي في مكانك وحاولي مجددًا غدًا».

ثم ينقطع الخط.

أشعر بخيبة أملٍ كبيرة. أحتاج إلى الخروج من هذا المنزل. صوت المياه المتطاير من الحَمَّام يجعلني أتجمّد مكاني، ثم أسمع جيني تُغني تلك الأغنية السخيفة التي لم تكف عن ترديدها طوال اليومين الماضيين. أسمع صوت

الماء يعود إلى التدفُّق مجددًا، ربما لأنها مكثت في الحَمَّام لفترةٍ طويلة حتى بردت المياه.

أحرق إلى لوحة المفاتيح بينما أستعرض في ذهني التواريخ والأرقام المهمة من ملف عائلة كينجستون. ثم أفكر في جريج. من الواضح أنه يحب مايلز، رغم أنه ليس من الآباء الذين يشاركون بشكلٍ مباشر في تربية أبنائهم. يُرسل رسائل نصيَّة على مدار اليوم للاطمئنان عليه، ويبدو مهتمًا حقًا بالتحدُّث إليه عندما يعود إلى المنزل كل ليلة. لكن الرمز ليس عيد ميلاده.

تضحك جيني بصوتٍ عالٍ. لا يسعني إلا أن أتخيل ما يحدث هناك بينما تستحم بمفردها.

لماذا لم يطردها جريج من هذا المنزل حتى الآن؟ من الواضح أنه يملك ما يكفي من المال لتوظيف كل المُساعدة التي يحتاج إليها. إنه لا يتحدث مع جيني إلا عند الضرورة، ومع ذلك، ألاحظه أحيانًا يرمقها بنظرةٍ يكتنفها الحزن، نظرةٌ تدل على أن الحب لا يزال موجودًا، رغم كراهيته لما آلت إليه. هل يمكن أن يكون الرمز عيد ميلاده؟ أو ذكرى زواجهما؟ يحاول جريج إخفاء الأمر، لكنه ينام في غرفة الضيوف كل ليلة، ولا توجد سوى صورةٍ واحدة فقط بجانب السرير. إنها صورةٌ لجريج وجيني. كانا شابَّين، تعلو الابتسامة وجهيهما، ووجنتاهما مُتلاصقتان. خلفهما، ألعابٌ ناريَّة تغطي السماء. هناك احتمال كبير أن هذه الصورة التَّقطت في موعدهما الأول، خلال نُزهة الرابع من يوليو في النادي الريفي.

أحرق إلى لوحة المفاتيح، وأحبس أنفاسي بينما أُدخل الرمز 0704. تمرُّ ثوانٍ دون أي حركة، ثم يُومض الضوء باللون الأخضر وأسمع صوت القفل ينفتح.

أتنفس الصعداء وأكاد أصرخُ من الفرح. لقد نجحت!

أفتح الباب، وأجد داخله ناقل بياناتٍ أحمر بغطاء أزرق، يُشبه تمامًا النسخة المُزيَّفة التالفة التي أحملها في جيبِي والتي سأتركها مكانها. هذه النسخة المُزيَّفة ستتسبب في تعطيل أيِّ حاسوب تدخل فيه. وبينما سيصاب جريج بالذعر ويتساءل عن سبب الخلل، لن يشك أبدًا أن هناك عمليةً تبديلٍ قد جرت.

وأنا أنهى عملية التبديل، أسمع ضحكة جيني مرة أخرى، ولكن هذه المرة أقرب بكثير. تقف خارج الحمام محدقة إليّ مباشرةً.

تقول بصوتٍ مُتلعثم، وعيناها نصف مغلقتين: «كنت أراقبك طوال الأسبوع الماضي وأنت تتجولين في منزلي». تتجمع بركة من الماء على الأرضية الخشبية من قطرات الماء المُتساقطة من جسدها العاري، الظاهر من خلال رداؤها المفتوح.

هذا سيئ. سيئٌ جداً. لقد ضبطتني متلبسة.

أقول: «الأمر ليس كما تظنين».

تترنح وتضحك ضحكة حادة: «بالطبع إنه كذلك. إنه بالضبط ما أظنه». تندفع جيني نحوي، وتمد يديها كأنها ستقبض عليّ أو تضربني، لكن تتعثر قدمها في الحزام المتدلي من رداؤها، فتسقط على الأرض قبل أن أتمكن من الإمساك بها. يرتطم رأسها بالأرضية بصوتٍ مدوّ، ويبدأ خيطٌ رفيع من الدم في الجريان من تحت شعرها الأشقر. إنها فاقدة للوعي تمامًا.

أهمس، وأنا أهبط بجانبها: «يا إلهي». أضغط بأصابعي على عنقها للتحقق من وجود نبض.

أُتصل بمات مرة أخرى.

أقول حالما يجيب على المكالمة: «حصلت على ما كنتُ أبحث عنه. لكن الزوجة رأتنِي. كانت مخمورة، تعثّرتُ وسقطتُ. رأسُها ينزف».

يسأل بصوتٍ هادئ: «هل ماتت؟».

- لا. لكنها بحاجة إلى مساعدة. هل يجب أن أُتصل بالإسعاف؟

يردُّ مات بغضب: «لتخبر الشرطة أنها ضبطتكِ متلبسة بالسرقة؟ اخرجي من هناك فوراً وأحضري ناقل البيانات».

أتردد قليلاً قبل أن أقول: «وماذا عن مايلز؟». رغم التوتر بيني وبين جيني، فإن هذا الطفل الصغير يستحق أفضل ممّا يحدث.

- اخرجي من هناك الآن! لا يمكن أن يُقبض عليكِ في هذا الوضع. لن يكون لدى كينجستون أي دليل إذا اختفيتِ. (يصرخ مات بصوتٍ عالٍ حتى إن صوته يتردّد في الغرفة): اخرجي من ذلك المنزل فوراً.

ثم ينقطع الخط.

أشعر بالخوف من لمسها مرةً أخرى. هل أستطيع تركها على هذا الحال؟ هل أستطيع ترك مايلز؟ لكن إذا بقيت، قد ينتهي بي الأمر في السجن. ستخبرهم أنني كنت أسرق، وقد يتهمونني بأنني تسببتُ في سقوطها. ستقول إنني دفعتها.

أخرج الهاتف الآخر من جيبي، الهاتف الذي يستخدمه جريج للاطمئنان على مايلز. الهاتف الذي لا أشغله إلا عندما أدخل منزل كينجستون.

يرد جريج على الهاتف: «مرحبًا».

أقول بسرعة: «هناك مشكلة. صعدتُ إلى الطابق العلوي لأخبر السيدة كينجستون بأنني أواجه حالة طارئة عائلية وأحتاج إلى المغادرة فورًا، لكنها فاقدةٌ للوعي على الأرض. يبدو أنها سقطت. مايلز نائمٌ على الأريكة في غرفة اللعب. عليك العودة إلى المنزل. لا أستطيع البقاء بسبب حالتي الطارئة».

يحاول أن يعترض: «انتظري...».

لكنني أنهي المكالمة قبل أن يكمل. أُسقط ناقل البيانات المزيف في الخزانة، ثم أغلقها وأعيد الصورة إلى مكانها. مايلز هو السبب الوحيد الذي يجعلني أخطر بنفسِي بهذا الشكل.

جريج يمكنه الاتصال بالإسعاف. يمكنه العودة إلى المنزل والتعامل مع هذه الفوضى. عليَّ أن أثق في اسمي المُستعار، وفي الخطوات التي اتخذتها لإخفاء هويتي. أندفع نزولًا على الدَّرج وألقي نظرةً أخيرة على مايلز. وجهه الصغير غارق في النوم، ويقبض بيده على البجعة الورقية التي علَّمته صنْعها، كما علمتني أمي. سيكون بخير. سيصل والده قريبًا. لم يعد مشكلتي.

أندفع خارجةً من الباب الخلفي، وأتسلل بحذرٍ على جانب المنزل حتى أصل إلى الشارع وأقفز إلى السيارة التي أعطاني إياها مات لاستخدامها في هذه المهمة. وبينما أغادر الحي المُحاط بالبوابات، تمرُّ بجانبِي سيارة إسعاف تصدر صوتًا حادًا، تتبعها سيارة شرطة.

أظلُّ محافظَةً على انحناءة رأسي وأقود وفق حدود السرعة المسموح بها. تُرى، هل سيفحصون لقطات الكاميرات عند بوابة الحارس؟ هل لديهم

صورة لي داخل هذه السيارة؟ كم سيمضي من الوقت قبل أن تبدأ الشرطة في ملاحقتي؟

أحتاج إلى عشر دقائق للوصول إلى مكتب كفالات إيه. إيه. إيه. حُذِّرت من العودة إلى هذا المكان، ولكن من الواضح أن الظروف الآن غير عادية.

يتجول مات في الشارع بقلق، ينتظر وصولي.

يفتح باب سيارتي بعُنْفٍ قبل أن تتوقف تمامًا.

- ما الذي أخرِّك كل هذا الوقت؟

يسحبني خارج السيارة ويدفعني نحو المبنى.

لا نتوقف حتى نصل إلى مكتبه.

أقول بينما أسلمه وحدة التخزين: «وصلتُ بأسرع ما يمكن». ثم أضع الهاتف الذي استخدمته لإجراء المكالمات مع جريج على المكتب. لا أذكر له المكالمة التي أجريتها معه؛ تلك التي حذفها من السجل قبل أن أغلق الهاتف، تحسباً لتفقدته.

أتساءل إن كان مايلز قد استيقظ ووجدها قبل وصول والده.

لا، لا يمكنني التفكير فيه الآن.

يُمسك مات بناقل البيانات في يده ويبدأ بالنقر على هاتفه. يقرأ ما يظهر أمامه، ثم يجفل عندما يرنُّ هاتفه.

- نعم.

ينظر إليَّ بتركيزٍ شديد، كأن عينيه تخترقان عينيَّ، ثم يمدُّ لي يده بالهاتف.

أتردد للحظةٍ قصيرة، ثم أمد يدي لأخذه.

أقول بصوتٍ خافت: «مرحبًا».

- أخبريني بكل تفاصيل ما حدث هذا المساء. لا تتركي أي شيء.

يُخفي صوت السيد سميث الآلي الغضب الذي كانت ستُظهره نبرته الطبيعية.

أروي له كل شيء، بما في ذلك كيفية اكتشافي لرمز الخزنة. لم أترك شيئاً سوى المكالمة مع جريج.

- تشعرين بالذنب لأنك تركت جيني كينجستون تنزف على الأرض.

لم يكن سؤالاً، لكنني أجيب: «نعم».

- كانت مجرد مسألة وقت قبل أن يحدث ذلك. إن لم يكن اليوم، فغداً أو

في اليوم التالي. كانت تتجه نحو هذا الطريق منذ فترة طويلة.

أبقى صامتة. رغم أن ما قاله قد يكون صحيحاً، فإنني لا أستطيع تجاهل فكرة أن هذا لم يكن ليحدث اليوم لو لم أكن في غرفتها، أفتش في خزنتهم. كانت ستخرج من الحمام وتستلقي في سريرها، كما كانت تفعل في كل يوم كنت فيه هناك. لذا، إذا نجحت في مسعاها اليوم، فإن ذلك يقع على عاتقي. أجيبه: «نعم، أدرك ذلك».

- أنجزت المهمة، لكنك كنت متهورة. المخاطرة بفتح الخزانة، والسماح لتلك المخمورة بمباغتتك. أنت أفضل من ذلك.

إنه محق. أنا فعلاً أفضل من ذلك. كان يجب أن ألاحظ توقُّفها عن الغناء، وأن أسمع خطواتها المرتبكة تعبر أرضية الحمام، وأن أسمع دوران مقبض الباب.

يسألني: «ماذا كنت ستفعلين لو لم تسقط من تلقاء نفسها؟».

أجيب بسرعة: «لا أعلم». وهذه هي الحقيقة. إلى أي حد كنت سأصل لضمان هروبي؟ أعتقد أنني لن أعرف أبداً.

- سأجيبك أنا. تفعلين كل ما يلزم لإنقاذ نفسك وإنجاز المهمة. لأنك

لن تنسي أبداً أن هذه مجرد مهمة. أنت لست جزءاً من تلك العائلة.

هذه ليست حياتك. ليس هذا عالمك. أنت مجرد شبح مرّ عليهم لبعض

الوقت. هؤلاء الناس لا يكثرثون لأمرك، لذا لا تكثرثي أنت أيضاً لأمرهم.

ألترّم الصمت بينما يستمر في تفريغ غضبه عليّ. اندفعت كلماته

كالطعنات في صدري.

- راقبتك لفترة طويلة. وصلت إلى ما وصلت إليه بفضل ذكائك وقدرتك

على التفكير بسرعة. تمتلكين أيضاً حدساً فطرياً لا يمكن تعلمه. تلك

مواهب، كدت تهديريها اليوم. أفهم أنك شعرت بالحاجة إلى الاتصال

بمات لطلب المساعدة عندما وجدت الخزانة، لكن يجب أن يكون

الاتصال هو الخيار الأخير. طلب المساعدة قد يصبح وسيلة للاعتماد الزائد. أحتاج إلى أشخاص يمكنهم حلُّ المشكلات دون الاستعانة بالآخرين، لأن المساعدة قد لا تكون متاحة دائمًا. تلك المرأة تمكّنت من مباغتتك لأنك انشغلت بالإسراع في إتمام المهمة والاعتماد على مات. توجب عليك أخذ خطوة للوراء، وإجراء بحثٍ عن الخزنة، وإيجاد طريقة لفتحها دون الحاجة إلى الرمز. لا أن تخاطري بكشف هويتك عن طريق إجراء مكالمة هاتفية غيبية بينما كانت الزوجة اللعينة تستحم في الغرفة المجاورة.

تبدو الشتائم أكثر فظاظة عندما تصدر من صوتٍ آلي. لم يكن هذا الحديث التحفيزي الذي توقعتُ سماعه، لكنه بلا شك الحديث الذي كنت بحاجة إليه. وهو على حقٍّ تمامًا. تعجلتُ في إنجاز المهمة. لم أرد قضاء يومٍ آخر يربطني أكثر بمايلز.

من الآن فصاعدًا، يجب أن أكون أفضل. سأكون أفضل. كان درسًا صعبًا عليّ تعلّمه.

كان من المؤلم أن يصارحني بالحقيقة بهذه الطريقة. رغم أنني سأظل أتذكر مايلز وهذه المهمة لبقية حياتي، فإنه بلا شك سينساني. لكن السيد سميث مُخطئ. أنا لست مجرد شبح مرّ في حياة عائلة كينجستون. أنا شبحٌ يمرُّ في حياتي الخاصة.

الشخص الوحيد الذي يهتم لأمرى هو أنا. الشخص الوحيد الذي سيتأكد من بقائي على قيد الحياة هو أنا. أنا أعتمد بالكامل على نفسي.

يقول أخيرًا: «سيُحوّل المال إلى حسابك مقابل إتمام هذه المهمة. ستصك تعليمات المهمة التالية خلال الأسبوع. خذي بضعة أيام لحزم أغراضك، ستتطلب منك المهمة القادمة الانتقال إلى مكانٍ آخر. لا أستطيع المُخاطرة بأن تصادفي عائلة كينجستون.»

- نعم، يا سيدي.

- نَقَلْتُ سيارَةَ الإسعافِ السيدةَ كينجستونَ مِنَ المنزلِ، والشرطةُ تستجوبُ السيدَ كينجستونَ في هذه اللحظة. في المرة القادمة التي أطلبُ منك فيها أن تروي لي كافة التفاصيل، لا تتركي أي شيء، مهما كان.

أخذَ نفسًا عميقًا وأحبسه حتى أشعر بحرقان خفيف في صدري ويبدأ رأسي في الدوران قليلًا. أفرج عن الهواء بهدوء، وأهمس: «سأكون أفضل. لن أرتكب أخطاء».

وأضيف بصمت: ولن أسمح لنفسي بالتعلُّق بأي شخصٍ في أثناء العمل مرة أخرى.

يُكرّر بصوتٍ حازم: «لا أخطاء».

الفصل الثالث عشر

مكتبة

t.me/soramnqraa

اليوم الحالي

حفلة العشاء هذه ستكون مُختلفةً تمامًا عن تلك التي أقمناها قبل بضعة أسابيع. أجهز المائدة في الفناء الخلفي بدلًا من غرفة الطعام، حيث إن الطقس جميل والبعوض لم ينتشر بعد. يُبرِّد رايان البيرة والنبيذ اللذين اشتريناها سابقًا، ويضعهما في الحوض المزخرف المصنوع من الحديد المُجلفن والذي نُقش على واجهته اسم «سَمَنر». أهدته سارا هذا الحوض في عيد ميلاده الأخير؛ وإذا كانت هناك قاعدة واحدة تعلمتها على مر السنين، فهي أن أهل الجنوب يعتقدون أن أفضل الهدايا هي الهدايا المُعدَّة خصيصًا.

يصل جيمس وتلك المرأة في اللحظة التي يبدأ فيها رايان في إشعال الشواية.

نُحييها وهما يصعدان الدَّرجات القليلة المؤدية إلى الشرفة. يأخذ رايان إحدى عُبوات البيرة المكونة من اثنتي عشرة عُلبة التي يحملها جيمس، بينما تُسلمني هي طبقًا مغطى بورق القصدير وتقول: «أعلم أنكِ قلتِ ألا نحضر شيئًا، لكنني أعددتُ أنا ووالدة جيمس كمية كبيرة من البراونيز هذا المساء».

أرفع طرف ورق القصدير لألقي نظرة.

- أوه، رائحتها رائعة.

أستطيع بالفعل تصوّر المنشور الذي من المُحتمل أن تكون السيدة برنارد قد نشرته على فيسبوك.

يسأل رايان جيمس وهو يضافحه: «كيف حال ساق والدك؟».

يرد جيمس: «تتحسن، أو على الأقل يتحسن في عدم الشكوى منها».

تضحك المرأة بينما تدفع جيمس بمرفقها.

- توقف عن ذلك. إنه مريض أفضل بكثير ممّا سيكون عليه ابنه. (ثم تلتفت إليّ وتقول): هناك لعبة بوكر مستمرة لا تنتهي منذ أن اضطرّ إلى البقاء في المنزل. بات يفتقد الأصدقاء المستعدين لخسارة المال لصالحه. (تضع يدها بلطف على ذراع رايان وتضيف): أعلم أنه سيُسَرُّ كثيرًا بزيارتك. ربما تخسر جولة أو اثنتين لرفع معنوياته؟

في غضون دقائق من وصولها، استحوذت على انتباه الرجلين بكل كلمة تقولها.

يقول جيمس: «ليس من الصعب على رايان أن يخسر في لعب الورق!». أضحك بشكلٍ يكفي ليبدو طبيعيًا، ثم أشير للجميع بأن يتفضلوا بالجلوس إلى الطاولة بينما يُضيف رايان البيرة التي أحضرها جيمس إلى الحوض. - لن أتأخر، لحظة واحدة.

أقولها بينما أخطو إلى الداخل لأحضر المقبلات التي أعدتها سابقًا. بعد أن أجلس مرة أخرى، أتنفس بعمق وأستمتع بالأجواء المحيطة. إنها ليلة رائعة، ذات نسيم دافئ ومُنْعَش، وهو طقسٌ نادر في لوزيانا التي نادرًا ما تنعم بمثل هذه الأجواء الخالية من الرطوبة. من المؤسف أن أقضي مثل هذا المساء المثالي في العمل.

تتدفّق المحادثة بسهولة، حيث يتولى الرجال الجزء الأكبر منها. تبدو هي كأنها تتبع النهج نفسه الذي أتبعه في مثل هذه المناسبات: الاستماع والتعلّم. يقول رايان ضاحكًا بعد مرور بعض الوقت: «نحن نحتكر الحديث. (ثم يلتفت إلى المرأة الجالسة إلى جوار جيمس) أود أن أتعرف أكثر على أحدث الوافدين إلى منطقة ليك فوربينج».

- نعم، لم تُتَحَ لنا الفرصة للحديث كثيرًا في حفل الديربي... يا لوكا.

يصعب عليّ نطق اسمها بصوتٍ عالٍ؛ اسمي. كان له مذاقٌ مرٌّ على لساني كما توقعت.

تكتفي بهز كتفها وتبتسم لجيمس بابتسامةٍ دافئة.

- لا يوجد الكثير لأحكيه. التقيتُ أنا وجيمس قبل بضعة أشهر، كنّا نعمل معًا في باتون روج. أعمل خبيرةً في تقدير التأمينات وكنتُ هناك لمتابعة مجموعة من المطالبات المتعلقة بالإعصار الذي اجتاح المنطقة في الخريف الماضي.

يقول رايان: «نعم، كان ذلك سيئًا للغاية. لديّ بعض العملاء هناك. الكثير من المنازل دُمّرت».

تضع يدها على يد جيمس وتتشبث بها.

- كان أمرًا مأساويًا. يجعلك تُقدّر حقًا كل ما تملكه.

أبذل كل جهدي للحفاظ على ابتسامتي اللطيفة وتعابير وجهي المهمة ثابتين دون أن يتزعزعا.

أسألها: «إذًا، أنتِ تنتقلين من كارثةٍ إلى أخرى؟».

تتجهم قليلًا.

- إلى حدٍّ كبير. يُصبح الأمر صعبًا في بعض الأحيان. لكن هناك فترات راحة بين الحين والآخر، مثل الآن. لا يوجد مكانٌ يجب أن أكون فيه، لذا يمكنني متابعة الأعمال الورقية من أي مكان.

تُلقي نظرةً مُحبّةٍ أخرى إلى جيمس وتعصر يده برفق، لكنه مشغول جدًا باحتساء باقي زجاجة البيرة بيده الفارغة ليلحظ ذلك.

إنها بارعة. خلفيتها مقنعة، وأداؤها مثالي، وتعابير وجهها تتناغم مع مشاعرها بدقة. أشعر بالإعجاب.

أما جيمس، فيبدو أنه يحتاج إلى بعض التدريب، رغم أنني متأكدة أنه مجرد بيدقٍ في هذه اللعبة. هي تبدو متألقة بينما يبدو هو كأنه على وشك الانهيار. لا أستطيع تخيل أي ظرفٍ يمكن أن يجعل هذه العلاقة حقيقية.

كنت في مثل مكانها من قبل، مجبرة على تمثيل شيء ما فقط من أجل المهمة. حقيقة أنها تستمر في النظر إليه كأنه علّق القمر في السماء تزيد من احترامي لها أكثر ممّا أرغب.

تلتفت نحوي وتقول: «أخبرني جيمس أنك لم تعيشي هنا منذ فترة طويلة، يا إيفي. ما الذي جاء بك إلى ليك فوربينج؟».

- أوه، كنت أتنقل كثيرًا منذ فترة. توفّي والداي في حادثّة سيارة منذ بضع سنوات وكنت بحاجة إلى تغييرٍ في حياتي. أعُض على شفّتي السفلية وألقي نظرةً خاطفة على رايان؛ مُظهرة لمحة سريعة من الضعف قبل أن أكبحها مرة أخرى. يقترب مني ويضع يده على فخذي.

- انتهى بي المطاف هنا ووقعت في حب هذا المكان. لديّ نقطة ضعفٍ تجاه المدن الصغيرة اللطيفة. (أقول ضاحكةً بخفة): وأيضًا تجاه شابٍّ لطيف يجيد إصلاح أعطال السيارات البسيطة. يضحك رايان بجانبني: «أي شيء يتجاوز تغيير الإطارات، سأضطر حينها إلى استدعاء المساعدة».

تميل إلى الأمام، وابتسامة واسعة تُرسم على وجهها.

- بالحديث عن المُدن الصغيرة اللطيفة، مَنْ هي صديقتكِ الجامعية المقيمة في إيدن، يا إيفي؟ أنا متأكدة أنني أعرفها أو أعرف عائلتها. سيكون من الصعب عدم معرفتها في بلدة بحجم إيدن.

يا لها من عاهرة.

أبادلها الابتسامة.

- ريجينا ويست. لديها أخت أصغر، ماتيلدا، وأخٌ أكبر، ناثن، ربما تعرفينه. أقمنا في منزلها خلال زيارتنا لكنني لا أستطيع أن أخبركِ بالشارع أو الحي.

لنرى مدى براعتها ومدى دقّة المعلومات التي زوّدتُ بها عني. ريجينا ويست كانت زميلتي في المدرسة، لكن انتقلت عائلتها عندما كنّا في الصف السابع. كنّا صديقتين مقربتين في أثناء نشأتنا، وأود حقًا معرفة مقدار ما

يعرفه السيد سميث عن ماضيٍّ. عاد ناثان إلى إيدن قبل ما يقرب من خمس سنوات بعد أن أنهى دراسته في كلية الطب وفتح عيادةً تستقبل المرضى دون الحاجة إلى موعدٍ مُسبق. لا يوجد الكثير من الأطباء المحليين في تلك المنطقة، لذا فهو معروف ويحظى باحترام كبير في المجتمع.

تعتقد حاجبيها كما لو كانت تحاول جاهدة تذكر شيء ما.

- يبدو الاسم مألوف...

تتوقف عن الكلام، تاركةً جملتها غير مكتملة.

لا، سأخضم نقاطاً. من الواضح أنها لم تبذل أي جهدٍ في البحث بنفسها واعتمدت فقط على ما قدمه لها السيد سميث. لو اكتشفتُ صداقتي القديمة بريجينا، لأحيطت علماً بناثان، لأننا كنَّا لا نفترق قبل أن تنتقل عائلتها. أظن أن السيد سميث لم يكتشف شيئاً عني قبل مرحلة الثانوية.

يسأل رايان: «أما زالت تُعتبر إيدن موطنك؟ أعتقد أن شركتك لن ترسلك بعيداً جداً عن مكان إقامتك من أجل العمل».

- أعيش في رالي الآن. إيدن مكانٌ رائع، لكنه صغيرٌ جداً، كما تعلم. (تهز كتفيها ثم تنظر إليَّ كأنها تنتظر مني أن أوافقها الرأي) تُعاني شركتي نقصاً في الموظفين، لذا نحن جميعاً نعمل تحت ضغطٍ كبير. يرسلونني إلى حيث تقتضي الحاجة.

يضحك جيمس بصوتٍ عالٍ ويقول: «يبدو أنكما قد تجولتما كثيراً. إيفي، أخمن أنك إذا انتقلتِ إلى العيش مع رايان، فأنتِ تخططين للبقاء لفترة. لا مزيد من التجوال؟ أم أن هذه مجرد محطة مؤقتة؟».

- جيمس، أنت تُخرجها بحديثك.

تحمل نبرة صوت رايان لمحةً من الحدة التي سمعتها قبل بضعة أيام في مكتبه في جيلينفيو.

تضغط على يده بقوةٍ كافية لدرجة أن جيمس يتأوه، ثم يقول لها هامساً: «أو! ظننت أنك تريد معرفة ما إذا كانت ستبقى هنا».

نعم، أستبعدُ تماماً أنه يعمل لصالح السيد سميث. فهو ليس ماهراً على الإطلاق، وهي بحاجة إلى تحسين قدرتها على التحكم ببندقها.

أقول متجاهلةً تعليقه الأخير: «إنه سؤالٌ منطقي. لم أكن لأقبل دعوة رايان للانتقال إلى العيش معه إذا كانت لديّ خططٌ للانتقال مرةً أخرى». يمرر رايان إبهامه بلطف على ساقي، ممّا يدل على رضاه عن إجابتي.

- حالما ترى الخطط التي أعمل عليها للحديقة النباتية والصوبة الزراعية، لن تذهب إلى أي مكان. سيحتاج الأمر إلى شخصين، لذلك لا يمكنها التخلّي عني.

يلفت انتباهي ما قاله، فألثفت إليه بسرعة.

- هل تنوي إنشاء حديقة؟

يهزُّ رأسه ببطء وتزداد ابتسامته اتساعًا.

- لا. (يتوقف قليلاً ثم يقول): سنُنشئ حديقةً معًا. قلتِ إنك دائماً ما أردتِ واحدة.

الاحمرار الذي يغمر وجهي حقيقي، وأتمنى لو لم أكن مضطرة إلى مشاركة هذه اللحظة مع الشخصين الآخرين على الطاولة. تميل المرأة إلى الأمام، تقاطع اللحظة بيني وبين رايان سائلةً: «هل يمكنك أن تدليني على أقرب دورة مياه، يا إيفي؟».

لكن رايان ينهض بالفعل.

- سأدلكِ على الطريق. سأتوجه إلى الداخل لأحضر شرائح اللحم. يجب أن أضعها على الشواية الآن وإلا سنأكلها على الإفطار.

تتبعه إلى الداخل، وأنا أعلم أنها ستستغل هذه اللحظة للتجسّس على أغراضنا. هذا بالضبط ما كنت سأفعله، ولكن الأهم من ذلك، هو ما أريدها أن تفعله. لقد تركتُ لها شيئاً صغيراً لتجده، وأعرف أنها ستنقله إلى السيد سميث. إنها لعبةٌ خطيرة، لكنني بحاجة إلى أن يكشف عن أوراقه كلها. لقد سممتُ من المفاجآت.

ما يثير الاهتمام في هذا الوضع هو أنني لا أستطيع تحديد ما إذا كانت تُدرك أنني هنا لأداء مهمة، مثلها تمامًا، أم أنها تتعامل معي كما تفعل مع أي هدفٍ غافل؟ هل تضمّنت تعليماتها الإشارة إلى إيدن، كارولينا الشمالية، بهدف إثارة قلقي؟

ينادي رايان وهو يعود إلى الشرفة حاملاً طبقاً من شرائح اللحم المُتبلة: «جيمس، كيف تحب أن تُطهى شرائح اللحم؟». يرتدي مريلة مكتوب عليها: لست مضطراً إلى تقبيلي، لكن يمكنك أن تحضر لي بيرة.

يجيب جيمس وهو يتوجه نحو الشواية: «نصف مطهوءة».

أرشف من نبيذي بينما أُمِنَح تلك المرأة بضع دقائق إضافية لتبحث في أغراضي، ثم أنهض من على كرسيي.

- يبدو أنك نسيت الخضار. سأذهب لإحضاره.

يومي رايان برأسه ويعود إلى الحديث مع جيمس.

أدخل المطبخ متوقعة أن أجدها هناك، لكن الغرفة خالية. أنظر إلى ساعتني. إنها تستغرق وقتاً أطول من اللازم.

أتحرك بهدوء نحو السلالم. وعندما أصل إلى الأعلى، أراها تخرج من الحمام الموجود في الردهة العلوية.

أقول مبتسمة: «خشيتُ أن تكوني ضللت الطريق».

تطلق صرخة صغيرة وتنفض قليلاً إلى الوراء، واضعة يدها على صدرها.

- أوه، لم أركِ هناك! (ثم تتحول تعابيرها إلى ابتسامة جذابة) انشغلتُ بمشاهدة الصور العائلية اللطيفة المعلقة على جدار السلم في أثناء صعودي! كان رايان طفلاً رائعاً!

أنظر إلى الصور المَعْنِيَّة وأجد نفسي مضطرة إلى الموافقة. كان طفلاً لطيفاً حقاً. أَمِنَحها نقاطاً إضافية على هذا التبرير الذكي. إنه عذرٌ جيد.

تتجه نحو السلالم وتنتظر، كأنها ستتبعني، لكنني أتحرك جانباً.

- سألتقيكِ في الأسفل. أحتاج فقط إلى أخذ شيءٍ من غرفتي.

تتردد للحظة قبل أن تبتسم وتمر بجانبني. حالما تختفي عن الأنظار، أتوجه إلى غرفتنا في نهاية الردهة. هناك شيءٌ واحد فقط يمكنها أن تجده هنا، وأمل أنها فعلت.

أتوجه إلى التسريحة وأفتح الدرج. كنت قد رصت قلمين جاف وقلم رصاص بطريقةٍ محددة جداً فوق مجموعة من الأوراق، وكان عليها أن

تُزيحهم جانبًا لتتمكن من قراءة المکتوب هناك، ومن الواضح أنها فعلت ذلك بالضبط. أغلق الدُرج وأتجه نحو الطابق السفلي.

أعود إلى الخارج حاملةً الخضار، وأُعطي رايان الصينية، ثم أشعل الشموع التي نشرتها حول المكان الآن بعد أن غربت الشمس تمامًا.

يقول رايان: «كل شيء سيكون جاهزًا قريبًا».

أومئ برأسي وأقول: «رائع. سأحضر الباقي من المطبخ».

بعد فترة وجيزة، يضع رايان شريحة لحم في كل طبق إلى جانب كمية من الخضار المشوي، بينما أضع خبز الثوم ووعاء سلطة كبير في وسط الطاولة.

تقول: «كل شيء يبدو لذيذًا. لقد تفوقتما على نفسيكما».

أقطع قطعة صغيرة من اللحم وأضعها في فمي، وأمضغها ببطء.

أقول: «نحب استضافة الضيوف». أُلقي نظرة على رايان. يبتسم لي بتلك الابتسامة الماكرة، حيث نتذكر معًا الأسابيع التي استغرقها في إقناعي بإقامة حفلة العشاء الأخيرة.

يسأل رايان: «كم من الوقت ستبقين في المدينة؟».

تنظر إليه كأنها غير متأكدةٍ من الإجابة.

يجيب جيمس: «ربما أسبوعين آخرين. عندما يتمكّن والدي من التحرك بشكل أفضل بمفرده، سأشعر براحةٍ أكبر بشأن المغادرة».

يُعلق رايان: «من الجيد أنكَ تمكنت من أخذ إجازة كنتك من العمل».

ثم يرتشف من زجاجته. كان هذا موضوعًا أثاره رايان في وقتٍ سابق من اليوم: قلقه بشأن السبب الحقيقي لعودة جيمس إلى المدينة. إذا كان جيمس قد استعاد حياته المهنية كما يدّعي، فمن المثير للتساؤل كيف تمكّن من الحصول على إجازة طويلة كهذه من العمل؟

يقول جيمس ضاحكًا: «هذه فائدة العمل باستخدام الحاسوب المحمول. يمكنني العمل من أي مكان».

أسأل: «ماذا تعمل، يا جيمس؟».

ينظر إلى المرأة كأنها الوحيدة التي تعرف الإجابة. تنظر إليه بوجه يحمل تعبيرًا لا يمكن وصفه إلا بالأمل في ألا يُخفق تمامًا في إجابته. أخيرًا، يلتفت إلينا ويقول: «في الواقع حصلتُ لي لوكا على وظيفة في شركتها. أنا أعمل معها».

كان يمكنه أن يجعل الأمر أكثر إقناعًا لو لم يبدو مُحبطًا بهذا الشكل. بدلًا من أن نظن أنهما متساويان في العمل، يبدو كأنه حالة إنسانية تحتاج إلى المساعدة.

لم يكن رايان سعيدًا بدعوتي لهما على العشاء. قضى ساعة كاملة محدثًا جلبه في المرائب ثم أمضى بقية فترة ما بعد الظهر في إخفاء بعض الأشياء الثمينة التي يسهل نقلها من المنزل، بما في ذلك مجوهراتي وأي أدوية موصوفة يُحتفظ بها في خزانة الأدوية. أشارت الفتيات إلى أن جيمس سرق رايان آخر مرة كان موجودًا فيها في المدينة، لكن رايان لم يعترف لي بذلك. ومع ذلك، لا يمكنك أن تجزم إذا كان بينهما خلاف من الطريقة التي يتصرّفان بها مع بعضهما الآن.

التحضير لهذا المساء كان من أكثر الأمور توترًا بيننا.

بغض النظر عن مخاوف رايان أو دوافع جيمس، أنا مهتمة فقط بتلك المرأة.

تمرُّ بقية العشاء في تبادل الأحاديث العابرة. يواصل رايان مُجارة جيمس في احتساء البيرة حتى يصلا إلى حالة من السُّكر الخفيف. نجمع، أنا وهي، الأطباق بينما يتسلل جيمس ورايان إلى الفناء الخلفي شبه المظلم ليتبادلا قذف كرة قدمٍ قديمة، حيث يخطئان في الإمساك بها أكثر ممَّا يصيبان.

تتبعني إلى الداخل حيث نبدأ في غسل الأطباق المُتسخة وترتيب ما تبقى من الطعام. أخبرني السيد سميث عن سبب وجودها هنا، لكنها تُعتبر أداة ثمينة جدًا لتُهدر في مجرد تحذيرٍ موجّه لي. والآن بعد أن بحثت في أغراضي، أدركت أنها تلعب دورًا نشطًا؛ فهي ليست مجرد مراقبة. لذلك، أقرر التحول للهجوم.

أسألها بنبرة عادية: «هل حصلتِ على التعليمات التالية أم أنكِ ما زلتِ تراقبين صندوق البريد كل يوم؟». من الطريقة التي انزلق بها الطبق من بين يديها إلى الحوض، أعلم أنني فاجأتها.

لكنها تستعيد رباطة جأشها بسرعة. يظهر الارتباك على وجهها عندما تقول: «تعليمات؟».

- لا أتوقع منك الإجابة. لكنني أتوقع منك الإبلاغ بأنني هنا لأقوم بعملتي ولا أرحب بأي تدخل.

تشير لغة جسدها إلى أنها تفاجأت حقًا بكلماتي، لذا أعتقد أنها لم تكن تعرف أننا نعمل لدى الشخص نفسه. أقترب منها قليلًا وأقول: «لدينا أشياء مشتركة أكثر مما تعتقدين».

لا تزال علامات الشك باديةً على وجهها، لكنها الآن تحت سيطرة أفضل.

- أنا آسفة، لا أعرف حقًا عمًا تتحدثين.

- محطة شيتز في شارع نورث فان بورين في إيدن، ما اسم الشارع الجانبي لها؟

تفتح فمها قليلًا، لكن لا تخرج أي كلمات.

أقول: «إنه إيست ستاديوم درايف، الطريق نفسه المؤدي إلى المدرسة الثانوية. طريقٌ يعرفه أي شخص في إيدن دون تردد. هل أرسلتِ إليه صورة لما وجدته في الطابق العلوي بالفعل، أم ستفعلين ذلك عندما تعودين إلى منزل آل برنارد؟».

تتراجع قليلًا عند سماع نبرة صوتي.

- لا أعرف...

أقترب منها أكثر وأقول: «ما رأيك أن ننتقل إلى الجزء الذي تجيبين فيه على سؤالي؟».

تمرُّ لحظة توتر، ثم تقول: «أرسلتُ إليه الصورة بالفعل».

لم يكن بإمكانها أن تدرك أن ما وجدته كان عديم الفائدة، لكنها رأت أنه شيء لا ينتمي إلى دُرج ملابسي ويبدو مريبًا. وهذا كان كافيًا لترسله إلى السيد سميث.

لم أستطع تفويت الفرصة لإيصال شعوري تجاه وجودها هنا. إنه يعرف جيدًا أنني لن أحتفظ بأي معلومات حساسة في هذا المنزل. لذا، أنشأت جدول بيانات بعنوان «جمع التبرعات لرابطة الأوبرا» يحتوي على قائمة بأسماء وهمية وأرقام بطاقات ائتمان مزيفة، تُمثل تلك التي كان من الممكن أن أحصل عليها من المزاد في النادي الريفى لو لم يُقبض عليّ تلك الليلة. كان هذا كافيًا لجذب انتباهها، وسيعلم السيد سميث أنني نصبت لها فخًا لتجدها. لا يعجبني إطلاقًا إرساله لشخص ما ليقترح مساحتي الشخصية.

تبدأ في الابتعاد ثم تتردد للحظة: «كيف عرفتِ؟».

- توقعتُ أن تبحثي في أغراضي، لذلك تركته لك لتعثري عليه. ولكن إذا لم أتوقع ذلك، لما عرفت.

لست متأكدة لماذا شعرتُ بالحاجة إلى منحها ذلك الثناء البسيط، خاصةً أننا لسنا في الفريق نفسه.

تقول: «من الأفضل أن أطمئن على جيمس».

عندما تقترب من باب الفناء، أقول: «تحذيرٌ أخير. ليس هناك فارقٌ كبير بين القيام بالمهمة والتحوُّل إلى المهمة نفسها». هناك المزيد ممَّا أرغب في قوله، لكنني أدرك أنني تحدثت كثيرًا بالفعل، والسيد سميث لن يكون راضيًا عن صراحتي معها.

تفتح الباب وتقول بصوتها اللطيف المبالغ فيه: «جيمس، عزيزي، هل أنت جاهز؟».

- نعم، يا حبيبتي. أنا جاهز عندما تكونين جاهزة.

نرافقهما أن ورايان إلى الخارج، وألاحظ أن الأمور ليست متوترة بيني وبينها فقط، بل أيضًا بين رايان وجيمس.

الوداع كان مقتضبًا مقارنةً بجو الود والراحة السائد خلال العشاء. تتولى هي القيادة، لأن جيمس بالكاد استطاع الوصول إلى السيارة على قدميه، ويتدال النظرات بينما تُشغل السيارة.

نراقبهما، أنا ورايان، وهما يتراجعان بالسيارة خارج الممر.

أسأل: «هل حدث شيءٌ مع جيمس؟».

يتوتر رايان بجانبى ويجيب: «المشكلات القديمة نفسها».
حالما تختفى أضواء سيارتهما حول الزاوية، تمسك يدانا ببعضهما وندلف
إلى المنزل.

الفصل الرابع عشر

اليوم الحالي

أستيقظ أبكر من المعتاد في صباح يوم الأحد. أثارت أحداث الليلة الماضية سلسلة لا تنتهي من الأسئلة، ممّا جعلني لا أنام جيدًا. أتسلل من الفراش بحذر، محاولةً ألا أوقظ رايان، ثم أهبط بهدوء إلى المطبخ. أحتاج إلى الاستفادة من الساعتين القادمتين في التفكير فيما يجب أن أفعله بينما أنتظر الخطوة التالية من السيد سميث.

أشغل ماكينة القهوة قبل أن أفتح التلفاز الصغير في رُكن الإفطار. يتردّد صوت فيلم قديم بالأبيض والأسود في الخلفية بينما أحرق إلى تدفق القهوة الداكنة.

هدير الخطوات القادمة من الدّرج يجعلني أستدير بسرعة في ذلك الاتجاه. يدخل رايان إلى المطبخ بسرعة، والهاتف ملتصق بأذنه. يقرع إصبعيه لجذب انتباهي ثم يشير إلى التلفاز. يغطي سماعة الهاتف بيده ويقول: «حوّلي إلى القناة الثالثة».

يبدو عليه الذُّعر وهو يقول: «سأعاود الاتصال بك». ثم يُنهي المكالمة. أغير القناة، لتظهر المذيعة المحلية على الشاشة. تقف على جانب الطريق، بينما يُسلط وهج الشمس المشرقة خلفها الضوء على الجسر الذي يعبرُ البحيرة.

- وقعت الحادثة بعد الحادية عشرة بقليل من مساء أمس. وتُفيد السلطات بأن السيارة كانت تسير بسرعةٍ عالية عندما انحرفت عن الطريق، محطمةً الحاجز عند قاعدة الجسر قبل أن تسقط في البحيرة. وعندما سُئِلت الشرطة عمّا إذا كان السائق تحت تأثير مواد مخدرة أو كحولية، أوضحوا أنهم لن يتمكنوا من تحديد ذلك حتى ظهور نتائج فحوصات السمّية.

تتحرك الكاميرا لتعرض المشهد، ويجتاحني شعورٌ بالغثيان. السيارة نفسها التي غادرت ممرّنا الليلة الماضية تُسحب الآن من الماء بواسطة شاحنة سحب ضخمة. ثم تظهر صورةٌ على الشاشة لجيمس وتلك المرأة من حفل الديربي.

تقول مُذيعَة الأخبار: «جاء جيمس برنارد ورفيقته لوكا مارينو في زيارة من باتون روج. أُعلِنَت وفاتهما في موقع الحادثة، وأُبلغت عائلة برنارد بعد ذلك بوقتٍ قصير».

يا إلهي.

ثم يعود البث إلى مذيعي الأخبار في الاستوديو.

- كريسي، لا بدّ أن هذا الخبر كان مروّعاً لعائلة السيد برنارد.

ثم تظهر كريسي في لقطةٍ منقسمة إلى شاشتين.

- نعم، يا إد. والد السيد برنارد يتعافى حالياً في المنزل بعد تعرّضه لإصابة إثر سقوطه، وعاد ابنه جيمس لمُساعدة والدته في رعايته. تطلب العائلة احترام خصوصيتهم في هذا الوقت العصيب. تواصلنا مع المحطة التابعة لنا في مسقط رأس لوكا مارينو في إيدن، كارولينا الشمالية، وسنشارك ما نعرفه عنها في نشرة الأخبار المسائيّة.

يحدق رايان إلى الشاشة الصغيرة مغطياً فمه بيده، ويخلو وجهه من التعبيرات، كأنه لا يزال يحاول استيعاب ما يحدث.

عندما ينتقل البث إلى الخبر التالي، أطفئ التلفاز. يجلس رايان على أقرب كرسي، ويدفن رأسه بين يديه. أقترّب منه، وأمرر أصابعي بلطفٍ بين خصلات شعره الطويل.

- لا أصدق ما يحدث. انتهت الأمور بيننا بشكل سيئ الليلة الماضية، والآن يحدث هذا. كان فاشلاً طوال حياته، يتورط في المشكلات، ويسرق مني... لكنني اعتقدت أنه ربما تغير. وعندما كنا نلعب بكرة القدم الليلة الماضية، طلب مني المال. كنت ثملاً وفقدت أعصابي. أخبرته أنني انتهيت منه ومن مشكلاته إلى الأبد.

أبقى صامتة، وأواصل تمشيط شعره بلطف، بينما أفكر في كيفية حدوث هذا وما قد يعنيه.

ثم ينظر إليّ ويقول: «علينا أن نذهب لرؤية والديه. هل كانت ثملة؟ هل كان يجب علينا منعها من القيادة؟».

أهز رأسي، ويستغرق الأمر لحظة قبل أن أتمكن من التحدث: «لا، لقد شربت كأسين طوال الليل وكانت في حالة جيدة للقيادة».

أرفض السماح له بلوم نفسه على أيّ ممّا حدث.

يبدو أن كلامي أراحه قليلاً، لكنه سرعان ما يعود إلى القلق. ينهض من الكرسي فجأة كأنه كان جالساً على نوابض.

- عليّ أن أذهب لرؤية والديه. والدته ستكون محطمة. ووالده أيضاً. اللعنة، سترغب الشرطة في التحدث إلينا. (يُغلق عينيه بإحكام) كنا آخر من رآهما على قيد الحياة. سيرغبون في طرح أسئلة علينا.

إنه يهذي، وعليّ أن أهدئه وأعيده إلى تركيزه. وأمل أن أقنعه بعدم الاتصال بالشرطة. آخر شيء أريده هو أن تعرف الشرطة أيّ شيء عني.

- لنأخذ الأمور خطوة تلو الأخرى. دعنا نرتدي ملابسنا ونذهب لزيارة والدي جيمس. لنرى إن كانوا بحاجة إلى أي مساعدة في الترتيبات. سنهتم ببقية الأمور لاحقاً.

يهز رأسه موافقاً بينما يدور في دائرة ضيقة في مُنتصف المطبخ.

- نعم، لنفعل ذلك. (ثم يتوقف فجأة) ماذا عن لوكا؟ هل يجب أن نتصل بوالديها؟ هل ما زلت على اتصال بصديقتك من المدرسة الثانوية التي توجد عائلتها هناك؟ ربما تعرفهم.

أتنفس بعمق. أحتفظ بالنفس للحظة، ثم أخرجه ببطء: «لنبدأ بوالدي جيمس. ربما اتصلًا بعائلتها بالفعل».

يهزُّ رأسه موافقًا، ثم ينطلق مسرعًا نحو السلاالم.

- سأكون جاهزًا خلال عشر دقائق.

أجلس على الكرسي الذي تركه رايان.

اهربي.

في ذهني، أنا أركض بأقصى سرعةٍ مُبتعدةً عن هذه المدينة دون أن ألتفت.

تنفسي.

أحتاج إلى أن أفكر مليًا في الأمر. عليَّ أن أتعامل مع الموقف بعقلية السيد سميث. هل يمكن أن يكون قد استثمرَ كل هذا الوقت والجهد لتدريبها على هذا العمل، واستخدم علاقاته لإدخالها هنا، فقط ليقضي عليها بعد وقتٍ قصير من وصولها؟

السيناريو الوحيد الذي يبدو منطقيًا هو أنها أكملت المهمة التي أرسلت لتنفيذها، ولم تعد هناك حاجة إلى بقائها. لكنني لا أرى كيف كان ذلك ممكنًا. بدأت هذه المهمة وأنا أعلم أنها اختبار -وهذا ليس أول اختبارٍ يضعني فيه خلال الثماني سنوات التي عملتُ فيها معه- لذلك توقعت أن هناك أمورًا أخرى تجري خلف الكواليس لم يتم إخباري بها في البداية. الشيء الوحيد المؤكد هو أن ظهور تلك المرأة هنا كان مرتبطًا بعدم رضا رئيسي عن أدائي في مهمتي الأخيرة، والآن هي ميتة.

في الوقت الحالي، سأرافق رايان إلى منزل والدي جيمس، حيث سنحاول تقديم بعض العزاء لهم من خلال إخبارهم عن مدى سعادة جيمس في ساعاته الأخيرة. سأحرص على معرفة كل ما يمكن معرفته عن تلك المرأة التي أرسلت إلى هنا لتنتحل شخصيتي. سأمسك بيد رايان في أثناء حُزنه على فقدان صديقه. فرغم الكلمات القاسية التي تبادلناها، أعلم أن رايان تمنى لو أن جيمس لم يلقَ حتفه في تلك الحادثة المأساوية الليلة الماضية. الموت لديه قدرةٌ على تبديد تلك المشاعر القاسية.

لكن الأهم من ذلك، أنني سأُكمل ما بدأته.

عند وصولنا، نجد سيارتي شرطة متوقفتين أمام منزل والدي جيمس. كنت أعلم أن هذا احتمالٌ وارد، رغم أنني تمنيت أن يكونوا قد أتوا وغادروا بالفعل.

يوقف رايان السيارة في الشارع على بُعد منزلين، وهو أقرب مكان تمكّن من العثور عليه.

يعيش آل برنارد في حيٍّ قديم على الجانب الآخر من البحيرة من منزل رايان، حيث بُنيت المنازل في منتصف الثمانينيات، إذ شُيدت المنازل كلها من طوبٍ بُنيٍّ بدرجات مختلفة، بأسقف منخفضة ومداخل ضيقة للسيارات. هناك تدفق مستمر من الناس يتجه نحو الباب الأمامي، ونحن نسير على خطاهم.

أهمس لرايان بينما نشقُ طريقنا عبر الحشد إلى جانب المنزل: «لماذا يأتي كل هؤلاء الناس هنا الآن؟ يبدو كأنهم الحشد الذي يحضر عادةً إلى دار الجنازات». أعلم أن رايان وجيمس نشأ معاً وأنه قضى الكثير من الوقت هنا عندما كان طفلاً، لذا لا أستغرب بتجاوزه للباب الأمامي.

ينظر إليّ من فوق كتفيه ويجيبني: «هؤلاء على الأرجح جيرانهم وأعضاء في كنيستهم. سيكون العدد أكبر بكثير في دار الجنازات. الكثير من هؤلاء النساء يحتفظن بطاجن في الثلاجة تحسباً لمثل هذه المناسبات. (ثم يُضيف بنبرة تهكميّة وهو يدير عينيه): وبالتأكيد، هم هنا أيضًا من أجل النميّة».

ندلف عبر الباب الجانبي ونتجه عبر الردهة الضيقة في الخلف نحو غرفة المعيشة الرئيسية. المكان مكتظٌ بالناس، والأسقف المنخفضة تزيد من الشعور بالاختناق. مجموعة من السيدات العجائز، يرتدين مآزر متطابقة ويضعن شارات تحمل أسماءهن بشكلٍ رسمي -ربما فرقة الكتاب المقدس من كنيسة آل برنارد، إذا كان تخميني صحيحًا- يتحركن بسرعة، يعرضن الماء أو القهوة على الزوار ويتأكّدن من بقاء الغرفة مُرتبة.

يتمتم رايان: «ليسوا هنا»، ثم يسحبني معه مرة أخرى إلى الردهة عبر بابٍ مفتوحٍ آخر يؤدي إلى مكتبٍ صغير.

تجلس روز برنارد بجسدها النحيل الهزيل على كرسيٍّ كبيرٍ في زاوية، بينما يجلس واين برنارد على كرسيٍّ ذي ظهرٍ مُجنحٍ إلى جوارها، وساقه المصابة مرفوعة على مسند صغير. يجلس ضابط يرتدي زيًّا رسميًا على مقعد أمامهما، بينما يقف ضابطان آخران خلفه.

يتحول انتباه رجال الشرطة إلينا فور ظهورنا عند مدخل الباب.

نتراجع، أنا ورايان، خطوة إلى الوراء.

- نعتذر، لم نقصد أن نقطع الحديث...

تُطلق السيدة برنارد صرخة مفعمة بالألم عندما ترى رايان: «لا تذهب. كيف حدث هذا، يا رايان؟ هل كان بخير في منزلكم الليلة الماضية؟ هل حدث شيءٌ ما؟».

يتقدم رايان إلى الغرفة ويجثو بجانبها، ممسكًا يديها بحنان: «لم يحدث شيء. كان بخير! كلاهما كانا بخير. لم أكن لأسمح لهما بالرحيل لو لم أكن متأكدًا أنهما في حالةٍ جيدة».

يتبادل الضباط نظراتٍ مع بعضهم بعضًا عندما يدركون أن المُتوفَّيين كانا في منزلنا قبل الحادثة. انتقلنا من زوَّارٍ عشوائيين إلى شهودٍ مُحتملين على حالتهم العقلية قبل وقوع الحادثة.

تميل السيدة برنارد قليلًا إلى الأمام بحيث يتمكَّن رايان من احتضانها. يبتلع السيد برنارد ريقه بصعوبة بينما يمدُّ يده ليمسك بيد زوجته دعمًا لها. كان يجب ألا آتي. كان عليَّ أن أترك رايان يتولَّى هذا الأمر بمفرده، وأن أُؤكد له أن هذه مسألة خاصة، وليست مكانًا لغريبةً مثلي. لكنني كنت يائسة للحصول على أي معلومة عن تلك المرأة لدرجة أنني تجاهلت الأخطار التي قد أواجهها هنا.

الآن أدرك حجم خطئي. ركَّز الضابط الذي كان جالسًا على المقعد انتباهه علينا. ولأن رايان يبدو كأنه الشيء الوحيد الذي يمنع السيدة برنارد من الانهيار تمامًا، يتجه الضابط نحوي أولًا.

- يقول وهو يقلب صفحات دفتره: «مرحبًا. أنا النائب بوليك. أحاول جمع أكبر قدرٍ من المعلومات. هل تمانعين لو طرحت عليكِ بعض الأسئلة؟».
- أشعر بأنني مُحاصرة. لا أستطيع القول إنني لا أعرف شيئًا، لأنه اتضح أنهما كانا معنا الليلة الماضية. ورغم أنني وددتُ الإجابة عن هذه الأسئلة وفقًا لشروطي، يبدو أن الوقت قد حان الآن للقيام بذلك.
- أقول وأنا أومئُ نحو رايان: «بالطبع. جئنا على الفور عندما سمعنا بما حدث. جيمس ولوكا كانا في منزلنا الليلة الماضية».
- يمسك قلمه مستعدًا للكتابة على الورقة الفارغة، ويسأل: «وما اسمكِ؟».
- أتردد لثانية واحدة فقط قبل أن أجيب: «إيفي بورتير». لقد كذبتُ رسميًا على الشرطة الآن.
- هل إيفي هو اسمكِ الكامل أم أنه اختصارٌ لاسمٍ آخر؟
- إيفيلين.
- حسنًا، يا آنسة بورتير، كيف تعرّفتِ على السيد برنارد والآنسة مارينو؟
- يفصل رايان نفسه عن السيدة برنارد، ويَعدها بأنه سيعود قريبًا، ثم يتقدّم ليقف إلى جوارِي. يلفُّ ذراعه اليمنى حول خصري، ولا أستطيع تحديد ما إذا كان يحاول إظهار جبهةٍ مُوحّدة أو إذا كان بحاجةٍ إلى أي دعمٍ يمكنني تقديمه له.
- مرحبًا، أنا رايان سَمَنر. جيمس كان صديقًا قديمًا لي. دعوته أنا وإيفي، هو ولوكا على العشاء الليلة الماضية.
- يستمرُّ النائب بوليك في الكتابة دون أن يرفع رأسه وهو يطرح السؤال التالي: «هل شربتِ الآنسة مارينو الكحول الليلة الماضية؟».
- ينظر رايان إليَّ قبل أن يجيب، وهذا الصمت يجعله يتوقف عن الكتابة وينقل نظره من الدفتر إلينا.
- أجيب: «شربتُ كأسًا من النبيذ عند وصولهما قرابة الساعة السادسة، ثم كأسًا أخرى مع العشاء. أما جيمس، فقد شرب كمية أكبر بكثير، ولهذا السبب هي مَنْ قادت السيارة».

ينتظر النائب بوليك للحظة، ثم يعود إلى تدوين ملاحظاته: «هل تعتقدان أنها كانت في كامل وعيها عندما غادرت منزلكما؟».

يُجيب رايان: «نعم».

يسأل النائب بوليك: «هل من الممكن أنها شربت أكثر ممّا شاهدتما؟ ربما تسَلَّت وأخذت كأسًا أو اثنتين دون علمكما؟».

- أعتقد أن ذلك مُمكن، لكنه أمرٌ غير مُرجَّح. كانت معنا طوال المساء باستثناء الوقت الذي ذهبْت فيه إلى الحَمَّام.

القيادة تحت تأثير الكحول هي السبب الأكثر وضوحًا لحادثةٍ مثل هذه. سيُجيب تقرير التشريح في النهاية عن سؤال احتسائها للكحول، لكنني أعلم أنها لم تشرب أكثر من كأسين.

يسأل النائب بوليك: «هل اعترض السيد برنارد على عدم قُدرته على القيادة إلى المنزل؟».

عند هذا السؤال، تضع السيدة برنارد يدها على صدرها بقلق. يدرك رايان مدى انزعاجها، فيشير لنا للانتقال إلى الردهة لمتابعة الحديث.

يقول رايان أخيرًا عندما نخرج من الغرفة: «لا، على الإطلاق. ركب في المقعد الأمامي برضًا تام».

يهزُّ النائب بوليك رأسه، ويكتب أكثر ممّا نقول، لكن الزاوية التي يحمل بها الدفتر لا تسمح لي برؤية ملاحظاته.

يسأل: «كيف كانت العلاقة بين السيد برنارد والآنسة مارينو الليلة الماضية؟ هل وقع أيُّ جدال أو شجار؟».

أُجيب بسرعة: «لا، على الإطلاق».

- هل حدث أي شيء يمكن أن يكون قد شتت انتباه الآنسة مارينو أو أغضبها؟ (ينظر الضابط إلى رايان، ويُضيف بتلميحٍ من الاستهجان): أي حديثٍ عن صديقات قديمات؟ أعلم كيف يمكن للذكريات مع الأصدقاء القدامى أن تعود إلى الواجهة. هل اضطرَّرت إلى الاستماع إلى قصص السيد برنارد عن أيام مجده، وربما لم يعجبها ما سمعته؟

يرد رايان بكلماتٍ تحمل نبرة غضب: «لا، لم يكن هناك شيء من هذا القبيل. لم يُرد أيُّ منّا إشعار لوكا أو إيفي بعدم الارتياح».

يرفع الضابط يده مهدئاً: «حسناً، أفهم. لكن عليّ أن أسأل. أحاول فقط فهم ما كان يدور في رأسها في أثناء القيادة الليلية الماضية».

أعرف تماماً ما كان يدور في رأسها. لم أكتفِ بفضح أمرها، بل أُلحْتُ بشكلٍ غير مباشر إلى أن السيد سميث قد ينقلب عليها بالسرعة نفسها التي انقلب بها عليّ. ورايان أخبر جيمس لتوه أنه انتهى منه ومن مشكلاته بعدما طلب منه المال. لم يكن كلاهما في حالةٍ جيدة.

يسأل الضابط: «في أي وقتٍ غادرا منزلكما؟».

أجيب: «قبل الحادية عشرة بقليل».

نجيب على كل سؤال، ونسرد تفاصيل المساء بدءاً من دعوة العشاء التي تمّت في صباح يوم أمس في متجر هوم ديبوت، وصولاً إلى رؤيتنا لأضواء سيارتهم الخلفية تختفي في شارعنا الهادئ. يرفع النائب بوليك نظره فقط عندما يتعثر رايان في إجابة، لكن غالبية تردّده تعود إلى أنه كان يشرب مع جيمس بشكلٍ متساوٍ تقريباً، وأنا متأكّدة أن تفاصيل المساء ضبابية بعض الشيء بالنسبة له.

- متى كانت آخر مرة تواصلت فيها مع السيد برنارد قبل عودته إلى المدينة؟

يحدّق رايان إلى الفراغ، كأنه غارق في أفكاره. أخيراً يجيب: «ربما قبل عام. احتاج إلى المال، فأرسلته إليه». يحافظ على إجابته مُقتضبة للغاية، ولا يذكر طلب جيمس الأخير للمساعدة المالية.

ينظر الضابط إليّ ويسأل: «ومتى كانت آخر مرة تعاملت فيها مع السيد برنارد قبل عودته إلى المدينة؟».

أهزُّ رأسي قائلة: «التقيتُ به لأول مرة منذ أسبوع فقط».

يُضيف رايان قبل أن أتمكن من إيقافه: «انتقلت إيفي إلى هنا من بروكود، ألاباما، قبل بضعة أشهر. لم تكن تعرف جيمس».

يا إلهي. أراقب الضابط وهو يسجل تلك المعلومة الإضافية التي قدّمها رايان، وأتمنى أن تكون الخلفية التي وُضعت لشخصية إيفيلين بورتر قويّة بما يكفي.

أخيرًا، يضع الضابط دفتر ملاحظاته وقلمه في جيبه ويقول: «سنتواصل معكما إذا كانت لدينا أي أسئلة إضافية».

أومئ برأسي، لكن رايان يستوقف الضابط قبل أن يغادر سائلًا، وذراعه ما زالت ملفوفة حول خصري، يسحبني أقرب إليه: «هل أُبلغت عائلة لوكا؟ أعتقد أنهم قد يرغبون في التحدّث معنا نظرًا إلى أننا كنّا آخر مَنْ رآها».

يرد الضابط: «اتصلنا بالشرطة المحلية في إيدن، ونحن ننتظر ردّهم. إنهم يحاولون تعقّب أي أقارب لها الآن».

ليس هناك أيّ أقارب للوكا مارينو في إيدن، كارولينا الشمالية، لكنه سيكتشف ذلك قريبًا.

يُضيف رايان: «حسنًا، إذا كانت لديهم أي أسئلة أو أرادوا التحدّث، هل يمكنك تزويدهم برقم هاتفي؟».

يهزّ النائب بوليك رأسه قائلاً: «بالطبع».

نساعد آل برنارد على العودة إلى غرفة المعيشة الرئيسية بعد مُغادرة الشرطة. وعلى الرغم من وجود صفٍّ طويلٍ من الأشخاص الراغبين في تقديم تعازيهم، فإن السيدة برنارد تتمسك برايان مرة أخرى. يجلس بجانبها على الأريكة بينما تتحدّث إلى كل شخصٍ يتقدم إليها. يبدو أننا سنبقى هنا لبعض الوقت. أختار المساعدة في المطبخ، حيث تتجمع مُعظم سيدات الكنيسة. لا أحد يتحدّث في الخفاء أكثر من النساء اللواتي يحملن الطواجن ويخشين الرب، لذا أَسْتَقَرُّ بالقرب من ماكينة القهوة، وأعرض تعبئة أي كوب يمرُّ عليّ، وأتمنى أن أسمع شيئًا مثيرًا للاهتمام حتى أجد فرصةً للتسلّل إلى الغرفة التي أقام فيها جيمس وتلك المرأة.

تقف ثلاث نساء معي في المطبخ. تبدو فرانسى أنها الطاهية في المجموعة، وقد تولّت مسؤولية تنظيم تشكيلة الطعام المتنوعة التي أُحضرت، وقسمتها إلى حصصٍ تُحفظ في الثلاجة ليتمكن آل برنارد من تناولها لاحقًا.

أما النصف الآخر فيُوضع على طاولة الطعام في شكل بوفيه ليستمتع به الزوّار. توني هي ما أسمتها أمي «مُرغية الصابون»؛ تجيد التظاهر بالانشغال دون أن تنجز شيئاً فعلياً. أما جين فهي سيدة القوائم؛ لديها قائمة بالأشخاص الذين يجب الاتصال بهم، وقائمة بالأشياء التي يجب شراؤها، وقائمة بالأطباق التي تم إحضارها، وقائمة بالأشخاص الذين قدّموا العزاء، وقائمة بمن سيكتبون رسائل شكر لأي شخص أحضر طبقاً أو قدّم تعازيه.

الموت يتطلب الكثير من التنظيم.

تختفي فرانسي لبضع دقائق في غرفة الغسيل الصغيرة المتصلة بالمطبخ، ثم تعود وهي تحمل سلة كبيرة من الملابس المطوية.

تقول: «سأذهب لأضع هذه إلى غرفة جيمس».

من الواضح أن وزن السلة أكبر ممّا تستطيع تحمّله، لذا أقتنص هذه الفرصة.

أقول وأنا أضع يدي بالفعل على السلة: «من فضلك، دعيني أساعدك. يمكنني تولّي الأمر إذا أرشدتني إلى الاتجاه الصحيح».

تبدو فرانسي مرتاحة وهي تقول: «عزيزتي، هذا لطف منك. هذه أغراض جيمس ولوكا. لم أرغب في أن تضطرّ روز إلى التعامل معها في الوقت الحالي. غرفته الباب الثاني على اليمين». تشير بيدها نحو ردهة جوار المطبخ.

أسرع بالخروج من المطبخ وأسير عبر الردهة. من المدهش رؤية الغرفة كما تركوها الليلة الماضية، معتقدين أنهم سيعودون إليها. بعد أن أضع سلة الملابس على السرير غير المرتّب، أبدأ في تفحص الأوراق الموجودة على المكتب الصغير، لكن لا أجد أي شيء ذي أهمية.

أجد حقيبتين مفتوحتين بجانب السرير على الأرض، تتدلى ملابس منهما. أدوات التجميل والعناية الشخصية متناثرة على سطح الحمام. أبدأ بتفتيش حقيبة المرأة أولاً، ولكن لا أجد سوى الملابس والأحذية. أدهشني أنهم لم يُفرغوا حقائبهم أو يستغلوا دولاّب الملابس أو خزانة الأدراج الفارغتين، رغم الفترة الطويلة التي قضياها هنا. أُمّر أصابعي حول الحافّة الداخلية لحقيبتها، وأتوقف عندما ألمس منطقة خشنة وبارزة. أبحث قليلاً داخل

البطانة لأجد شريط فيلكرو لاصق، وعندما أفتحه أرى اللون البني المألوف لمظروف مانिला بحجم 4x6.

نوع مظروف مانिला نفسه الذي تصلني فيه التعليمات. أخرجه وأفتحه، ينبض قلبي بقوة عندما أرى الورقة الوحيدة المتبقية داخله.

الهدف: إيبي بورتر.

نظرًا إلى إتمام الاتصال الأولي، استعدي للتواصل مع الهدف مرة أخرى. إذا سنحت لك الفرصة لدخول منزلها، استغليها لتفتيش أغراضها. ركزي على مساحاتها الشخصية ومقتنياتها. أبلغني عن أي شيء يبدو أنها تعتبره مهمًا بما يكفي لإخفائه، بغض النظر عن ماهيته. في حالة الشك، وثّقيه وأرسله إليّ. تصرفي بحذر شديد عند التعامل مع أغراضها، وتأكدي من عدم ترك أي أثر وراءك.

أفحص المظروف من الخارج وألاحظ عنوان متجر الشحن ورقم صندوق البريد 2870. يبدو أنه يائس لدرجة أنه أرسلها لتفتيش أغراضي. فهو يعلم تمامًا أنني لن أحتفظ بأي شيء ذي قيمة في منزل رايان. أعيد ورقة التعليمات إلى داخل المظروف، وأطويه بعناية، ثم أضعه في جيب بنطالي الخلفي.

تدخل فرانسي من الباب المفتوح وتقول، لتفزعني: «هل كل شيء على ما يرام هنا؟».

ألقي نظرة عليها من فوق كتفيّ بينما ألتقط كومة من الملابس التي أخرجتها من الحقيبة.

- فكرت أن أوفر على السيدة برنارد عناء إعادة ترتيب ملابس لوكا، فهي ستحتاج بلا شك إلى إرسال أغراضها إلى عائلتها. لم أرد أن تضطر إلى فعل ذلك بنفسها.

تمنحني هذه الكلمات ابتسامة كبيرة منها.

- أوه، رائع. سأساعدك في الانتهاء من هذا الأمر. أنا أختبئ من جين، فهي ستجعلني أغسل الصحون.

أقضي أنا وفرانسي الثلاثين دقيقة التالية في إعادة جميع مُتعلقاتها إلى الحقيبتين. أواصل البحث عن التعليمات السابقة والوصف التفصيلي لي كهدف الذي من المُفترض أن تكون قد تلقَّتهم، لكنني لا أجد أي شيء آخر. أتوجه إلى الغرفة الرئيسية للبحث عن راين. أحتاج إلى مغادرة هذا المكان والذهاب للحديث مع الشخص الوحيد الذي يمكنه مساعدتي في اتخاذ القرار بشأن الخطوة التالية.

الاسم المستعار: ميا بيانكي-قبل ست سنوات

هناك الكثير ممن يسعون ليكونوا الأكثر تميزًا في تقديم المساعدة لأندرو مارشال. التملُّق والمداهنة هما الصفتان البارزتان لدى كل موظف ومُتطوع. لكنني أختار أن أسلك طريقًا معاكسًا. رغم أنه محفوفٌ بالأخطار، فإنني لا أبالي بمدى تضخُّم غرور أي شخص، فالصراحة المباشرة تحمل قيمةً أكبر من التملُّق الأعمى. وإذا كان أندرو ذكيًا بما يكفي ليصل إلى ما وصل إليه، فهو يدرك ذلك جيدًا.

انضمتُ حاليًا إلى الحملة الانتخابية لأندرو مارشال وهو يسعى إلى الترشُّح لمنصب حاكم ولاية تينيسي. عندما تلقيتُ أول مجموعة من التعليمات لهذه المهمة، التي تضمَّنَتْ هُويتي الجديدة باسم «ميا بيانكي» وعنوان شقتي الجديدة في نوكسفيل، تينيسي، وجدتُ ملاحظة مكتوبة بخط اليد في أسفل الصفحة تقول: «انتقلتِ إلى مستوى أعلى، فلا تُفسدي الأمر».

على الرغم من أنني أعمل لصالح السيد سميث منذ أكثر من عامين، فإنني لم أقابله شخصيًا أو أتحدث معه عبر الهاتف منذ مهمة كينجستون، لذا أعتقد أن تلك الملاحظة الإضافية كانت من مات. كل شيء يمرُّ عبر مات.

وصلتني التعليمات الثانية بعد أسبوعٍ من استقراري في نوكسفيل، متضمنةً تحديد أندرو مارشال هدفي القادم، وإخطاري بأن ميا بيانكي ستبدأ العمل في حملته الأسبوع المقبل. طُلب مني أن يكون شعري، مكياجِي، وملابسي مثالية. وأن أكون الشخص الأبرز في الغرفة، وأن أجعل من نفسي شخصًا لا غنى عنه. أُعطيْتُ سبعة أيام للبحث بعمق في حياة أندرو مارشال

وكل من يرتبط به، بما في ذلك خصومه، لأكون جاهزةً ليومي الأول في العمل. الترقية كانت هدفي منذ البداية، لذا لم يكن هناك مجال لعدم الاستعداد الكامل. قطعتُ شوطاً طويلاً منذ تلك المهمة الأولى. كنتُ متهورة، كما قال السيد سميث تماماً. كانت الأمور فوضوية، لكن وقف الحظ بجانبني. دخلت جيني في غيبوبة مستحثةً طبيًا لمدة أسبوع. شكَّلت الضربة على رأسها، إلى جانب الكحول والحبوب، مزيجًا خطرًا. وعندما أفاقت، فقدتُ ذاكرتها عن الأربع والعشرين ساعة التي سبقت سقوطها. وهكذا أصبحتُ في مأمن. أو بالأحرى، أصبحت «إزي ويليامز» في مأمن.

راقبتُ مايلز بضع مرات على مدار العامين الماضيين. تطلَّع جيني وجريج، ويبدو أن مايلز يعيش مع السيد كينجستون والسيدة كينجستون الجديدة. آخر مرة راقبتُ فيها صفحة زوجته الجديدة على فيسبوك، شاركت منشور من شركة تصميمٍ داخلي استأجرتها لإزالة كل آثار جيني. عرض المنشور صورًا داخلية للمنزل المُجدد، بما في ذلك صورة لغرفة مايلز. وعندما كُبرَّت الصورة لأركز على رفِّ الكتب، لاحظتُ وجود بجةٍ ورقيةٍ على أحد الرفوف. لن أعرف أبدًا إذا كانت هي البجة نفسها التي صنعتها معه في ذلك اليوم أو إذا تعلَّم كيف يصنعها بنفسه، لكن رؤية تلك البجة معروضة كأنها تحمل بعض الأهمية يُعد دليلًا على أنني كنت هناك، حتى لو لفترةٍ قصيرة جدًا. ربما لست الشبح الذي اعتقدتُ أنني عليه.

مهمة أندرو مارشال هي المرة الأولى التي أضطر فيها إلى الاستقرار، لأنني أُخبرت في البداية أن الأمر سيستغرق بضعة أشهر قبل أن أتلقَّى أي تعليمات أخرى. إنها أيضًا أول مهمة تأتي مع حزمةٍ سميكة من المال لتغطية النفقات مثل الإيجار والمُرافق وبعض الأمور الأخرى الضرورية للتحوُّل إلى ميا بيانكي. تلك الدرجة الجديدة على سُلَّم النجاح تبدو واعدة.

استغرق الأمر مني ثلاثة أشهر، لكن الآن أصبح أندرو مارشال يعتمد عليَّ في قراراته، سواء كان ذلك لاختيار ربطة العنق التي يرتديها أو لتحديد ما إذا كان يجب عليه حضور حدثٍ مُعين. إيماءةً بسيطة أو هزةً سريعة من رأسي تكفي لإفساد خطط الآخرين المدروسة بعناية.

أندرو مارشال هو الوحيد الذي يوافق على هذا الوضع.

لا أحتاج إلى عينيْن في مؤخرة رأسي لأرى الهدف المرسوم هناك. بحث فريقه في خلفيّتي، محاولاً العثور على أي شيء يمكن أن يطيح بي من منصبي، لكنهم لم يجدوا شيئاً.

أنا ميا بيانكي. على الرغم من أنني في الثانية والعشرين من عمري، فإن أوراق التوظيف الجديدة تُظهر أنني في السابعة والعشرين. الملابس المناسبة والمكياج هما المفتاح. أنا خريجة جامعة كليمنسون -إلى الأمام يا فريق النمر!- وتفوقتُ في دروسي في السياسة العامة وحققْتُ نجاحاً كبيراً في فريق المناظرة. لا أفهم كيف تمكَّن أحدهم من إدراج صورتي إلى صورةٍ لمناظرة ضد جامعة كارولينا الشمالية قبل بضع سنوات. لكنها كانت هناك، بجودةٍ منخفضة بما يكفي لتكون مرئية لمن يبحث عني، ولكنها ليست واضحة بما يكفي لإثارة الشكوك من الطلاب الذين كانوا حاضرين بالفعل.

بعد عامين من العمل مع مات، أدركْتُ أنه ليست لديه القدرة على دمجي بشكل كامل في هذه الحياة المُصطنعة. هذا يجعلني أكثر فضولاً لمعرفة الفريق الذي يقف وراء السيد سميث. أتساءل كم عدد الأشخاص الذين يعملون في مهام مشابهة لهذه.

لكنها تساؤلات مؤجلة ليومٍ آخر.

الموضوع المطروح للنقاش اليوم أمام أندرو مارشال هو فعالية تختص بجمعية المُحاميين الأمريكيّة، التي ستُعقد في أحد الفنادق الفاخرة في هيلتون هيد، كارولينا الجنوبية. إنه مؤتمرٌ يستمر طوال عطلة نهاية الأسبوع، حيث يحصل المحامون، بما فيهم مَنْ هم مثل أندرو الذي لم يعد يمارس المحاماة ولكنه لا يزال يحتفظ برخصته مُحدّثة، على ساعات تعليمٍ مُستمر تتخللها جولةٌ صباحية للعب الجولف وساعة مَرَح لاحتساء الكحول بعد الظهر. الهدف من المؤتمر هو الاختلاط والتواصل أكثر من كونه لتقديم دوراتٍ تدريبية سريعة لمدة ثلاثين دقيقة، مثل أحدث التقنيات للشركات الصغيرة. وبما أن مجموعة التعليمات الثالثة وصلت أخيراً وأوضحت أن حضور أندرو لهذا المؤتمر أمرٌ ضروري، فهذا هو ما أعمل على تحقيقه.

لكن هناك فرصة أخرى أفضل لحملته الانتخابية، وهي في ممفيس في الوقت نفسه. وبالنظر إلى أنه يترشح لمنصب حاكم تينيسي وليس كارولينا الجنوبية، فإن الأمر يمثل تحدياً كبيراً.

تشعر زوجة أندرو، ماري، بالريبة تجاهي. لم أعطها أي سبب يجعلها تعتقد أنني أريد زوجها بأي شكلٍ من الأشكال، لكن النساء أحياناً يكنّ مضحكات في توقعاتهن. لا أحتاج إلى إعطائها سبباً لتظل تشك في الأمر.

ما فاجأني في أندرو مارشال أنه رجل جيد حقاً. بحثت في كل ملف وسجل شخصي تمكنت من الوصول إليه. وبما أنه لا يشك في أي شيء بخصوصي، فقد أتيح لي الوصول إلى كل شيء. لا يوجد أي أثر للسرقة أو التلاعب بالأموال، ولا صفقات خلف الأبواب المغلقة، ولا وعود يخشى الاعتراف بها علناً. إنه يحب زوجته الآن كما أحبها يوم التقى بها، وهو جيد مع موظفيه. حتى حيواناته الأليفة كلها من الكلاب التي تم إنقاذها.

تمحورت مهامى السابقة كلها على حصولي على شيء يريده أو يحتاج إليه السيد سميث؛ سواء كانت ملفات حاسوب أو وثائق أو أي ممتلكات مادية أخرى. لكن هذه المهمة كانت مختلفة منذ البداية.

الآن أعرف سبب وجودي هنا. أندرو مارشال سيكون الحاكم القادم لتينيسي، والسيد سميث يريد السيطرة عليه من اليوم الأول.

وبما أنه لا يوجد شيء يمكن ابتزازه به، سيتعين عليّ أن أبتكر وسيلة للابتزاز.

انتهى رئيس موظفيه للتو من عرض كل الأسباب المقنعة لاختيار ممفيس على هيلتون هيد. بينما قدمت بدوري أسباباً مقنعة لاختيار المؤتمر. حدث هيلتون هيد ليس مجرد فعالية إقليمية لولاية كارولينا الجنوبية فقط، بل ستحضره بعض الشخصيات البارزة، خاصةً وأن المتحدث الرئيسي أعلن للتو ترشحه للرئاسة، ممّا يعني أن التغطية الإعلامية ستكون على المستوى الوطني. فرص التواصل وإمكانية الحصول على متبرعين جدد للحملة ستكون أكبر. ومع التغيرات التي أحدثتها وسائل التواصل الاجتماعي في المشهد السياسي، للوصول إلى منصب حاكم تينيسي، عليك التفكير فيما هو أبعد من تينيسي.

يَعْمُ الهدوء على الغرفة بينما ينتظر الجميع أن يُقرر أندرو ما إذا كان سيقبل أو يرفض الدعوة لحضور حدث ممفيس.

يعرف أندرو اختياري بالفعل. ينظر إليّ، ولديّ بضع ثوانٍ فقط لأقرر ما إذا كنت سأساعد في تدمير رجلٍ جيد تمامًا.

هزة سريعة من رأسي تحدد مصيره.

اعتقد أندرو أنني غادرتُ إلى هيلتون هيد قبل يومٍ من وصوله هو وبقيّة الفريق لأتمكّن من تجهيز كل شيءٍ حتى نستفيد إلى أقصى حدٍّ من وقته هناك. لكن هذا لم يكن السبب الحقيقي وراء توجّهي شرقًا في وقتٍ مبكر، ووجهتي لم تكن كارولينا الجنوبية، بل جورجيا. صباح الجمعة، أجد نفسي في سافانا، على بُعد ساعة جنوب هيلتون هيد، أنتظر أول رحلة على متن الحافلة السياحية في البلدة القديمة.

عندما يحين وقت الصعود، أتوجه مباشرةً إلى الخلف، وأجلس على مقعد بجانب الممر في الصف الأخير على جانب السائق، آملة ألا يطلب أحد الجلوس بجانبني في المقعد المجاور للنافذة.

تتسم شركة الجولات السياحية بالكفاءة الكافية لتحميل الركاب والانطلاق في غضون دقائق. يتولى الميكروفون رجلٌ مسنٌ متحمس، صوته الجهوري مرتفعٌ لدرجة أن كل من في الحافلة، وحتى المارة في الشوارع التي نمر بها، يتلقون درسًا وافيًا عن كل ما يخص سافانا.

مع نهاية الجولة الأولى، أكون الراكبة الوحيدة المتبقية من المجموعة التي بدأت معها، حيث نزل الآخرون عند محطات مُختلفة على طول الطريق.

في المحطة الثانية من اللفة الثالثة للحافلة، يصعد على متنها رجلٌ أسود طويل ونحيف، يسير ببطءٍ في الممر الأوسط حتى يتوقف أمامي.

يرتدي تي شيرت وقبعة لفريق أتلانتا بريفز، وعيناه مُختبئتان خلف نظارات شمسية داكنة. يسأل مشيرًا إلى المقعد بجانب النافذة الذي كنت أحرسه: «هل هذا المقعد محجوز؟».

أضم ساقَيّ وأشير له بالجلوس.

ينزلق إلى الداخل بجانبى، يجلس ويضع حقيبته في حضنه.

أقول: «أنت ديفون، على ما أظن. أقدر كل هذه السرية والتكتم، لكن لديّ الكثير لأفعله، وإضاعة ساعتين في التجوّل حول المدينة لم يكن ضمن خططي».

يشير برأسه نحو مكبر الصوت المثبت في سقف الحافلة، وألاحظ لأول مرة الضوء الأحمر الصغير المخفي خلف الشبكة. يقول: «يمكنك أن تعرف الكثير عن الشخص من خلال تصرّفاته عندما يُترك منتظرًا لفترة طويلة».

أعيد تركيزي عليه وأقول: «أعتقد أنني اجتزّت الاختبار».

تظهر ابتسامة ساخرة على وجهه للحظة قبل أن تختفي.

- بامتيان، يا سيدة سميث.

ربما كان استخدام الاسم المُستعار نفسه الذي يستخدمه رئيسي تصرفًا غريبًا، لكنني لم أستطع مقاومته. وجدتُ ديفون على الإنترنت قبل عام عندما كنت أبحث عن تقنية لم أتمكن من الحصول عليها بنفسى لإحدى المهام. هذه هي المرة الأولى التي نلتقي فيها شخصيًا، ولهذا السبب جعلني أواجه بعض التحديات قبل أن يُريني وجهه.

أقدر مستوى الحذر، رغم كل شيء.

- ما الذي تحتاجين إليه، يا سيدة سميث؟

هنا يصبح الأمر أكثر تعقيدًا.

- لست متأكدة تمامًا بعد. لديّ مهمة في هيلتون هيد، لكنني لن أحصل على التعليمات الكاملة حتى أصل إلى هناك، وبالتالي لن أعرف ما سأحتاج إليه. وعندما أعرف، سأحتاج إلى التنفيذ بسرعة، لذا أطلب منك أن تكون متاحًا لتوفير المُعدّات والدعم عند الحاجة.

ينظر من النافذة ولا يتحدث. إنه طلب كبير، ولهذا السبب أردت أن أطلبه شخصيًا بدلًا من استخدام قنوات الاتصال المُعتادة عبر الإنترنت.

منذ تلك الليلة التي تعرضتُ فيها للاعتقال في النادي الريفى، أدركتُ أهمية وجود أشخاص جاهزين لحمايتي إذا ساءت الأمور. المساعدة التي

يرسلها السيد سميث ستعتني بي ما دام ذلك لا يضرُ بمصالحه. لكنني بحاجة إلى شخصٍ يهتمُّ بي وحدي. حان الوقت لبناء فريقٍ الخاص.

أخيرًا، يلتفت ديفون نحوي مرة أخرى: «ماذا لو احتجتِ إلى شيءٍ لا أستطيع توفيره في وقتٍ قصير؟».

أجيبه: «حينها أمل أن تعمل معي على حل المشكلة وتقديم بديل».

ينظر مرة أخرى إلى النافذة بينما تتوقف الحافلة لتحميل وتنزيل الركاب.

يقول دون أن ينظر إليَّ: «يبدو كأنكِ تتوقعين مشكلة».

أومئ برأسي رغم أنه لا ينظر نحوي: «نعم، صحيح. يمكنك أن تسميه حدسًا. مَنْ يخطط للمهمة لا يفهم الأطراف المعنية كما أفهمهم أنا. أحاول أن أستبق اللحظة التي أتلقَ فيها التعليمات وأدرك أن الخطة محكوم عليها بالفشل».

يقول بتردد: «هذا ليس الأسلوب الذي أعمل به عادةً».

- أفهم ذلك. سأجعل الأمر يستحق وقتك. وأيضًا، إذا احتجتِ إلى مساعدتي في أي وقت، سأكون موجودة.

يفهم ما أطلبه؛ شراكة. جمعتنا علاقة عملٍ متينة خلال العام الماضي؛ هو يعرف أنني أدفع جيدًا وأنا أعرف أنه يفي بوعوده.

يقول: «نحن في مرحلةٍ تجريبية، يا سيدة سميث. عند أول إشارة لمشكلة، سأختفي».

أومئ برأسي وأنا أعطيه ورقة صغيرة من حقيبتي تحتوي على جميع المعلومات الضرورية لعطلة نهاية الأسبوع.

- لن أتوقع أقل من ذلك.

عند توقف الحافلة، أطرح سؤالًا أخيرًا قبل أن أنزل.

- كيف اجتزت الاختبار بامتياز؟

- جلستِ هنا كأن لديك كل الوقت في العالم، رغم أنني أعلم أن هذا ليس صحيحًا. وهذا يخبرني بكل ما أحتاج إلى معرفته.

وصل أندرو مارشال وبقيّة الفريق إلى هيلتون هيد. بعد أن تأكّدت من استقرار أندرو في جناحه، أتوجه إلى غرفتي الأصغر بكثير، الواقعة أسفل جناحه بأربعة طوابق. بالكاد أخلع حذائي وأفتح حقيبتتي حتى أسمع طرْقًا سريعًا على الباب.

عندما أفتح الباب، يبتسم لي رجلٌ يرتدي زيّ الفندق. أنظر إلى الطبق المُغطى بالقبة الموضوع على العربة أمامه.

أقول: «الغرفة الخطأ. لم أطلب خدمة الغرف»، وأهمُّ بإغلاق الباب.

يدفع الرجل العربة قليلًا نحو الباب، ليمنعني من إغلاقه. يقول بصوتٍ منخفض وعميق: «يرسل مات إليك هذا مع تحياته».

أتجمد في مكاني فورًا. لم أقابل من قبل أي شخصٍ آخر يعمل مع مات. أفحصه بنظرة سريعة، يبدو هذا الرجل في منتصف الثلاثينيات من عمره. شعره قصير، تتخلله خصلات رمادية حول الصدغين، وهو أطول مني ببضع بوصات. تشير بطاقة الاسم على زيّه إلى أن اسمه جورج. ملامحه وجسده عاديان بما يكفي لجعله شخصًا يمكن نسيانه بسهولة، لكن الطريقة التي لم تفارق بها عيناه وجهي تضمن أنني لن أنساه.

أفتح الباب أكثر وأشير له بالدخول. يضع العربة في وسط الغرفة ثم يغادر دون أن يقول كلمة أخرى. عندما أرفع الغطاء المعدني، أجد قطعةً من كعكة الجزر ومظروفًا يشبه ما أعتاد أن أجده في صندوق البريد.

أشعر بعدم الارتياح لمعرفتهم بأن كعكة الجزر هي المفضلة لديّ.

أخذت الكعكة والمظروف إلى الطاولة الصغيرة لأبدأ في تناولها بينما أطلع على ما ينتظرني خلال عطلة نهاية الأسبوع.

لكن بعد قراءة التعليمات، أصبحت متأكدة من أن فرص نجاح هذه الخطة ضئيلة. الخطة ضعيفة جدًا. ضعيفة للغاية.

تفاخر مات بأنه سيكون المسؤول عن هذه المهمة، ممّا جعلني أعتقد أن السيد سميث يريد اختبار قدراته. يبدو أنني لم أكن الوحيدة التي تتقدم في المستوى. ولكن بعد تعاملتي مع مات خلال العامين الماضيين، لم أكن واثقة من أنه جاهز لهذه المسؤولية الكبيرة، لذلك تواصلت مع ديفون.

في المرة التالية التي يُطرق فيها الباب، أعلم ما الذي سيحدث. يدخل حامل حقائب، وليس جورج الذي يرتدي الزي الرسمي، ويدفع عربة أمتعة إلى الغرفة ثم يُفرغ ثلاث صناديق كبيرة. أعطيه بقشيشًا وينصرف. أبدأ بإعداد الشاشات وتوصيل الحاسوب المحمول، ثم أُسجل الدخول إلى الموقع المكتوب على الورقة التي تلقيتها سابقًا. تمتلئ الشاشة بمربعات صغيرة تعرض كل زاوية من غرفة أندرو وشرفته.

بشكلٍ ما، نجح مات في الحصول على دعوة لزوجة أندرو، ماري، لحضور حدث مهم جدًا في ناشفيل، لضمان عدم وجودها عندما تقترب امرأة من أندرو خلال حفل الاستقبال الليلة لمحاولة إغرائه بالذهاب إلى غرفته. وسأكون هنا لتأكد من أن كل شيء يُسجّل بالكاميرا.

أشعر تقريبًا بالإهانة من مدى غباء هذه الخطة.

لأن ما لا يفهمه مات هو أن أندرو، حتى لو أُتيحت له الفرصة، لن يخون زوجته. لا يهم عدد النساء الجميلات اللواتي يحاولن إغراءه، ولا يهم كونه وحيدًا في غرفته، ولا حتى عدد المشروبات التي تُقدم له. أندرو ليس من نوع الرجال الخائنين.

لم يقم مات بواجبه في التحضير لهذه المهمة، وهذا واضح.

لكن لا يمكنني الخروج من هذه العطلة خالية الوفاض. من الواضح أنني أشارك الآن في لعبة أكبر بكثير وأكثر مخاطرة. لقد تجاوزت مرحلة السرقات الصغيرة.

الشعور بالارتياح لأنني استعنتُ بديفون هو الشيء الوحيد الذي يمنعني من الدُعر. أتصل به، وفي غضون نصف ساعة، تصبح لدينا خطة جديدة. خطة أفضل.

بينما يُسرع ديفون لتأمين ما نحتاج إليه، ألتقط هاتفني لأتصل بأندرو. يُجيب في الرنة الثانية.

يقول: «مرحبًا! هل استقررتِ؟».

غرفة أندرو هي واحدة من أكبر الأجنحة التي يقدمها هذا الفندق. تضم منطقة جلوس ضخمة وغرفة طعام بالإضافة إلى غرفة النوم. وهناك كاميرا

تغطي كل زاوية، ممّا يتيح لي مراقبته وهو يجوب الغرفة، واضعاً الهاتف على أذنه.

- نعم، كل شيءٍ مستقر. كيف حالك أنت؟

يجلس على أحد الكراسي الكبيرة بالقرب من النافذة.

- نعم، كل شيءٍ على ما يرام هنا. أتطلع إلى بعض الوقت للاسترخاء بما

أنني لا أحتاج فعلياً إلى حضور المؤتمر حتى صباح الغد. أعتقد أنني

سأخطئ حفلة الاستقبال الليلة وأكتفي بلقاء الجميع على الإفطار.

هناك متسع من الوقت للتواصل خلال المؤتمر والعشاء غداً. سأطلب

خدمة الغرف، ثم أمل أن أحظى بنوم جيد الليلة.

وهذا هو أندرو مارشال، نقّي للغاية وربما مملٌ بعض الشيء.

أضحك قائلة: «أنت تعرف أنني من المفترض أن أملاً كل دقيقة من وقتك

هنا بأنشطة تساعد حملتك الانتخابية. خاصةً بعد أن أغضبنا الجميع بقدومنا

إلى هنا بدلاً من ممفيس».

أراه يخفض رأسه قليلاً.

- ميا، أحتاج إلى ليلةٍ واحدة للراحة.

يتصاعد شعورٌ بالذنب بداخلي حتى أتذكر مهمة كينجستون. هذا ليس

عالمي، أنا مجرد شبح يمرُّ في حياته. يكفي أن أتمكن من دفن هذه المشاعر

في أعماقي والمضي قدماً.

- ماذا لو اقترحتُ عليك شيئاً؛ راجعت قائمة الحضور وهناك بعض

الشخصيات البارزة هنا. ماذا لو اخترت مجموعة صغيرة منهم لحضور

حفلة كوكتيل خاصة في جناحك لمدة ساعة؟ ستكون المناسبة هادئة

جداً. تحدث معهم لمدة ساعة ثم سأخلي الغرفة لتستمتع ببقية الليلة

بمفردك.

الآن، أسند رأسه إلى ظهر الكرسي وبدأ يفرك وجهه بيده.

- ساعة واحدة فقط.

- مفهوم! سأطلب من خدمة الغرف تجهيز بار وتوفير بعض الطعام.

أنهي المكالمات وأشرع في تنفيذ بقية خطتي.

سارع كل رجل وجهت له دعوة لحفل الكوكتيل الخاص بأنندرو بقبولها. كنت حريصة جدًا في اختيار القائمة، حيث اخترت رجالًا من مُختلف أنحاء الجنوب، نظرًا إلى أن هذا المؤتمر إقليمي وليس مقتصرًا على ولاية كارولينا الجنوبية. وبما أن جميع مهمامي خلال العامين الماضيين كانت في الجنوب، فأنا على دراية تامة بالمناخ السياسي في كل ولاية، بما في ذلك النقاط الإيجابية والسلبية لكل شخصية بارزة هنا.

مثل أندرو، هناك عددٌ من المحامين الحاضرين الذين يشغلون أيضًا مناصب مُنتخبة تتراوح بين مكاتب الحكومة المحلية ومجلس الشيوخ. لكنني دعوت فقط أولئك الذين يتمتعون بسمعة سيئة ويرغبون في التسلية. الأشخاص أنفسهم الذين سيقتبسون من الكتاب المقدس ويتحدثون عن حبهم الكبير للعائلة والإيمان بالرب في تجمعهم الانتخابي القادم.

قد أستفيد من هذه الفرصة لتحقيق مكاسب سياسية له بينما أعمل على تنفيذ خطتي.

يتجول أندرو في الغرفة مثبتًا عينيه على ساعته، يعد الدقائق حتى ينتهي هذا اللقاء. تتدفق المشروبات بوفرة بفضل الفتيات اللاتي أحضرتهنَّ لتقديمها. أُعطي أندرو زجاجة بيرة، فيومئ لي شاكرًا. نادرًا ما يشرب، ولكن عندما يفعل، يختار دائمًا «ميلر لايت». زجاجة واحدة فقط.

يرشف من زجاجته ثم يقول بهدوء: «لست متأكدًا أنني كنت سأدعو السيناتور نيلسون أو النائب بورك».

لا أندesh من تعليقه. كلاهما أنانيان، لكن هذا ينطبق على جميع الرجال الذين دعوتهم الليلة.

- أعلم، لكن هذا جزءٌ من اللعبة السياسية. سواء أحببته أم لا، هؤلاء هم الأشخاص الذين يتمتعون بأكبر نفوذ.

أشير إلى إحدى الفتيات، فتعلو الموسيقى قليلًا. تبدأ ربطات العُنق في الارتخاء، والأيدي في الانزلاق.

يشعر أندرو بالتغير الذي حدث في الحفلة، وينظر إليَّ بحيرة. يبدو عليه التعرُّق قليلًا، وعينهات تلمعان بشكلٍ غريب.

يميل نحوي ويهمس: «ربما يجب إنهاء السهرة. لا أشعر أنني بخير». أمنحه نظرةً مُتعاطفة وأقول: «أنت لا تبدو بحالةٍ جيدة. دعنا نستنشق بعض الهواء النقي». أقوده إلى الشرفة وأساعده على الاستلقاء على كرسي الاسترخاء. وحالما يُلامس رأسه مسند الرأس، يغيب عن الوعي. تسقط زجاجة البيرة من يده ويتسرب السائل المخلوط عبر البلاط.

أهمس: «آسفة يا أندرو»، ثم أعود إلى الحفلة. حان الوقت لتبدأ الفتيات في تنفيذ خططهنّ.

الفصل الخامس عشر

اليوم الحالي

حالما انتهيتُ من حزم أغراض المرأة، تمكناً أخيراً من مغادرة منزل آل برنارد بعد أن وعدنا بالعودة غداً للمساعدة في التخطيط لحفل تأبين جيمس. وهذه زيارةٌ سأكون سعيدة بترك رايان يقوم بها بمفرده، حيث جمعت كل ما يمكنني عن لوكا من هناك.

يقود رايان السيارة بينما أتصفح تطبيق إنستجرام، وأتوقف عند آخر منشور من مجلة «ساوثيرن ليفينج» الذي يعرض شرفةً أمامية جميلة مزينة بأرجوحة خشبية بيضاء ونباتات سرخسية مُعلقة. إنها صورة رائعة. أضغط على زر التعليق وأكتب: يا له من مكانٍ مثالي لقضاء وقتٍ مُمتع مع كأسٍ من النبيذ! لا بدَّ أنها الساعة الخامسة في مكانٍ ما!

أستمرُّ في التصفح بمجرد تحميل تعليقي حتى أكون قد استعرضتُ كل المنشورات، ثم أضع هاتفي في حقيبتي.

بمجرد دخولنا إلى منزل رايان، يُلقي بنفسه على الأريكة في غرفة الجلوس، مستلقياً على وجهه. عندما أجلس بجانبه، يرفع رايان رأسه قليلاً بما يكفي لأقترب منه، ليضع رأسه على حجري. يُغلق عينيه بينما أُمّر أصابعي بلُطف عبر شعره. لا يشعر أي منّا بالحاجة إلى الكلام.

في أثناء تحديقي إليه، أفكر في هذا التطور الأخير، الآن بعدما تلاشت صدمة وفاتهما.

هناك خياران فقط يجب أخذهما بعين الاعتبار.

الأول: أنها مجرد حادثة مروعة أودت بحياة شخصين.

الثاني: أن قتلَهُما خطوة متعمدة من قبل رئيسي.

يخبرني حدسي أن الخيار الثاني هو الصحيح، بينما يحاول عقلي أن يفكر في الأسباب التي قد تدفعه لاتخاذ هذه الخطوة. لم يبدو أن مهمتها قد انتهت. تدرّيبها على هذه الهوية -هويتي- كان مكثفًا، ويبدو من المُبكر التخلّص منها الآن.

ولماذا قتلها بدلًا من سحبها من المهمة؟ لا أستطيع تجاوز توقيت الحادثة.

ما الذي يحققه قتلها؟ ماتت لوكا مارينو من إيدن، كارولينا الشمالية. لم أخف أبدًا أنني أحمي هويتي الحقيقية بشدة. في السنة الأولى، بدأ مات كل محادثة بالحديث عن أمورٍ تافهة عندما أتصل لمناقشة مهمتي التالية، وكنت ساذجة بما يكفي لأعتقد أننا أصدقاء. كانت خططي لاستعادة هويتي والعيش كـ «لوكا مارينو» هي الموضوع الثابت الوحيد. حتى إنني أخبرته عن المنزل الذي سأبنيه والحديقة التي سأزرعها.

لكن موتها لا يمنعني من استعادة هوية لوكا مارينو. إنه يجعل الأمر صعبًا، لكنه ليس مستحيلًا. قتلها كان خطوةً متطرفة، لم أتوقعها أنا أو ديفون. أخبرني السيد سميث أنها أرسلت كتذكير لي، لكنني لم أكن بحاجة إلى تذكير بمدى خطورة هذه اللعبة.

هذا يعيدني إلى الاحتمال -والأمل- بأن ما حدث كان مجرد حادثة.

ثم هناك رايان.

ماذا يعني ذلك بالنسبة لهذه المهمة إذا لم تكن حادثة؟

يخفُّ قبضته عليّ ويطلق شخيرًا ناعمًا. كان يومًا مرهقًا بالنسبة له.

بهدهوء، أفلت ذراعِي رايان من خصري وأتسلل من تحته، واضعةً وسادة مكان ججري. بين صداع الكحول الذي كان يعانيه هذا الصباح والضغوطات التي مرَّ بها اليوم، لم يتحرك حتى.

ألقي نظرة سريعة إلى ساعة الفرن لتخبرني أن الوقت قد حان للمغادرة. أمل أن يكون ديفون بانتظاري حتى نتمكن من مراجعة كل ما حدث في الساعات الأربع والعشرين الماضية.

خلال ست سنوات من العمل معًا، قطعنا أنا وديفون شوطًا طويلًا. هو يعرف تمامًا من أنا ومن أين أتيت، وقد أُدرِجْتُ في القائمة القصيرة جدًا للأشخاص الذين وثق بهم وأخبرهم بتفاصيل حياته وماضيه. في الواقع، أعتقد أن هناك ثلاثة منّا فقط في تلك القائمة.

أُخرج هاتفي وأفتح إنستجرام. ليس لديّ أي منشورات، وقليلٌ من المتابعين الذين هم في الغالب حسابات وهمية، لكنني أتابع حساب ديفون الزائف بالإضافة إلى سبعة وأربعين حسابًا آخر، 90% منهم شركات أو شخصيات مشهورة تنشر يوميًا. من بين الحسابات السبعة والأربعين التي يتابعها حسابي الزائف، يتابع ديفون أيضًا اثنين وثلاثين منها. ورغم أنني تركت تعليقي على أحدث منشور لمجلة «ساوثيرن ليفينج» لأخبره بأنني بحاجة إلى لقائه الليلة في الساعة الخامسة، فإنه سيرد عليّ بتعليقٍ على حسابٍ مختلف تمامًا حتى لا يتمكن أحد من ربط تعليقاتنا بأنها وسيلة للتواصل بيننا.

هوسه بالخطر لا يعرف حدودًا.

لا أستطيع أن ألومه على ذلك، لأنه من المستحيل معرفة عدد المرات التي أنقذتنا فيها بروتوكولاته في الماضي دون أن ندرك ذلك.

في أثناء تصفُّحي لقائمة المنشورات الحديثة، أتوقف عند حساب فريق «نيو أورلينز ساينتس» ورأيت تعليقًا من المُستخدم «حياة_التزلُّج831043». هذا التعليق من ديفون هو الوحيد المرئي في قائمة المنشورات الحديثة لأننا نتابع بعضنا البعض ونشترك في متابعة هذا الحساب أيضًا، لذا أُعفيت من الاضطرار إلى التمرير عبر مئات التعليقات للعثور على تعليقه.

تعليقه يقول: «مَن ذاك! هذا هو لاعبي الثالث المفضل!! #في_الوقت_المحدد».

أول شيءٍ يفعله ديفون عندما أحصل على تفاصيل مهمة جديدة هو تحديد خمسة أماكن يشعر فيها بالراحة لعقد لقاءاتنا. المكان الثالث في القائمة التي أعطاني إياها عندما وصلنا إلى «ليك فوربينج» هو المقهى الموجود على الشارع الرئيسي. دائماً ما تؤكد هاشتاجاته أن الوقت مناسبٌ للقاء أو تقترح بديلاً. لديّ ثلاثون دقيقة للوصول إلى هناك لأنه سيصل #في_الوقت_المحدد. أنتزع ورقةً من المفكرة قرب الثلاجة وأترك لرايان ملاحظة أنني خرجت لأحضر لنا بعض الطعام، ثم أخرج من المنزل.

أصل قبل الموعد بخمس دقائق، لكن أرى أن ديفون قد سبقني إلى هناك. استغرق الأمر عامين حتى يشارك ديفون معي أول تفصيلٍ شخصيٍّ عن حياته. كنّا نراجع مخططات لمبنى مكاتب كنت بحاجة إلى الدخول إليه بعد ساعات العمل، وعندما تعرّف على اسمٍ من قائمة الأشخاص الذين لديهم مكاتب في الطابق الذي كنت أحاول الوصول إليه. قال: «إنه متخصص في التكنولوجيا. ألقى محاضرةً في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا عندما كنت هناك». لم أرغب في التطفل، لكنني أردت معرفة أكبر قدرٍ ممكن عنه، لذا حاولت المزاح على أمل الحصول على مزيدٍ من التفاصيل. قلت مازحة: «هل كنت تحلّ معادلاته المعقدة على السبورة في الممرات؟» أوحى لي نظرته بأنني ربما اخترتُ النهج الخاطئ، لكنه ضحك بعد ذلك، ضحكة حقيقية. وكانت تلك اللحظة هي التي كسرت الجليد بيننا. على الرغم من أن التفاصيل بدأت تصلني ببطء، فإنني الآن أمتلك صورة كاملة عن هويته الحقيقية.

يجلس ديفون عند الطاولة الممتدة على طول الجدار الخلفي بأكمله. هذه المقاعد غالباً ما يستخدمها الأفراد أو الأزواج لأن الجلوس فيها لا يشجع على الحديث مع أي شخص سوى الشخص الجالس إلى جوارك مباشرة. كان يعمل على حلّ أحد كتب ألغاز كاكورو المعقدة التي يحبها، ويرتدي سماعات رأس كبيرة تغطي أذنيه؛ رأسه وكتفاه يتحركون على إيقاع مُعين رغم أنني أعلم أنه لا توجد موسيقى تُبَث عبر السماعات.

معدل ذكائه خارق، وإذا كان مستيقظاً، يجب أن يُشغل عقله بشيء ما، مثل الكتاب الذي أمامه. التحق بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا عندما كان في السابعة عشرة من عمره، لكنه أخبرني أنه علم أنه لن يستمر هناك طويلاً؛ ليس لأنه لم يكن قادراً على تحمُّل الأعباء الدراسية، بل لأنه شعر بالملل الشديد. على حدِّ تعبيره. ما حسم الأمر هو عندما كُفِّ بمهمة لبناء نظام شبكي لشركة إعلانات على الإنترنت كان يُفترض أنها مُحاكاة، ليكتشف أنها كانت شركة حقيقية وأن أستاذه استغلَّ الطلاب للقيام بكل العمل لصالح مشاريعه الجانبية.

نظراً إلى طبيعة نظام السوق الحر، توجَّه مباشرةً إلى العمل وأبرم صفقةً لبيع النظام له مباشرةً بسعر مخفض قليلاً، ثم أخبر بقية الطلاب في الصف الذين اتبعوا الخطوة نفسها.

وهكذا، بدأ عمله الخاص. لم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً ليكتشف أن العمل الأكثر ربحية ليس دائماً قانونياً. أعظم نجاحاته كانت في استرداد معلومات لم يُدرك الناس حتى أنهم بحاجة إليها، ثم تقديمها لهم بسعرٍ مغرٍ. يُحب التنقل في تلك الأماكن المظلمة، ويزدهر في التحايل على الأنظمة المصممة لإبقائه بعيداً عنها. وإذا أثبتت ولاءك له، فسيكون هو أيضاً وفياً لك إلى الأبد. أطلب كابتشينو ثم أتوجَّه نحوه، وأختار مقعداً يترك بيننا مسافةً فارغة. يقول دون أن ينظر إليَّ: «تمكنتُ من الوصول إلى مكتب الطب الشرعي، وسأحصل على نسخة من سجلات أسنانها بمجرد تحميلها. لا أعتقد أن هناك تطابقاً سيظهر، لكن لا يمكن أن نكون متأكدين».

أومئى له برأسي قليلاً دون أن ألتفت نحوه أيضاً. لن يظهر شيء. السيد سميث ليس من النوع الذي يرتكب مثل هذا الخطأ. أشعر بالضيق من احتمال ألا نعرف أبداً هويتها الحقيقية.

- وهل نحن متأكدون أنها هي؟ وأنها ماتت فعلاً في ذلك الحادث؟ هذا شيءٌ من المؤكد أنه قد تحقق منه بالفعل، لكني لا أستطيع إلا أن أسأل.

يومئى برأسه، وهذا كل ما أحتاج إليه لأعرف أن الجثة الموجودة في المشرحة هي جثتها.

أقول له: «وجدتُ آخر مجموعة من التعليمات التي أعطاه إياها».

يقلب ديفون صفحة في كتابه ويسأل: «ما فحواها؟».

أخرج الورقة من جيب الخلفي وأضعها داخل مجلة قديمة، ثم ألقها في المسافة الفارغة بيننا. لن يأخذها حتى أغادر.

- يمكنك أن تراها بنفسك، لكن في الأساس، طلب منها التواصل معي وتفتيش غرفتي إذا أمكنها ذلك. التعليمات كانت غامضة نوعاً ما. وقد فعلت بالضبط ما طلبه منها. تركتُ لها شيئاً لتجده.

يقول بصوتٍ خافت: «لا يعجبني هذا، على الإطلاق».

- هل تعتقد أنها لم تكن حادثة؟

يهزُّ رأسه قليلاً بما يكفي ليؤكد لي أنه لا يعتقد ذلك.

- لكن لماذا؟ هل تعتقد أنها أنهت مهمتها دون أن نعلم؟

- أو ربما ارتكبت خطأً وتخلَّص منها.

- ما دور جيمس في هذا الأمر برأيك؟

يجيب ديفون دون تردد: «مجرد بيدق. عانى مشكلاتٍ كبيرة مع المخدرات والقمار. كان في حاجة ماسة إلى المال. من السهل جدًّا التلاعب به. لن أفاجا إذا كان سميث وراء كسر ساق والده ليُحضِره إلى هنا».

يا إلهي. لم أفكر في هذا الاحتمال من قبل.

- هل نعتقد أن رايان متورط في الأمر أكثر من مجرد كونه هدفاً غافلاً؟

أجربنا محادثة قبل إرسالي هنا، وكنا نعلم هوية الهدف. كما ناقشنا احتمال أن تكون هذه المهمة مجرد خدعة. حالما اكتشفنا أنني مُكلفة بمراقبة رايان، بدأ ديفون في البحث العميق حوله. ملاحظات السيد سميث التي يرسلها بشأن أي مهمة لا تُقَارَن بما يقدمه لي ديفون. علمنا عن أعمال رايان وكيف أصبح ناجحاً. كان من المنطقي أن يرغب شخص ما في الاستحواذ عليها. استخدم السيد سميث خدمات النقل الخاصة برايان قبل بضع سنوات لنقل أشياء في بعض المهام التي كنتُ جزءاً منها، لذا من السهل أن نرى كيف أصبح رايان ضمن دائرة اهتمامه.

يتلمل ديفون كأنه يحاول أن يحدد شعوره تجاه هذا الموضوع.

- أولاً، نعلم أن كل شيء ممكن، أليس كذلك؟

- صحيح.

- مع العلم أن كل شيء ممكن، أعتقد أنه من غير المحتمل أن يكون رايان متورطاً بشكل أكبر. بغض النظر عن الأمور المريبة التي قد تكون له علاقة بها، فإنه متجذر بشدة في هذا المجتمع، وهذا يتعارض تماماً مع ما يبحث عنه السيد سميث في الأشخاص الذين يجندهم للعمل معه.

كنت شخصاً بلا أهمية، بلا عائلة أو روابط. لن يُثار أي اهتمام إذا اختفيت، ولن يكون هناك من يسعى لتحقيق العدالة لي إذا سارت الأمور بشكل سيئ. لكن هذا ليس الحال بالنسبة لرايان. يعيش في منزل حيث جيرانه شاهدوه يكبر منذ طفولته.

يقول ديفون: «نحن نتعامل مع الحقائق، ولا نملك أي حقائق تشير إلى هذا الاتجاه».

جلسنا في صمتٍ لمدة دقيقة أو نحو ذلك، كل منا يفكر في هذا التطور الأخير. أقول أخيراً: «واجهتها في المطبخ. أخبرتها أنني أعرف من تعمل لصالحه. أخبرتها أنها قد تجد نفسها بسهولة في موقعي».

يتوقف قلمه عن الحركة لأول مرة منذ جلست.

- إِم، يا إِل؟

«إِل» هو أقرب ما يصل إليه ديفون في مناداتي باسم «لوكا»، نظراً إلى ندرته، وأي شخص قد يستمع سيفترض أن اسمي هو «إيلي». ولكن حتى مع هذا الاحتياط، نادراً ما يخاطبني ديفون مباشرةً، لذا أشعر بالثقل وراء كلماته.

- كنت بحاجة إلى معرفة ما إذا اعتقدت أنني مجرد هدف عشوائي أم إذا كانت تعلم أنني أعمل لصالحه أيضاً. على أي حال، لم تكن تعلم. كانت الدهشة على وجهها حقيقيّة. وليس الأمر كما لو أنني اكتشفت سرّاً كبيراً، فقد اعترف بالفعل بأنه أرسلها.

عاد ديفون إلى الكتابة بقلمه، وهزَّ رأسه مع الإيقاع الذي يتخيله. قال: «أكبر إنجاز لسميث هو إبقاء الجميع في جهل تامٍّ بكل شيء وكل شخص آخر في منظمته. لا أحد يعرف هويته، ولا أحد يُدرك مكانته في التسلسل الهرمي». السيد سميث هو اللغز الذي ظلَّ ديفون يحاول حله لسنوات.

بصوتٍ خافت، كأنني أعترف بخطيئة، أضيف: «والشرطة تعرف اسم إيفي بورتر من بروكود، ألاباما».

هذا الاعتراف جعله يلتفت نحوي ويسأل: «ما التفاصيل؟».

أخبره بتفاصيل زيارتنا لمنزل عائلة برنارد والمُحادثة التي جرت مع الشرطة بينما يواصل العمل بجد على الصفحة أمامه. عندما أنتهي، يقول: «لا يعجبني هذا الوضع. لا يعجبني أنني لا أستطيع رؤية إلى أين يتجه هذا الأمر. أعتقد أنه يجب علينا الانسحاب».

هذا الكلام يجعلني أتوقف للحظة. واجهنا الكثير من المواقف التي بدا فيها تحقيق نتائج إيجابية أمراً مشكوكاً فيه، لكنه لم يذكر الانسحاب من قبل. أقول: «وماذا بعد؟ كنّا نعلم منذ البداية أنه غاضب لأنني لم أستعد له معلومات الابتزاز الخاصة بكونولي. كما كنّا نعلم أنه يحاول معرفة ما إذا كنتُ قد نجحت في استعادتها بالفعل واحتفظت بكل المعلومات لنفسي. إذا أراد السيد سميث التخلُّص مني، فلن يمنعه الانسحاب، بل سيقيد بشدة خياراتي المستقبلية، خاصة الآن بعدما مُحيْتُ لوكا مارينو من الوجود».

يقول: «ما زال الأمر لا يروق لي. ستكونين هدفًا سهلاً بينما تنتظرين التعليمات التالية. وماذا لو لم تصل أبداً؟».

أجيب: «الخيار الوحيد أمامي هو الاستمرار في المضي قدماً. (جلسنا في صمتٍ لدقيقة أو ما يقرب من ذلك، غارقين في أفكارنا. ثم سألت): كيف حال هيزر؟».

ينحني برأسه وأعتقد أنه سيتجاهلني، لكنه يقول في النهاية: «بخير. هي بخير».

أقول: «سنستمرُّ في طريقنا، يا ديفون. هذا هو الحل الوحيد».

يتردد للحظة، ثم يقول: «حصلتُ على تفاصيل الشحنة الكبيرة القادمة عبر شركة جلينفيو للشحن هذا الخميس. التفاصيل موجودة في مجلة «بيبول» أمامك».

- جيد. أعتقد أن سميث سيشعر بالارتباك عندما يرى أنني ما زلتُ أعمل على هذه المهمة، حتى بعد وفاة تلك المرأة.

في مرحلة ما بين تسليم المعلومات حول عمل رايان إلى السيد سميث في المرة الأولى والثانية، بدأت أندم على الدور الذي أُلعبه. ربما بسبب أحلام اليقظة بأن منزل رايان قد يكون لي حقًا، أو الرغبة بأن تكون هذه الهوية حقيقية. في لحظة ضعف، عدّلت بعض البيانات الأساسية في التقارير المالية وأسماء العملاء قبل تسليمها. لم تكن التغييرات كبيرة لدرجة أن يلاحظها السيد سميث، لكنها كانت كافية لمنح رايان فرصة للدفاع عن عمله. أخطط لإجراء تعديلاتٍ مماثلة على هذه المجموعة الأخيرة من المعلومات قبل تسليمها.

لا يعلم ديفون بفعلي هذه، وأشعر بالسوء لإخفاء الأمر عنه. سيعتقد أنني أخذت مخاطرة غير ضرورية. أقول: «سأضعها في صندوق البريد وأنا في طريقي إلى المنزل».

يلتفت ديفون قليلًا نحوي ويقول: «هذا ليس منزلك، يا إل». أشعر بوخزة في داخلي عند سماع كلماته، ثم أُمسك بالمجلة أمامي وأضعها في حقيبتي. ألتقط كوب القهوة وأقف قائلة: «سأتواصل معك». قبل أن أبدأ في السير، يهمس قائلاً: «رجاءً، كوني حذرة».

الفصل السادس عشر

اليوم الحالي

بعد عودتي من لقاء ديفون، قضينا أنا ورايان المساء في تناول الطعام الجاهز بنهم، ومشاهدة نتفليكس، ومحاولة نسيان مدى فظاعة اليوم. استمرت المكالمات والرسائل النصية التي تلقاها رايان من أصدقائه طوال اليوم بشكل مزعج لدرجة أنه انتهى به الأمر إلى إطفاء هاتفه، وهو أمر نادرًا ما يفعله. لم نحصل على قسط كافٍ من النوم، لذا بدا صباح هذا الإثنين على وجه الخصوص ثقيلًا، كأن الاستيقاظ والحركة باتا تحديًا أصعب من المعتاد. رغم أن رايان أخذ إجازة لبضعة أيام، فإن لديه يومًا مليئًا بالمهام، حيث عرض المساعدة في تنظيم جنازة جيمس. وعلى الرغم من أنني استطعت أخذ اليوم عطلة أيضًا، فإنني لا أرغب في أن أكون متاحة لزيارة آل برنارد مرة أخرى، ولا أرغب في أن أضطر إلى إيجاد طريقة للاختفاء في وقت الغداء للقاء ديفون مجددًا.

أقف في المطبخ أملأ كوبين حراريين بالقهوة لنا عندما يبدأ رايان بالنزول على الدراج.

يقول: «سأتوجه أولاً إلى منزل آل برنارد مع بعض الأصدقاء. تريد السيدة برنارد منّا مساعدتها في الاتصال بعمله لإخبارهم بما حدث. بعد ذلك سنتوجه إلى دار الجنازات.»

أرد: «نعم، لا أحسدك على ما عليك فعله اليوم. (أعطيه قهوته وأبدأ في تجهيز حقيبتني لليوم. ثم أقول): آه، نسيت هاتفني على الشاحن في الطابق العلوي».

بحلول الوقت الذي أنزل فيه، يكون رايان واقفاً إلى جوار الباب، معلقاً حقيبته على كتفه، وفنجان القهوة في يده، والمفاتيح في اليد الأخرى. يقول: «لا أعتقد أنني سأتأخر كثيراً الليلة».

ألتقط أشياءي من على الكرسي وأرد: «وأنا أيضاً. اتصل بي عندما تكون في طريقك إلى المنزل وسأحاول المغادرة مبكراً». ثم أتبع خطاه إلى المرأب. وقبل أن أصل إلى باب سيارتي، يجذبني رايان بلطف ويقبلني برقة. يقول بصوتٍ منخفض: «أخشى هذا اليوم. هل أبدو سيئاً لعدم رغبتني في الذهاب إلى هناك؟».

أمرر يدي على جانب وجهه، ثم ألفتُ ذراعِي حول رقبته وأحتضنه بقوة. يدفن وجهه في جانب رقبتي.

أهمس في أذنه: «أنا آسفة جداً». أشعر بهاتفني يهتز في حقيبتي، لكنني لا أترك رايان حتى يكون هو مستعداً.

لست متأكدة كم من الوقت نقف هناك نحتضن بعضنا بعضاً، لكنه أخيراً يبتعد، ويمنحني قبلةً أخيرة قبل أن يتركني ويتجه نحو سيارته.

أدخل إلى سيارتي بينما يصعد رايان إلى سيارته. ومع فتح باب المرأب، يومئ لي لأخرج أولاً. أبدأ بالتراجع ببطء من المرأب لأنه ضيقٌ للغاية، وأراقب المرأة الجانبية للتأكد من أنني لن أخدش باب سيارته.

حالما أكون بالخارج، ألتقط هاتفني لألقي نظرة سريعة عليه لأنني نادراً ما أتلقي إشعارات من أي نوع. إنها رسالة نصية من رقم غير معروف، ويبدأ قلبي في التسارع. من المؤكد أن رايان يتساءل لماذا توقفتُ في منتصف الطريق أسفل الممر.

أفتح الرسالة النصية.

رقم غير معروف: 911.

اللعة. هذه إشارة تحذير من ديفون بأنه يجب عليّ الخروج من هنا فوراً. أرفع نظري لأجد رايان خرج من سيارته، وقد جذبت انتباهه حركة في الشارع خلفي.

أنظر في المرأة الخلفية، خائفة ممّا قد أراه هناك.

تتوقف ثلاث سيارات شرطة خلفي، ممّا يجعل الهروب مستحيلًا علينا. لا يستغرق الأمر سوى بضع ثوانٍ لأدرك أنه لا يمكنني تجاوزهم. كما يخطر ببالي أنه لو لم أبقَ مع رايان في المرأب، لرأيت رسالة ديفون فور وصولها. تلك الدقائق القليلة ربما كلفتني فرصة هروبٍ نظيفة.

يخرج رايان من سيارته ويتجه نحو باب سيارتي، محاولاً فتحه، لكن الباب مغلق لأن السيارة ما زالت في وضع الرجوع. أراجع سريعاً في ذهني ما قد يكون في هذه السيارة ويمكن أن يوقعني في مشكلة، لكنني أعلم أنه لا يوجد شيء.

يطرق على النافذة: «إيفي، افتحي الباب». عيناه تتبعان اقتراب الضباط. ببطءٍ وحركاتٍ مدروسة، أضع السيارة في وضع الانتظار وأطفئ المحرك. وحالما يسمع رايان قفل الباب ينفتح، يفتح الباب ويسحبني إلى الخارج. يخلو وجهه تمامًا من أي تعبير. رغم أنني لم أره عندما كان يتحدث مع ذلك الموظف المارق، فإنني أتصور أن هذا هو التعبير نفسه الذي ارتسم على وجهه حينها.

هل يعتقد أنهم هنا بسببه، لأنهم اكتشفوا أنشطته في شرق تكساس؟ أقدر شعوره عندما يخطو بيني وبين الضباط، لكن الرسالة النصيّة من ديفون تخبرني أنهم هنا من أجلي، وأنه لن يستطيع إنقاذي ممّا سيحدث.

يهمس: «لا تقلقي، سأتعامل مع الأمر».

إنه يعتقد بالفعل أنهم هنا من أجله.

الضابط نفسه، النائب بوليك، الذي كان في منزل عائلة برنارد، يتقدّم نحو الممر، وعيناه ربما تلمعان خلف النظارات العاكسة.

يقول وهو يضع يديه على حزام السلاح المنخفض حول خصره: «آنسة بورتر، سأحتاج منك القدوم معي إلى المركز للإجابة على بعض الأسئلة».

يضع رايان يديه على وركيه، محاولاً حجبى تماماً عن الشرطة.

يسأل رايان: «ما الأمر؟».

ينظر النائب بوليك حول رايان باتجاهي ويقول: «هناك أمرٌ بالقبض عليكِ بصفتكِ شاهدة رئيسية صادرٌ من شرطة أتلانتا، فيما يتعلق بوفاة إيمي هولدر».

أرى اثنين من الضباط الآخرين يقتربان، ولا أريد أن تتفاقم الأمور أكثر ممّا ينبغي. عاد جيران رايان، عائلة روجرز، من نزھتهما وهما يشاهدان ما يحدث، وكذلك عدّة أشخاص آخرين عبر الشارع. توقفتُ بعض السيارات على طول الطريق. هذا الشارع الهادئ المحاط بالأشجار لم يشهد مثل هذه الإثارة من قبل.

أضع يدي على كتف رايان، ممّا يجعله يلتفت نحوي. لا أقول شيئاً، ولكن أومئ برأسي، مشيرةً له أن من الأفضل أن يتركني أذهب معهم. ينظر إليّ لبضع ثوانٍ، محاولاً قراءة ما يجري وفهم الوضع. يتعامل الضابط معي بلطف وهو يقودوني إلى أقرب سيارة دورية. ولحُسن الحظ، لا يقترب أحد من سيارتي، ممّا يجعلني آمل في أنها ستظل هنا عندما أخرج.

إيمي هولدر كانت الهدف في مهمتي الأخيرة، تلك التي لم أكملها بالشكل الذي يُرضي السيد سميث. لكن الهوية التي استخدمتها في هذه المهمة، إيفيلين بورتير، من المفترض أن تكون هوية نظيفة ولا تربطها أي علاقة بإيمي هولدر أو بوفاتها. حقيقة أنهم يستدعونني للاستجواب بشأن وفاتها تشير إلى أن هويتي قد اختُرقت، وأن هذا الأمر مرتبط بشكلٍ ما بالخطوة التالية فيما يخططه لي السيد سميث.

يتطلب الجلوس بشكلٍ ثابت تماماً تركيزاً أكثر ممّا يمكن أن تتخيله. لم أھز قدمي، أو أتململ في مقعدي، أو أشيح بنظري إلى أي مكان آخر سوى الجدار الرمادي الفاتح الذي أمامي مباشرةً. يظل تنفسي منتظماً، أتنفس عبر أنفي وأزفر من بين شفّتيّ شبه المطبقتين. ترمش عيناي في إيقاعٍ ثابت، ليس سريعاً جداً ولا بطيئاً جداً.

أدرك تمامًا أنهم يراقبونني من خلال الجدار العاكس على يساري، لكنني أصرُّ على عدم إظهار أدنى حركة، حتى ولو بأصغر أصابعي، لأنني لا أريد عن ذهني ما قاله لي ديفون في أول لقاء حقيقي بيننا: يمكنك أن تعرف الكثير عن الشخص من خلال تصرفاته عندما يُترك منتظرًا لفترة طويلة.

أحضرت إلى غرفة الاستجواب في عرض مسرحي كبير، حيث أجلسوني إلى هذه الطاولة. توافد ضباط بزيهم الرسمي ومحققون بملابس مدنيَّة إلى الداخل والخارج، كل منهم يسعى ليؤدي دورًا في هذه القضية. عرضوا عليَّ شيئًا لأشربه، وسألوني إن كنت بحاجة إلى استخدام الحَمَّام. انهالت عليَّ الأسئلة، وأجبتُ عن كلِّ منها بأقلِّ قدر ممكن من الكلمات. وفي النهاية، طرحْتُ أنا السؤال الأخير: طلبت محاميًّا. مكتبة سرٌّ من قرأ

طلبت راتشيل موراي، رغم أنني متأكدة أن رايان قد اتصل بها بالفعل.

بعد فترةٍ من الزمن، تصل راتشيل وتجلس أمامي. أبقى صامته بينما تتفحَّصني بوضوح. لم أكن متأكدة ممَّا يمكن أن أتوقعه منها - هل ستشعر بالسرور لاحتجائي، أم بالخوف من الجلوس أمام شخصٍ قد يكون متورطًا في جريمة قتل، أم بالارتباك بشأن سبب طلبي لها - لكنني لم ألحظ أيًّا من ذلك. يخلو وجهها من التعبير مثل وجهي، وأنا راضيةٌ عن النهج الذي قررتُ اتخاذه.

من الواضح أنها ستنتظرني لأبدأ الحديث، وهو ما أحترمه.

أسأل: «هل ستمثّليني؟». أرفض تمامًا قول أي شيءٍ لها لن يكون محميًّا بموجب سرية العلاقة بين المحامي والموكل.

تجيب: «نعم، (ثم تسحب وثيقةً من الحقيبة الموضوعة بجانب قدميها) توقعتُ أنك لن تتحدّثي معي دون هذا».

إنها اتفاقية موحدة تنص على أننا ننتقل إلى علاقةٍ مهنيَّة تصبح فيها راتشيل محاميّتي الرسمية. أوقع في الأسفل، ثم أراقبها وهي تُضيف توقيعها تحت توقيعِي.

تسأل: «أعتقد أنكِ ستكونين قادرة على تسديد الفاتورة التي سأرسلها إليك؟».

أومئ برأسي: «بالطبع».

تضع الوثيقة في حقيبتها ثم تتجه نحو الباب. تفتحه قليلاً وتقول: «أنا المحامية الرسمية للآنسة بورتر، لذا أوقفوا تشغيل الميكروفونات وكاميرات المراقبة في الغرفة».

تُغلق الباب، ثم تتجه نحو النافذة لتسدل الستائر المعتمة. الآن عليّ أن أثق في هذا النظام وأتمنى ألا يسمع أحد ما سأخبرها به. هذا القدر الضئيل من الخصوصية يجعلني أتحرك في مقعدي، محاولة استعادة تدفق الدم إلى المناطق التي تحتاج إليه.

تضيق عينها اليسرى وهي تراقبني. تقول: «اتصل بي رايان فور مغادرتهم ممر منزله وأنت في المقعد الخلفي. وعندما طلبتني، كنت هنا بالفعل. لكنني فوجئت، بصراحة».

أخيراً أسأل: «هل تعرفين ما يملكونه ضدي؟ ولماذا يعتقدون أنني شاهدة رئيسية؟».

- بحث الضابط بوليك عن اسمكِ ومدينة بروكوود، ألاباما، بعد مغادرته منزل آل برنارد. ظهرت مذكرة استجواب. أجرى المكالمات وتحدث مع الضابط المسؤول عن قضية إيمي هولدر في الصباح الباكر. لديهم سبب للاعتقاد بأنكِ كنتِ في مكان الحادث عندما تُوْفِيتِ إيمي، وأنكِ إما تعرفين ما حدث في اللحظات التي سبقت وفاتها وإما ربما ساعدتِ في وفاتها أو كنتِ عاملاً مؤثراً فيها. طلبوا إحضارك للاستجواب، لذلك توجه الضباط المحليون إلى منزل رايان لاعتقالكِ.

لا ينبغي أن تكون لإيفي بورتر ومدينة بروكوود أي علاقة بإيمي هولدر بأي شكلٍ من الأشكال.

أسأل: «ما الدليل الذي لديهم على أنني كنتُ هناك؟».

تجيب: «أخبروني أن هناك صورة لك في موقع الحادث. تقول الشرطة المحلية إن شرطة أتلانتا لم تشاركها معهم بعد، لذا لم يتمكنوا من عرضها عليّ. لست متأكدة ممّا إذا كان هذا صحيحاً أم لا. على أي حال، طلبت نسخة منها وقيل لي أنها ستصل قريباً».

أومئ برأسي، مستوعبةً ما قيل. ثم أسأل: «كيف عرفوا أن المرأة في الصورة هي إيفي بورتر بالتحديد؟».

تميل راتشيل رأسها قليلاً جانباً.

- لست متأكدة ممّا تسألين عنه.

وأنا واثقة أنها تتساءل لماذا أشير إلى نفسي بصيغة الغائب.

أسأل بصوتٍ مُحبط: «هل هناك سجلٌ كامل عن إيفي بورتر؟ أي شيءٍ آخر غير وجودها في مكان وفاة إيمي هولدر؟». لست مستعدة بعد لإخبارها بكل شيء، لكنني بحاجة إلى معرفة كل ما تعرفه هي. لم أصل بعد إلى النقطة التي يمكنني فيها استعادة هوية لوكا مارينو، وأحتاج إلى حماية تلك الهوية لفترةٍ أطول حتى أعرف بالضبط ما يجري. في الوقت الحالي، لوكا مارينو ميتة وأنا عالقة في هوية إيفي بورتر.

تميل راتشيل إلى الأمام سائدةً ذراعيها على الطاولة. تقول: «هل تودين إخباري بما يجري؟ لا أستطيع مساعدتك إذا لم تطلعيني على التفاصيل». أقول: «كنت أعرف إيمي هولدر. (لا يظهر على وجهها أي دهشة من هذا الاعتراف) لكن عندما عرفتُها، لم يكن اسمي إيفي بورتر».

تميل برأسها جانباً. «ماذا كان اسمكِ؟».

أجيب: «ريجينا هيل».

تُكرّر الاسم: «ريجينا هيل».

أومئ برأسي وهي تحديق إلى وجهي. ثم تسأل: «هل أنتِ ريجينا هيل؟». أهزُّ رأسي بالنفي.

وأخيراً تسأل: «هل ريجينا هيل امرأة حقيقيّة انتحلت شخصيتها؟».

أجيب: «لا».

تسألني بحدة: «هل تتعمدين الغموض؟ لأن إذا كان الحفاظ على أسراركِ أكثر أهمية من أن تثقي بي، فسأغادر فوراً».

يا إلهي، إنها امرأة قوية، لكنها بالضبط ما أحتاج إليه الآن.

أقول: «ريجينيا هيل كان الاسم الذي استخدمته عندما كنت أعيش في ضواحي أتلانتا. ما فهمته هو أن وفاة إيمي اعتُبرت حادثة».

تستند راتشيل إلى الوراق في كرسيها، تعقد ذراعيها أمامها وهي تتفحصني بتمعن. ثم تسأل: «هل اسمكِ الحقيقي هو إيفي بورتر؟».

أتردد هنيئاً كافية لتدرك الإجابة، لكنها لا تزال تنتظر ردي.

أجيب: «لا».

تسأل: «ما هو اسمكِ الحقيقي؟».

أجيب: «ليس إيفي بورتر». لست مستعدة للكشف عن كل شيء بعد. ليس الآن.

نتبادل النظرات، كل منا يحاول معرفة مَنْ سيكسر الصمت أولاً. أخيراً، تلتفت راتشيل إلى حقيبتها وتُخرج بعض الأوراق. تقول: «هذا ما وجدته من خلال بحثي الشخصي. يمكنني أن أتحرى ما إذا كانت الشرطة تملك أي شيء بخلاف ذلك».

على الرغم من أنني كنت أعلم أنها ستجري بحثاً خاصاً عني، فإنني لم أكن مستعدة لأول شيء تضعه أمامي. إنه نسخة مصوّرة من بطاقة هوية طالبة من جامعة ألاباما تحمل اسم إيفيلين بورتر وصورتها، يعود تاريخها إلى سبع سنوات مضت.

أسأل: «ما هذا؟». أتعرف على الصورة. إنها من أول مهمة قمتُ بها، مهمة كينجستون تحت اسم إزي ويليامز، لكنها موجودة هنا على بطاقة هوية طلابية باسم إيفيلين بورتر.

لا تقول راتشيل شيئاً، لكنها تُسلمني ورقة أخرى. إنها نسخة مصوّرة من رخصة قيادة تعود إلى ست سنوات مضت. مرة أخرى، الصورة لي، لكن الاسم على الرخصة هو إيفيلين بورتر. تلك الصورة استخدمتها في مهمة أندرو مارشال تحت اسم ميا بيانكي.

تهبط صفحة أخرى على الطاولة. جواز سفر باسم إيفيلين بورتر يعود تاريخه إلى أربع سنوات مضت، مع صورة أخرى لي صُممت لمهمة في فلوريدا تحت اسم ويندي والاس.

ثم تأتي ثلاث أوراق أخرى: فاتورة كهرباء، مُخالفة سرعة، وإفادة من عيادة طبيب. ثلاثة أدلة إضافية تثبت أنني إيفيلين بورتر.

قضيت ثماني سنوات أخفي هويتي الحقيقية، بينما قضى السيد سميث ثماني سنوات في إنشاء هوية جديدة نشطة لي.

دومًا ما نكون أنا وديفون دقيقين للغاية عندما نبحث عن مدينة جديدة أو هدف جديد، لكن عدم التعمق في التحقيق حول الاسم الذي أُسند إليّ كان ثغرة لم ننتبه لها.

تنتظر مني راتشيل أي ردّة فعل. وعندما تدرك أنها لن تحصل على شيء، ترجع إلى الخلف في كرسيها وتطلق زفيرًا عاليًا.

- أما زلتِ مُصرّة على أنكِ لستِ إيفيلين بورتر؟

أعود إلى حالة الثبات. هادئة. مُتماسكة. قد يعمل عقلي في مليون اتجاه مختلف، لكنني أرفض أن يعرف أحد ذلك.

تسأل: «إذا لم تكوني إيفيلين بورتر وترفضين أن تخبريني مَنْ أَنْتِ حقًا، كيف من المفترض أن أساعدكِ؟».

- أحتاج إلى الخروج من هنا. أحتاج إلى بضعة أيام لأرتب أموري.

تهزُّ راتشيل رأسها بالفعل.

- سأحاول، لكن لا تعقدي آمالًا كبيرة. كانوا يبحثون عنكِ منذ فترة ولا يريدون المخاطرة بأن تختفي عنهم. كل ما لديهم هو طلبٌ رسمي لاستجوابكِ بصفتكِ شاهدة مُحتملة، وليس مشتبهًا به في وفاتها، وهذا شيءٌ جيد، لكنني لا أعتقد أنهم سيسمحون لكِ بالخروج من هنا اليوم.

ربما أستطيع إخراجكِ في غضون يوم أو يومين، لكن ذلك سيكون مشروطًا بذهابكِ فورًا إلى أتلانتا للاستجواب.

ما أحتاج إليه الآن أكثر من أي شيءٍ آخر هو الوقت. أنتظر بضع ثوانٍ، أزن خياراتي، ثم أسحب دفتر ملاحظاتها وقلمها نحوي. أكتب اسمًا بسرعة وأدفعه إليها. لا أريد أن أنطق به بصوتٍ عالٍ في حال كان هناك مَنْ يستمع إلينا.

- اتصلي بهذا الرجل. قللي له إن موكلتك كانت في هيلتون هيد في يونيو 2017. أخبريه أن يُخرجني من هنا. اليوم.

تميل راتشيل إلى الأمام، شحب وجهها قليلاً عمّا كان عليه من قبل وهي تقول: «تريدين مني الاتصال به وذكر هيلتون هيد، يونيو 2017، ثم ماذا... أطلب منه أن يستخدم نفوذه لإطلاق سراحك؟».

لم يكن ذلك سؤالاً، لذا لم أزعج نفسي بإجابتها.

تومئ لي بسرعة ثم تترك الغرفة. فوجئت بأنها لم تضغط عليّ بشأن الرسالة الغامضة، لكنني أدرك الآن أنني لم أمنح راتشيل التقدير الكافي. لم أرغب أبداً في أن أوضع في هذا الموقف، وأواجه ما أواجهه الآن، لكنني مع ذلك كنتُ مستعدة له. حان الوقت لطلب رد الجميل.

يُفتح الباب ببطء، لكن عودة راتشيل لم يحن أوانها بعد. أسترخي في مقعدي، مستعدة لخوض اللعبة مع المحققين. ثم يطل رايان برأسه من خلال الفتحة، كأنه غير متأكد من أنه في الغرفة الصحيحة.

عندما ظن أن الشرطة جاءت من أجله، كان قلقاً بشأن حمايتي. الآن ينظر إليّ بتوجُّس.

يقول: «أفنتُ راتشيل الشرطة بالسماح لي برؤيتكِ لدقيقة. أعتقد أنهم جميعاً خائفون جداً من رفض طلبها. لكنها أخبرتني أن أتوقع أن الكاميرات والميكروفونات ستعود للتسجيل».

ربما يريدون منه أن يكون هنا معي، على أمل أن أقول له شيئاً يمكنهم استخدامه ضدي.

يتردد لحظة، ثم يقترب مني ويسحبني إلى حضنه. أفاجأ بسيلٍ من المشاعر يجتاحني. كم من المريح رؤيته. يحتضنني بقوة، وهو يهمس بهدوء: «ماذا يجري بحق الجحيم، يا إيفي؟».

ينبغي لي أن أبتعد. أن أقطع هذا التواصل بيننا.

لكنني لا أستطيع تركه.

لا أريد أن أتركه. ألقي باللوم على انهيار دفاعاتي بعد يومٍ طويل... بل بعد أيام طويلة مضت.

يسألني: «هل أنت بخير؟».

أجيب: «نعم، أفضل الآن بوجودك هنا».

يتراجع قليلاً لينظر إليّ.

- تقول راتشيل إنها تعمل على إخراجك من هنا.

- جيد. هذا جيد.

يبدو عليه التعب. الساعات الأربع والعشرون الماضية لم تكن سهلةً عليه. أولاً، يفقد صديق طفولته، ثم تُقتاد حبيبته إلى سيارة الشرطة.

يشبك أصابعه بين أصابعي سائلاً: «ما الذي يحدث، يا إيفي؟ قال ذلك الشرطي إنهم يريدون استجوابك بصفتك شاهدة رئيسية في وفاة امرأة في أتلانتا. يعتقدون أنك كنت هناك عندما حدث ذلك».

أجيب: «نعم، هذا ما قيل لي أيضاً. تفاجأت مثلك تماماً أنهم يريدون التحدث معي. لم أكن أعلم أنه صدر بحقي مذكرة استجواب».

أحاول أن أحرص على ألا أقول شيئاً لا أرغب في أن تسمعه الشرطة، لأنهم على الأرجح يستمعون.

يسأل: «هل يعني ذلك أنهم يعتقدون أن هناك شيئاً مريباً بشأن وفاتها؟ أعني، لماذا يحتاجون إلى مذكرة لاستجوابك؟».

أخذ نفساً عميقاً وأزفره ببطء.

- ليست لديّ أدنى فكرة عن سبب اعتقادهم بأنني أعرف أي شيء.

يهزُّ رأسه وأنا أتحديث، كأنه يزن صدق كلامي. قبل أن يتمكن من قول أي شيء آخر، تفتح راتشيل الباب وتدخل الغرفة بخفة. تنتقل نظراتها بيننا، وحُكمها واضحٌ تماماً في عينيها؛ أنا أكذب على صديقها.

تقول مشددة على اسمي: «إيفي، أجريت الاتصال. يبدو أنه كان ناجحاً. سنعرف النتيجة بالتأكيد قريباً».

أومئ برأسي لأنني كنتُ واثقةً من أن الأمور ستسير كما ينبغي.

تلتفت راتشيل إلى رايان قائلة: «هل يمكنك أن تتركنا بضع دقائق؟ أحتاج إلى مناقشة بعض الأمور مع إيفي».

يتردد قليلاً، ناقلاً نظراته بيننا، من الواضح أنه يتساءل عما يمكننا مناقشته ولا يمكنه سماعه.

عندما لا أبدي أي إشارة على أنه يمكنه البقاء، يقول: «بالطبع. سأكون بالخارج».

ثم يغادر الغرفة.

تشير راتشيل بيدها نحو الغرفة وتقول: «الميكروفونات والكاميرات مغلقة الآن».

أومئ برأسي، منتظرة ما تريد قوله بعيداً عن آذان الآخرين. تسألني: «هل ستخبرينه بحقيقتك؟».

أجيبها ببرود: «وظفتك لتتولي الأمور القانونية في حياتي، وليس الأمور الشخصية».

لكنها لا تتراجع.

- إنه صديقي.

لا أرد، وتبادل النظرات لثوانٍ قبل أن تقول: «سأعود بمجرد صدور أمر الإفراج، إذا صدر».

أؤكد لها بثقة: «سيصدر».

تلقي عليّ نظرة أخيرة قبل أن تغادر الغرفة.

أعود إلى الجلوس محاولةً تصفية ذهني لأتمكن من بدء التخطيط لما هو آتٍ.

أقود سيارتي بتمهّل من هيلتون هيد عائدة إلى رالي، كارولينا الشمالية، بينما تسيطر على ذهني أحداث الساعات الاثنتي عشرة الماضية. رغم أنه لا ينبغي لي أن أبالي بما يظنه أندرو مارشال عني الآن، فإنني لا أستطيع تجاهل ذلك.

اختفيتُ عن الأنظار. يغمرُ مات هاتفي بمكالماتٍ لا تنتهي، يتبعها برسائل مليئة بالتهديدات، لكنني لا أهتم.

أتوقف أمام مكتب «إيه. إيه. إيه. إيه» في صباح يوم الإثنين، بعد مرور قرابة الثماني وأربعين ساعة منذ أن تركت أندرو في ذلك المنتجع في كارولينا الجنوبية، رغم أنني تلقيتُ تعليمات بعدم العودة إلى هذا المكان أبداً. لا يتوقع مات حضوري.

آخر مرة وُجدتُ فيها هنا، كنت مرعوبة. كنت قد هربتُ لتوي من منزل عائلة كينجستون بعدما تركت جيني كينجستون تنزف وتلفظ أنفاسها على الأرض، بينما كان مايلز نائماً على الأريكة. لكن اليوم مُختلف.

اليوم أدخل إلى مكتبه كأنه ملكي.

يوجد بضعة أشخاص متفرقين في غرفة الانتظار، والفتاة نفسها تجلس خلف مكتب الاستقبال. ترسم على وجهها ابتسامة باهتة عندما أتقدم نحوها، لكن تعبيرها يتغيّر بسرعة عندما أتجاوز مكتبها وأسير في الممر. تصرخ وهي تلاحقني بسرعة: «انتظري! عليك أن تسجلي حضورك أولاً!».

أدير مقبض باب مكتب مات وأفتحه، فتتوقف الموظفة فجأة قبل أن تصطدم بظهري.

يصيح مات حالما يراني: «أين كنتِ بحق الجحيم! (ثم ينظر إلى موظفة الاستقبال خلفي) عودي إلى مكتبكِ في الاستقبال!». تدور الفتاة بسرعة وتعود من حيث أتت بينما أغلق باب مكتبه.

أجلس على الكرسي نفسه المقابل لمكتبه الذي جلستُ عليه قبل عامين. يبدو كأنه لم يغمض له جفن منذ يوم الجمعة، منذ آخر مرة تحدثنا فيها، منذ آخر مرة تمكّن فيها من متابعة بث الفيديو الذي أعده، وذلك قبل أن أقطعه.

- قضت فتاتي عطلة نهاية الأسبوع بأكملها تبحث عن أندرو! حتى إنها طرقت بابه! وأين اختفيتِ أنتِ؟ اختفيتِ فجأة كأنكِ الساحر هوديني في هذه المهمة اللعينة!

يحمّرُ وجهه وتتطاير ذرات اللعاب من فمه.

استغرق مني الأمر وقتًا في الرد عليه.

- خطتكِ كانت غبية. قمتُ بتحسينها.

يصرُّ على أسنانه وعيناه تجوبانني بسرعةٍ محمومة. يسأل أخيرًا: «ماذا يعني ذلك؟».

أقول: «اتصل بالسيد سميث». والآن يبدو كأنه يريد قتلي.

يلتفُّ مات حول مكتبه ويقف أمامي. ينحني، واضعًا يديه على ذراعي الكرسي ليحاصرني في مكاني.

- أنتِ تعملين تحت إمرتي.

- لا، لم أعد كذلك. ليس بعد الآن. (أرفع ذراعي وأنظر إلى ساعتني) لديك خمس دقائق أو سأغادر. وأنت لا تريدني أن أغادر.

أنا أَلعب لعبةَ خِطْرة جدًّا، لكن عليَّ أن أثق بحدسي. فهو لا يخونني أبدًا. نزل نحدق إلى بعضنا لحظة طويلة مشحونة بالتوتر.

تغير شيءٌ ما بداخلي عندما توليت تلك المهمة وجعلتها ملكي. ولن أعود إلى ما كنتُ عليه من قبل.

- أربع دقائق.

يدفع كرسيَّ بقوة، حتى أكاد أفقد توازني وأسقط للخلف، لكنني أدفع قدمي إلى الأمام بسرعة لاستعادة توازني. يلتقط هاتفه ويدير ظهره لي وهو يتحدث بصوتٍ منخفض مع السيد سميث.

بعد لحظات قليلة، يستدير نحوي ويضع الهاتف على مُكبر الصوت. يقول مات: «تحدثي».

يسود الصمت على الطرف الآخر، لكنني لا أسمح له بإيقافي.

- لم يكن أندرو مارشال الشخص المناسب من البداية. لم يكن ليخون زوجته أبدًا؛ إنه نزيهٌ للغاية. وإذا حاولت إجباره على ذلك، لدفعهُ الخزي للانسحاب من السباق بشكلٍ كامل. لا جدوى من امتلاك فضيحةٍ عن شخص لا يتمتع بنفوذ. قضاء عشر دقائق فقط مع هذا الرجل كانت كافية لتدرك ذلك.

تحقق عينا مات إليَّ بينما أترك صمت السيد سميث يسيطر على الغرفة.

- لكنني أحضرت لك شيئاً أفضل. السيناتور نيلسون. لقد احتفظ بمقعده في جورجيا لمدة ثمانية عشر عاماً. وهو عضوٌ في جميع اللجان المهمة. رجل يحب الرب، وزوجته، ووطنه. لكنه أيضاً يحب أن يُضرب بالسوط وهو يرتدي كعامة. إنه تحت تصرفك الآن. فقط أخبرني أين أرسل ناقل البيانات.

من الواضح أنني أقصي مات من المعادلة بعدم إعطائه ناقل البيانات ليسلّمه بنفسه. ما لم أذكره هو أن أندرو مارشال أصبح الآن في نطاق نفوذي. سيصبح حاكماً قريباً، وهو يُدرك مدى اقترابه من السقوط في الفخ، ويعلم جيداً من أنقذه.

أراقب مات، وهو يُراقب الهاتف. تتكوّن قطرات العرق على جبينه.

تلك المحادثة مع أندرو كانت صعبة. عندما استيقظ في الصباح التالي وهو لا يزال في الشرفة، كانت لديه أسئلة، وأجبت عليها جميعاً. الیقظة. هذا ما يجب أن يتحلى به في المستقبل. لا ثقة عمياء، حتى لو أثبت الشخص المعنّي أنه أهلٌ للثقة. إنه درسٌ صعب سيتعلم منه.

شكرني، ثم عرض مساعدتي بأي طريقة ممكنة لترك هذه الحياة، للعيش بشرفٍ بعيدًا عن عالم الجريمة. لأن هذا هو أندرو مارشال. عانقته وشكرته، ثم غادرت فورًا.

وأعلم أيضًا أنه إذا احتجْتُ إليه يومًا -احتجْتُ حقًا إليه- فسيكون هناك من أجلي.

عندما يبدو أن السيد سميث لن يتحدث معي اليوم، أتابع قائلة: «ربما لا يعجبك أنني غيرتِ الخطة، وقد لا تكون النتائج التي حصلت عليها هي التي كنت تأملها، لكن خطة مات كانت ستفشل. والسيناتور نيلسون خيارٌ أفضل بكثير من خطة فاشلة وهدرٍ للموارد. إذا رغبت في الاستمرار في الاستعانة بخدماتي، فسأتعامل معك مباشرةً. ليس عبر مات. أنا ماهرةٌ فيما أفعله. أنا أفضل منه، وأنت تعلم ذلك. يسود الصمت.

مات غاضبٌ بشدة، إذ يتصاعد احمرارٌ عميق إلى عنقه وفكه مشدودٌ بقوة. أخيرًا، يتحدث السيد سميث: «مات، أعطِ لوكا هاتفك ثم انتظر في الخارج. لوكا، بعد مغادرته أغلقي الباب وأغلقي مكبر الصوت». تبدو عينا مات كأنهما ستنفجران من رأسه. يُغادر المكتب، ويصفق الباب خلفه بقوة.

ألتقط الهاتف وأضغط على الزر لجعل المكالمات خاصة. أقول: «أنا معك».

- سمعتُ أنه وقع حدثٌ كبير في جناح أندرو مارشال ليلة الجمعة. لم أتردد.

- نعم. دعوت بعض الشخصيات الرفيعة لحضور حفلة كوكتيل حالما أدركتُ ما خطط له مات. علمت أنه إذا لم أتمكن من إلحاق فضيحة بـأندرو، فمن الأفضل إلحاقها بشخصٍ آخر له الأهمية نفسها أو أكثر. يسود الصمت.

ثم أخيرًا، أتلقي مزيّدًا من الأسئلة.

- أين كان أندرو مارشال في أثناء هذه الحفلة؟ إذا كنتِ تمتلكين ما تدّعي امتلاكه، هل كان شاهداً على سلوك السيناتور؟
- أفقدتُ أندرو وعيه ووضعتُه على الأريكة في الشرفة. اصطحب السيناتور نيلسون إحدى الفتيات إلى غرفته، وهناك وقعت الحادثة بينهما.
- يصمت مجدداً. تُزعجني فترة الانتظار بين أسئلته وإجاباتي، وأنا متأكدة من أن هذا هو الغرض منها.
- استلمتِ تعليمات مات في الرابعة والنصف بعد الظهر، وأرسلت الدعوات إلى حفل الكوكتيل في غرفة مارشال عند الخامسة وخمس وأربعين دقيقة. كيف تمكنتِ من تأمين المعدات التقنية والطاقم اللازمين لتنفيذ ذلك في مثل هذا الوقت القصير؟ أم أنكِ خططتِ للتصرف بشكلٍ مستقل قبل أن تصلكِ التعليمات؟
- الافتراض بأنه سيقبل ما أقدمه له دون تحقيقٍ كان سداجة مني.
- كما قلتُ من قبل، أنا ماهرة وأفكر بسرعة. وهذا مجرد مثالٍ آخر على ذلك. لم أدخل عطلة نهاية الأسبوع معتقدة أنني سأضطر إلى تغيير الخطة، لكن من غير المهني ألا أكون مستعدة لأي احتمال. اتضح عندما حصلت على التعليمات أن مات قد تولّى زمام الأمور في هذه المهمة. وكانت الخطة فوضوية وغير احترافية.
- وهل تتوقعين مني أن أصدق أنكِ خرجتِ من عطلة نهاية الأسبوع دون أي شيء يدين مارشال؟ وأنكِ لم تكتشفي طوال الفترة التي قضيتها معه أي نقطة ضعف يمكن استخدامها ضده؟
- هذه هي الحقيقة. إنه نزيهٌ تماماً.
- أدرك أنه لا يصدقني. بعد دقيقة، ألقى نظرةً على الهاتف للتأكد من أنه لا يزال على الخط.
- في حين أن السيناتور نيلسون ربما سيكون مفيداً، إلا أنه لم يكن الهدف الذي أرسلناكِ من أجله، لكنني أقدر جهودكِ في إنقاذ المهمة. من الآن فصاعداً، ستتواصلين معي مباشرةً. سنرى كيف ستسير الأمور

بهذه الطريقة. في الوقت الراهن، أنتِ مفاجأةٌ حقيقيةٌ. دعينا نكتشف إن كانت مفاجأةٌ جيدة أم سيئة.

أتجاهل نبرة التهديد في الجزء الأخير من حديثه.

- سيعكسُ راتبي منصبِي الجديد، أليس كذلك؟
لم أتوقع أن يضحك.

- لا تترددين في الضغط عليّ، أليس كذلك؟

- هل كنتَ ستحترمني لو لم أفعل؟

يتجاهل سُؤالي.

- لنرى إذا كنتِ جيدة كما تدّعين. هناك مسألة في فلوريدا تحتاج إلى تدخّل. بلدة جامعية صغيرة تبدو هادئة لكنها مليئة بالمال. أريدك أن تذهبي إلى هناك.

أقول دون تردد: «لا مشكلة». رغم أنني لا أعرف تفاصيل المهمة، فإنني أعلم أنها فرصتي لإثبات جدارتي بالترقية.

- انذهبي إلى فندق هوليداي إن إكسبريس بالقرب من المطار. سجلي دخولك باسمك المستعار الحالي وانتظري التعليمات.

ثم ينقطع الاتصال.

أصرخ نحو الباب المغلق: «انتهيتُ من الحديث معه!»، وفي غضون ثوانٍ، يندفع مات ليفتح الباب، منتزعًا الهاتف من يدي بعنف.

يقول: «ستندمين على هذا».

أكتفي بهزّ كتفيّ بلا مبالاة، ثم أخرج بجةً ورقية صغيرة من جيبي، وأضعها على زاوية مكتبه.

- ما هذا بحق الجحيم؟

أقول وأنا أتجه نحو الباب: «شيءٌ يذكركَ بي».

في اللحظة التي أخرج فيها من هذا المبنى، تُسلم صناديق بيضاء صغيرة إلى عدة مواقع. في كل صندوق توجد بجةٌ ورقية مطوية تشبه تلك التي أعطيتُ مات إياها للتو. وعندما يفتح المُتلقي البجة، يجد صورة له في

وضعيةٍ محرّجة جدًّا، مع عبارة «هيلتون هيد 2017» مكتوبة أسفلها بقلمٍ أحمر. وهذا كل شيء.

عزّزتُ فريقِي ببعض الأعضاء الجدد، حتى وإن لم ينضموا بإرادتهم. طلبتُ ردّ الجميل في تلك الليلة التي كدت أُعتقل فيها في رالي، وكان ذلك كافيًا لإنقاذِي من تلك الورطة.

سيأتي يوم سأحتاج فيه إلى هؤلاء الرجال، وحينها سيهرعون لمساعدتي. أملك الآن في جيبي مجموعة من السياسيين المحترمين والمتدينين. سيناتور، وعدد من أعضاء الكونجرس، ورؤساء بلديات، ومُشرّعين على مستوى الولاية. وحتى القاضي المسكين ماكنتاير من لوزيانا، الذي حضر حفلة الكوكتيل برفقة صديق، لم يسلم من الوقوع في الفخ.

الفصل السابع عشر

اليوم الحالي

أثبت القاضي ماكنتاير جدارته كما توقعت. أعود إلى المنزل برفقة رايان، بينما تتبعنا راتشيل بسيارتها. وافقت على تحمُّل المسؤولية عن أفعالي، ممَّا يعني أنني عالقة معها الآن.

لكي أتمكن من الخروج اليوم، كان عليَّ الموافقة على مُقابلة المحققين في أتلانتا صباح الجمعة للإجابة على الأسئلة المتعلقة بظروف وفاة إيمي هولدر. إذا رفضتُ الموافقة على ذلك، كنت سأحتجز في قسم شرطة ليك فوربينج حتى يصل الفريق المُرافق من شرطة أتلانتا لنقلي إلى هناك. وإذا لم أحضر هذا اللقاء صباح الجمعة، فسيصدر أمر اعتقالٍ آخر بحقي بتهمة عدم الامتثال.

بالأمس، كانت خطة السيد سميث غامضة، لكن الأمر لم يعد كذلك اليوم. اعتقدتُ دائماً أن بإمكانني العودة إلى هويتي القديمة، لكن بعد هذا اليوم، أصبح التخلّي عن هوية إيفي بورتر أمراً شبه مستحيل. وفقاً لشروط الإفراج عني، تم تصويري وأخذُ بصماتي، لذا ولأول مرة في حياتي، أُدرج في النظام، ولكن تحت اسم إيفيلين بورتر.

حرصتُ للغاية على إبقاء اسم لوكا مارينو نظيفاً وبعيداً عن الأنظار، كلوحٍ فارغٍ يمكنني تشكيله عندما أكون جاهزة، لدرجة أنني لم أترك أي شيء يُثبت

أنني هي في الحقيقة. أما إيفي بورتز، فلديها خلفيّة كاملة وتاريخٌ موثق، يتضمن صورًا وبصمات أصابع تم تحميلها حديثًا، وأمر استدعاءً بصفتها شاهدة رئيسية للتحقيق في وفاة إيمي هولدر.

قبل ثماني سنوات، أنقذني السيد سميث من اعتقالٍ مُحتمل، والآن نصب لي فخًا قد يؤدي إلى اعتقالي.

اليوم هو الإثنين، وقد انقضى نصفه بالفعل، لذا لم يتبقَّ لي سوى ثلاثة أيام كاملة للتعامل مع هذا الوضع.

السيارة غارقة في الصمت.

من بين كل الأسئلة التي تدور في رأسي الآن، أكثر ما يؤرقني هو: لماذا قرّر السيد سميث تصعيد الأخطار في هذه المهمة؟ قد أكون عالقة في هذه البلدة وتلك الهوية الآن، لكن عملي هنا قد انتهى. هل كانت هذه مهمة حقيقيّة بالفعل أم مجرد حيلة لإبقائي محاصرة في مكان واحد؟

أخيرًا، بعدما أصبح الصمت ثقيلًا جدًّا، أقول: «يمكنك أن تسألني عن أي شيء».

يسأل: «كيف ماتت؟ المرأة التي يريدون استجوابك بشأنها».

- ماتت في حريق.

يتجهم قليلًا، وعينه لا تزالان مثبتتين على الطريق.

- كيف تعرفتِ عليها؟

- من خلال العمل.

وهو أمرٌ صحيح. لقد كانت مهمتي الأخيرة.

لم يتبقَّ سوى بضع دقائق على وصولنا إلى منزله، ولم يسألني أي شيءٍ آخر، لذا أضغط عليه.

- ألن تسألني إن كنتُ هناك؟ أو إذا كنت أعرف شيئًا عمّا حدث لها؟ أو إذا

شاركتُ في موتها؟

- لا، وليس لأنني لا أريد معرفة الإجابات. (يلتفت نحوي للحظة قبل أن يُعيد تركيزه على الطريق) بل لأنك لستِ مستعدة لقول الحقيقة، وأفضل ألا تكذبين عليّ.

أسأل، دون أي أثر للمرح في صوتي: «ألا تخشى أنك تقيم مع مجرمة؟ ألا تخشى أن أشعل النار في منزلك الكبير الجميل؟».

أضغط، وأضغط، وأضغط.

تملاً ضحكته الخالية من المرح أجواء السيارة.

- شهد شارعي بأكمله اصطحاب الشرطة لحبيبتني. قضيتُ اليوم كله في قسم الشرطة أفعل كل ما بوسعي لتأمين إطلاق سراحها. والآن، تحاول إثارة شجارٍ معي ونحن في طريقنا إلى المنزل لأنني أرفض المشاركة في ألأعيبها. (ينظر نحوي مجدداً) هل أنا سعيدٌ بما يحدث؟ لا. هل أنا هنا لدعمكِ خلال هذه المحنة؟ نعم. هل أخاف منك؟ لا. أتحدى بصبرٍ كافٍ لانتظر حتى تكوني مستعدة للحديث معي عن الأمر. لكنني لن أخوض محادثاتٍ افتراضية بشأنه.

أثرت كلماته فيّ بطريقةٍ لم أكن أتوقعها.

يمد رايان يده ليمسك بيدي، ممّا يخفف من التوتر في السيارة.

- سنذهب إلى أتلانتا ونُخبرهم أنكِ لا تعرفين شيئاً، نجيب على أسئلتهم، ثم نعود إلى حياتنا الطبيعية.

يقولها بحزمٍ لدرجة أنني أكاد أصدق أن هذا خياراً ممكناً لي.

لا فكرة لديّ عن ماهية الحياة الطبيعية حتى.

ندخل إلى المرأب، لكن يُبقي رايان المحرك دائراً.

يقول وهو يحدق من خلال الزجاج الأمامي: «أحتاج إلى المرور على مكتبي لأخذ بعض الأشياء، لأنني لم أتمكن من المرور عليه في وقتٍ سابق».

أخرج من السيارة قبل أن أقول شيئاً أندم عليه. تدفعني كلماته تلك إلى أن أفضي له بكل ما لا يجب أن أقوله، والآن هو يبتعد عني. أوشك على دخول المنزل عندما أسمع راتشيل تغلق باب سيارتها، وصوت كعبها العالي ينقر على الأسفلت خلفي.

تقول وهي تتبعني إلى الباب الخلفي: «إيفي، نحتاج إلى مراجعة بعض الأمور».

أومئ برأسي دون أن ألتفت لمواجهتها: «أحتاج إلى حمامٍ أولاً، وقليلٍ من الوقت. أعطيني ساعة».

أتوجه نحو السلالم قبل أن تتمكن من قول أي شيءٍ آخر.

أتوقف فجأةً أمام باب غرفة نومنا المغلق. لا نغلق هذا الباب قط عندما تكون الغرفة فارغة. أفكر في صباح اليوم عندما كنا نستعد لبدء اليوم، يتحرك كلانا ببطءٍ شديد، مثقلين بالتعب من عطلة نهاية الأسبوع. نزلتُ أولاً، ثم انضم إليَّ رايان بعد فترة قصيرة، لكنني عدتُ سريعاً إلى هنا لأخذ هاتفي من مكانه بجانب السرير حيث كان يُشحن.

كان الباب مفتوحاً عندما غادرت الغرفة.

أدير المقبض ببطء، ثم أدفعه برفق.

السرير مُرتب، وهو شيءٌ نادرًا ما نفعله، وبالتأكيد لم نكن لنفعله هذا الصباح نظرًا إلى الحالة التي كنا عليها. أتفحص الغرفة، ثم أحبسُ أنفاسي عندما أرى ما ينتظرني على الطاولة الجانبية إلى جوار السرير. بجةٌ ورقية مطوية.

موضوعة بعناية خلف المصباح، صغيرة بما يكفي لئلا تثير اهتمام أحدٍ سواي.

أحرق إليها أطول ممّا ينبغي، مانحةً إياها قوة لا تستحقها.

أخيرًا، أمدُّ يدي نحوها وأفتحها. هناك ورقة أخرى داخل جسم البجة، مطبوع على جانبها صورتان. هذا ما تملكه الشرطة في أتلانتا ضدي، بفضل السيد سميث، بلا شك. وقد أوصل لي هذا التحذير بالطريقة نفسها التي أبلغت بها القاضي ماكنتاير بما أملكه ضده.

في الصورة الأولى، أقف خارج فندق في وسط مدينة أتلانتا، وتقف إيمي هولدر على بعد بضع خطوات مني؛ وجهها غاضبٌ ويدها مرفوعة وهي تشير إليَّ بإصبعها الوسطى. في الصورة الثانية، أتبعها داخل الفندق. الفندق نفسه الذي بعد دقائق قليلة رصدت كاميرات الهواتف المحمولة على طول الشارع

- أمامه أعمدة الدخان السوداء المتصاعدة من نافذة شرفتها. من الواضح أن هناك مشكلةً بيننا، ومن الواضح أيضًا أنني لحقتُ بها إلى داخل الفندق.
- أتذكر هذه اللحظة تمامًا. كلماتها الحادة. نظرات كل مَنْ كان قريبًا بما يكفي لسمع صراخها عليّ. ثم لاحقًا، أصوات صفارات إنذار شاحنات الإطفاء وهي تُمزق الهواء، وصيحات الناس، ورائحة الدخان اللاذعة.
- الدليل المثالي الذي يربط وجودي في موقع الجريمة في لحظة مُواجهةٍ مع المرأة المُتوفاة. وبمعرفتي بالسيد سميث، لا بدّ أن هناك لقطاتٍ أخرى من زوايا مختلفة لا تقل إدانة، ويمكنه تقديمها لشرطة أتلانتا متى أراد. هذه مجرد لمحة تشويقيّة لإثارة شهيتهم.
- يكشف لي الجانب الخلفي من الورقة عمّا يريده مني. إنها صورة التّقطت لي في اليوم نفسه، لكن الموقع مختلف. أظهر فيها وأنا أغادر بنّغا على بُعد بضعة مبانٍ من الفندق الذي أقامت فيه إيمي.
- في أسفل الورقة يوجد رقم هاتف. أستخرج هاتفي من حقيبتي وأتصل به على الفور.
- يقول السيد سميث عندما أجاوب، وصوته الآلي يرتفع قليلًا عن المعتاد: «لم أتوقع اتصالك بهذه السرعة. يبدو أنك خرجت من هناك أسرع ممّا توقعت».
- لطالما استخففت بي.
- أبذل كل ما في وسعي لأضفي بعض المرح على نبرة صوتي.
- ستسلمين ما حصلت عليه من إيمي هولدر في أتلانتا، وإلا ستكتشفين أن هذا الأمر لن ينتهي على نحوٍ يرضيك.
- أغمض عينيّ وأخذ نفسًا عميقًا بصمت.
- شرحت لك ما حدث هناك. لم أحصل عليه. لقد احترق في الحريق.
- إذًا، ماذا يوجد في صندوق الودائع الآمن؟
- أنظر مجددًا إلى صورتني على درجات البنك الأمامية.
- من فضلك، لا تخبرني أنك أوقعتني في شرك الشرطة بسبب هذه الصورة.

يقول بتهكُّم: «وَأَنْتِ الْآنَ تَسْتَخْفِينَ بِي. لَدَيَّ تَسْجِيلَاتُ الْمِرَاقَبَةِ مِنْ كَامِيرَاتِ الْأَمْنِ دَاخِلَ فَرْعِ بَنْكَ وَيْلِزْ فَارْجُو فِي شَارِعِ بِيْتَشْتَرِي. اسْتَأْجَرْتُ صَنْدُوقَ الْوَدَائِعِ قَبْلَ أَنْ يَتِمَكَّنَ رِجَالُ الْإِطْفَاءِ مِنْ إِخْمَادِ النَّيْرَانِ الَّتِي التَّهْمَتُ جَسَدَ إِيْمِي هَوْلْدِر. أَنْتِ لَا تَحْتَفِظِينَ بِأَيِّ شَيْءٍ مَهْمٍ مَعَكَ، وَكَانَ هَذَا الْمَكَانُ الْأَقْرَبُ وَالْأَسْرَعُ لِإِخْفَاءِ مَا حَصَلَتْ عَلَيْهِ بِأَمَانٍ. السَّبَبُ الْوَحِيدُ الَّذِي يَجْعَلُنَا نَتَحَدَّثُ الْآنَ هُوَ أَنَّي لَا أَعْرِفُ رَقْمَ الصَنْدُوقِ، وَلَا أَمْلِكُ تَفَاصِيلَ بَطَاقَةِ التَّوْقِيعِ».

- الْأَمْرُ لَيْسَ كَمَا تَظُن. لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِإِيْمِي أَوْ بَوَفَاتِهَا.

الزَّيْرُ الْآلِي النَّاتِجُ عَنْ جِهَازِ تَغْيِيرِ الصَّوْتِ يَجْعَلُنِي أَشْعُرُ بِالقَشْعِرِيرَةِ.

- لَيْسَ هَذَا وَقْتُ التَّظَاهَرِ بِالْغَبَاءِ مَعِي. سَتَعُودِينَ إِلَى أَتْلَانْتَا، وَلَكِنِّي أُرِيدُكَ هُنَاكَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ. حُجِزَتْ لَكَ غُرْفَةٌ فِي فَنْدُقِ كَانْدَلِرْ بَوْسُطَ مَدِينَةِ أَتْلَانْتَا. سَيَقَابِلُكَ أَحَدُ مُمَثِّلِي فِي الْبَهْوِ صَبَاحَ الْخَمِيسِ عِنْدَ الْعَاشِرَةِ صَبَاحًا، وَسَيَصْحَبُكَ إِلَى الْبَنْكِ وَإِلَى دَاخِلِ الْخَزْنَةِ. سَيَتَوَلَّى بِنَفْسِهِ إِخْرَاجَ مُحتَوِيَّاتِ صَنْدُوقِ الْوَدَائِعِ الْأَمْنِ. إِذَا كَانَ مَا تَقُولِينَهُ صَحِيحًا، وَأَنَّ الْمَحْتَوِيَّاتِ لَا عِلَاقَةَ لَهَا بِمُهْمَةِ إِيْمِي هَوْلْدِر، سَنُنْهِى هَذَا الْأَمْرَ تَمَامًا وَنَوَاصِلَ عَمَلِنَا كَمَا كُنَّا. وَسَيَفْقِدُ الْمُحَقِّقِينَ فِي أَتْلَانْتَا اهْتِمَامَهُمْ بِكَ سَرِيعًا.

- وَأَنْتِ تَتَوَقَّعُ مِنِّي أَنْ أَصْدُقَ أَنَّكَ سَتَصْرِفُ الْأَنْظَارَ عَنِّي إِذَا أُرَيْتَكَ مُحتَوِيَّاتِ صَنْدُوقِ الْوَدَائِعِ الْأَمْنِ؟ وَمَاذَا عَنِ هَذِهِ الْمُهْمَةِ؟ هَلْ سَأَتْرُكُهَا وَأَمْضِي؟ بِالنِّسْبَةِ لِشَخْصٍ يَكْرَهُ الْفَشْلَ، لِمَاذَا يَكُونُ الْفَشْلُ مَقْبُولًا فِي هَذِهِ الْمُهْمَةِ تَحْدِيدًا؟

يَرُدُّ بِحِدَّةٍ: «مَعَ كُلِّ الْمَشْكَلَاتِ الَّتِي تَوَاجِهِينَهَا مَعِي، هَذَا مَا يَهْمُكَ الْآنَ؟ الشَّيْءُ الْوَحِيدُ الْمَهْمُ هُوَ اسْتِعَادَةُ مَا أَخَذْتَهُ إِيْمِي هَوْلْدِر، كُلُّ شَيْءٍ. (يَصْمِتُ لِلْحِظَّةِ ثُمَّ يُضِيفُ): فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ كُنْتُ أَفْضَلُ أَصُولِي، وَانْظُرِي الْآنَ إِلَى مَدَى انْحِدَارِكَ».

- لَا أَزَالُ أَفْضَلَ أَصُولِكَ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ ذَلِكَ جَيِّدًا.

يَضْحَكُ ضَحْكَةً مَدْوِيَةً مُفَاجِئَةً تَجْعَلُنِي أَرْتَعَشُ.

- دخلت مباشرةً وتحدثت إلى الشرطة. هناك ملفٌ الآن يحمل اسمكِ. هل حتى حاولت المقاومة عندما طلبوا بصماتكِ؟ هناك فيديو لك في غرفة التحقيق. عليّ أن أُنثني على هدوئك ورباطة جأشك.
- تشبه كلماته الرصاص، كل واحدةٍ تصيب الهدف بدقة.
- كم من أمثال القاضي ما كنتاير تحتفظين بهم في جيبكِ؟
- أطلق ضحكة أمل ألا تبدو مُصطنعة: «عددٌ كافٍ لأتمكن من تفادي الفخاخ التي تنصبها حولي».
- يصدر زئيرًا وهو يقول: «مع الأسف يا لوكا، لقد اخترت طريقكِ، والآن أنا أختار طريقتي».
- لا تتصرف كأنك لم تُخطط للإيقاع بي منذ البداية. كل هذه السنوات، كنتُ أحد أفضل أصولك، ومع ذلك انتظرت اللحظة المناسبة للانقلاب عليّ.
- يصدر صوت استهجان: «بالطبع. أظنّين أنني لن أضع خطةً بديلةً إذا خرج أحدهم عن السيطرة؟ لا تدعي العواطف تتغلب عليك الآن. هذا مجرد عمل».
- هل علمتُ المرأة التي انتحلت شخصيتي ما ينتظرها عندما قبلت المهمة؟ هل أخبرتها بأنها كانت بمنزلة حكمٍ بالإعدام؟
- تلك المرأة كانت ضحية مؤسفة. امتلكتُ إمكانياتٍ واعدة، لكنني مستعدٌ دائمًا لاتخاذ القرارات الصعبة. مهمة هولدر أكثر أهمية.
- وهكذا تأكّد الأمر؛ لم يكن موتهما حادثة.
- هل أنجزت المهمة التي أرسلتها من أجلها؟ أم خذلتكِ بطريقةٍ ما؟
- أرسلت لإرباككِ، ونجحتُ في ذلك. أرسلت لتبني لنفسها هوية باسم لوكا مارينو، ونجحت في ذلك أيضًا. أرسلت لتتناول العشاء في تلك الليلة وتتأكّد من أنكِ ستكونين آخر شخصٍ يراها على قيد الحياة، حتى لا يكون أمام الشرطة خيارٌ سوى استجوابكِ بشأن تلك الليلة. ظننتُ أنني سأضطر إلى التدخّل لضمانِ علمهم بمذكرة الاستجواب الصادرة بحقكِ، لكنكِ سهلتِ عليّ الأمر. كان تفتيشها لأغراضكِ مجرد وسيلة

لإثارة غضبك، لأنني أعلم كم تكرهين ذلك. لكن الجدول الذي تركته لها أضحكني قليلاً. كانت خطوة ذكية منك.

تجتاحني رغبة في الصراخ عليه وتحطيم الهاتف إلى مليون قطعة، لكن لا يمكنني أن أظهر له مدى شعوري بالهزيمة.

- ما الضمانات التي تضمن لي أنني لن ألقى مصيرها نفسه؟ جاءت هنا لتنجز مهمة، وماذا كان جزاؤها؟ السقوط من أعلى جسر.

- يمكنني أن أضمن لك أنك ستلقين المصير نفسه إذا فشلت في تسليم ما أرسلتك للحصول عليه للمرة الثانية. (ثم يُخفف من نبرة صوته وهو يُضيف): أعلم أنك ستفعلين كل ما يتطلبه الأمر لتحقيق النهاية السعيدة التي طالما حلمت بها. المنزل الكبير والحديقة التي خططت لها مع والدتك طوال تلك السنوات، وهي تدبّل في عزلتها الضيقة. ما زال بإمكانك الحصول على كل ذلك. يمكنني أن أجعل من إيفي بورتر مجرد ذكرى بعيدة وأعيد لوكا مارينو إلى الحياة إذا أعطيتني ما أريد.

هل يعتقد حقاً أنني سأصدق أن هذا ممكن؟

- لا أعلم كم مرة عليّ أن أقول لك؛ أتلانتا كانت مهمةً فاشلة. كل ما أردته من إيمي هولدر، أخذته معها إلى القبر. لا يحتوي صندوق الودائع الآمن على ما تظن أنه يحتويه.

ينتظر لحظة ثم يقول: «سيُعطلّ العمل بهذا الرقم فور انتهاء المكالمة. أنتِ تعرفين كيف تسير الأمور. إذا لم تقابلي ممثلي في بهو الفندق في الوقت المحدد، سأضطر إلى تسليم كل ما لديّ إلى شرطة أتلانتا. تلك الصور ليست سوى مقدمة لما هو قادم. يمكنك أن تهربي، لكنك لم تعودتي شبحاً. (ثم يُضيف قبل أن يُنهي المكالمة): والشرطة لن تكون الجهة الوحيدة التي ستطارذك».

ثم ينقطع الاتصال. لا أحاول إعادة الاتصال، فهو لا يُطلق تهديدات فارغة. آخذ الورقة التي تركها لي إلى الحمام، وألقيها في الحوض، ثم أخرج الولاة التي أحتفظ بها لإشعال الشموع بجانب الحوض. في غضون دقائق

قليلة تتحول الورقة إلى رماد. أغسل الحوض للتخلص من كل أثر قبل أن يتسبب الدخان في إطلاق أي إنذارات.

أدير مقبض الدش على أعلى درجة حرارة يمكنني تحملها، ثم أخلع ملابسني قبل أن أخطو تحت الماء المتدفق، في محاولة يائسة لغسل آثار الساعات الماضية.

هناك الكثير من الأسئلة التي تحتاج إلى إجابات.

هناك الكثير من المشاعر التي سأحتاج إلى غرْبَلَتِها. الغضب من الرجل الذي عملتُ معه طوال هذه السنوات، والذي انقلب ضدي بطريقة لم أكن أتخيلها أبدًا. خيبة الأمل التي اجتاحتني عندما أدركتُ أنه بنى لي هوية من البداية بهدف واحد فقط، وهو تدميري. المرارة التي شعرتُ بها عندما اكتشفت أنه خططُ لنهايتي منذ أول مُهمة كلفني بها. تجتاحني كل هذه المشاعر بقوة أكبر مما توقعت، وأشد مما كنت مستعدة لتحمله.

لكن ما يؤلمني أكثر من كل شيء هو موت تلك المرأة. جاءت وأدّت مهمتها. موتها ذنبي وحدي، وموت جيمس أيضًا. لو لم أَلعب تلك الألاعيب مع السيد سميث، لظَلَّت على قيد الحياة.

أفرك كل جزء من جسدي بعناية. أغسل شعري بالشامبو. أنظف وجهي. أي شيء لأشعر بالنقاء.

يجثم ثقل موتها على كتفي، يملأ رئتي، ويُغشي بصري.

يُصدر باب الحمام صوتَ صرير وهو يُفتح، مما يجعلني أقفز من مكاني، رغم أنني توقعت أن يدخل رايان ليطمئن عليّ بمجرد عودته من مكتبه.

غطى البخار الزجاج، فلا أستطيع تمييز ملامحه بوضوح حتى يفتح الباب. يظهر خطٌّ في مُنتصف جبينه وهو يحدق إلى وجهي. تعبيراته غامضة، لا أستطيع قراءتها. وعندما أظن أنه سيغادر، يخلع ملابس بهدوء وينضم إليّ. يأخذ اللوفة من يدي قبل أن يُديرني برفق نحو جدار الدش. يضع يده على وركي ليثبتني في مكاني، بينما يمرر اللوفة بيده الأخرى بحركات طويلة على ظهري وكتفي.

أستدير لأُدفن وجهي في صدره بينما يتساقط الماء حولنا. ثم أبدأ بالبكاء. وحالما أبدأ، لا أستطيع التوقف. شهقات عميقة، محطمة، تهزُّ كياني. يهمس رايان في أذني بكلماتٍ غير مترابطة، عبارات حلوة، ووعد. يتسلل صوته الناعم بين شقوقِ درعي.

لديَّ عشر دقائق للانتهاء. عشر دقائق للاستمتاع بالراحة التي يُقدمها لي، بغض النظر عمّا إذا كنتُ أستحقها أم لا. سأستغل هذه الدقائق العشر ثم أستعيد توازني.

عندما يفقد الماء دفئه، يُغلق رايان الدش، ثم بطريقةٍ ما يتمكن من إحضار المنشفة دون أن يتركني. أقفُ بلا حراكٍ بينما يجفّفني. يسألني بينما أرتدي بنطالاً ضيقاً وتي شيرت فضفاضاً: «هل ترغبين في الاستلقاء في الفراش؟ أم تفضلين تناول الطعام أولاً؟». أسأل: «ألا تزال راتشيل هنا؟».

يهزُّ رأسه بينما يُجفف نفسه بالمنشفة: «نعم، تشعر بالمسؤولية تجاهكِ. تخطط للبقاء على مقربةٍ منك حتى نصل إلى أتلانتا». آخذ نفساً عميقاً. ثم نفساً آخر.

- لا داعي لأن تذهب معي إلى أتلانتا. يهزُّ رايان كتفيه: «بالطبع سأذهب. لكننا لن نتحدث عن ذلك الليلة. سنضع خططنا غداً».

يبدأ ذهني بالفعل في استعراض السيناريوهات المُختلفة الآن بعد أن عرفتُ ما أنا مقبلة عليه. سأذهب إلى أتلانتا، ولكن بعد أن أمرَّ على بعض الأماكن أولاً.

يسألني: «ما الذي يدور في رأسكِ؟». لا يعجبني أنه يستطيع قراءتي بهذه السهولة. هذا يدلُّ على مدى تراخي حذري عندما يتعلق الأمر به.

- أفكر فيما سيسألونني عنه. وماذا سيفعلون إذا لم أتمكن من الإجابة على أسئلتهم.

يجذبني رايان إليه بقوة: «سأكون معك طوال الوقت، وكذلك راتشيل. نحن إلى جانبك. إذا كان هناك شيء واحد يمكنك أن تصدقيه، فصدقني هذا». أمسك يديه وأقربهما إلى شفتي، وأقبل كل مفصل.

- أنا جائعة، لكنني أحتاج إلى دقيقة لأستجمع نفسي.

يبتسم ويضغط على يدي: «سأذهب لأحضر بعض الطعام. اهبطي للأسفل عندما تكونين جاهزة».

يُغادر رايان الغرفة، وأستلقي على فراشنا.

انتهيتُ من الاستسلام للشفقة على نفسي، والآن حان وقتُ العمل.

الفصل الثامن عشر

اليوم الحالي

يريدني السيد سميث في أتلانتا بحلول بعد غد، وآخر شيءٍ أحتاج إليه هو أن ترافقني راتشيل إلى هناك.

أتوجه إلى الطابق السفلي لأجدها حوّلت غرفة الطعام إلى مكتبٍ صغير. حاسوبها المحمول موضوعٌ على طرف الطاولة، بينما تنتشر صناديق الملفات على طولها.

أسأل بدلاً من التحية: «أين رايان؟».

لا ترفع رأسها وهي تُرتب مجموعة من الملفات إلى جوار حاسوبها: «ذهب ليجلب الطعام».

أراقبها طويلاً بما يكفي لإزعاجها. تتوقف عمّا تفعله وتوجّه لي أخيراً كامل انتباهها، ثم تجلس على الكرسي في نهاية الطاولة وهي تقول: «علينا أن نكون في أتلانتا بحلول الساعة التاسعة صباحاً يوم الجمعة، لذلك نحتاج إلى المغادرة يوم الخميس. بحثتُ عن رحلات طيران، وهناك رحلةٌ مباشرة في الرابعة والنصف بعد الظهر. يمكننا أن نحجز غرفةً في أحد الفنادق القريبة من المطار. لنُخطط لقضاء اليوم وغداً في مُراجعة كل شيءٍ حتى نكون مستعدين».

أجلس على الكرسي المجاور لها، وأدفع الأوراق بعيدًا حتى أتمكن من الاستناد على الطاولة.

- سأقابلك في أتلانتا في الثامنة والنصف صباح الجمعة، لكن هناك بعض الأمور التي أحتاج إلى إنجازها أولاً. بمفردي. تهز راتشيل رأسها قبل أن أنهي جملتي: «أنا المسؤولة عنك. إذا لم تحضري، سأقع في ورطة. وبينما أعتقد أنك قادرة بكل سهولة -وسرور- على الاختفاء، فلن أبرح مكاني. حياتي كلها مرتبطة بهذا المكان». أجيّب بهدوء: «لن أفعل ذلك برايان».

تُدير عينيها بسخرية: «إنه لا يعرف حتى اسمك الحقيقي».

تحاول راتشيل إثارة غضبي، وهي على وشك النجاح.

- هذا الأمر ليس محلّ نقاش. أستطيع التملّص منك في أي لحظة ولن تلاحظي حتى ذلك. لكنني أتصرّف بلطف الآن وأخبرك أنني سأقابلك في أتلانتا يوم الجمعة. فقط أخبريني أين يجب أن أكون.

نحديق إلى بعضنا بعضًا، كل واحدة منّا تنتظر تراجع الأخرى. ينبئ صوت الباب الخلفي وهو يُفتح بوصول رايان مع الطعام، وأحتاج إلى أن أحسم هذا الأمر قبل أن يتدخل فيه.

- أعلم أن هذا قد لا يعني لك الكثير، لكنني أعدك بأنني سأكون هناك. وعندما أعد بشيء، لا أخلفه أبدًا.

تتنفس راتشيل بعمق: «ألا تعتقدين أننا بحاجة إلى قضاء بعض الوقت في مراجعة قضيتك؟».

أنا بحاجة إلى التحضير، لكن يجب أن يكون مع ديفون، وليس مع راتشيل. - لا، لا أعتقد.

يطلّ رايان برأسه إلى غرفة الطعام، ينقل نظره بيني وبين راتشيل سائلًا: «هل كل شيء على ما يرام هنا؟».

تُجيب راتشيل: «كل شيء على ما يرام».

أجيّب: «بالطبع».

يقول: «هلمَّ لتناول الطعام»، وتتبعه إلى المطبخ.

أُخرج الأطباق وأدوات المائدة بينما يُرتب رايان الطعام على طاولة المطبخ بشكلٍ يشبه البوفيه.

- أحضرتُ بعض الخيارات المُختلفة لأنني لم أكن متأكدًا ممَّا يريده الجميع.

في خضم التحضيرات لتناول الوجبة، تراقبنا راتشيل أنا ورايان من كُتب. تراقب كيف نتحرك في الغرفة، وكيف نكون دائمًا على درايةٍ بمكان الآخر. إنها متشككةٌ تجاهي، وأنا متأكدةٌ أن من الصعب عليها مشاهدتنا وهي تعرف ما تعرفه.

أضع كميةً كبيرة من دجاج البارميزان في طبقي عندما أتذكر أخيرًا أن رايان كان من المفترض أن يذهب إلى منزل عائلة برنارد اليوم.

- هل انزعجتُ السيدة برنارد لعدم حضوركَ اليوم؟

يأخذ رشفةً طويلة من زجاجة بيرة قبل أن يجيب: «اتصلتُ بها وأخبرتها أن ظرفًا طارئًا قد حدث ولن أتمكن من الحضور».

أجلس بجانبه إلى طاولة المطبخ.

- ستُقام جنازته هذا الأسبوع، لذا أعتقد أنك يجب أن تكون هنا من أجل ذلك بدلًا من مُرافقتي إلى أتلانتا.

- أخبرتُ عائلة برنارد بالفعل أنني لن أتمكن من الحضور بسبب ظرفٍ طارئٍ يستدعي مغادرتي للمدينة.

أهزُّ رأسي: «أنت حقًا بحاجة إلى حضور الجنازة. يمكننا أنا وراتشيل التعامل مع الأمور في أتلانتا».

يُلقي بشوكته على طبقه، ويتردد صداها في أرجاء المطبخ: «أعتقد أنني قادرٌ تمامًا على تحديد المكان الذي يجب أن أكون فيه».

نحن نقدم لرايتشل عرضًا ممتعًا، لذا أقرر تأجيل هذه المحادثة حتى نكون على انفرادٍ في غرفتنا. فهي تعرف بالفعل أنني أخطط لمغادرة هذا المنزل وحدي. أنظر إليها وأقول: «أعتقد أنك لا تمانعين عدم حضور الجنازة أيضًا؟».

تقول، ضاغطة على حرف الميم: «نعم. (ثم تردف): آخر مرة تحدثتُ فيها مع جيمس كانت قبل قرابة عامين، عندما اتصل بي متوسلاً للحصول على المال. أعطيته المال بشرط أن يحصل على المساعدة. حتى إنني حُجزت له مكاناً في مركز إعادة التأهيل. لكنه اختفى فوراً بعد حصوله على المال. كنت واحدةً من القلائل في مجموعتنا الذين لم يرونه عندما جاء إلى المدينة قبل بضعة أسابيع».

يغمغم رايان: «نعم، لديّ قرابة عشر قصصٍ تشبه قصتك».

نقضي باقي الوجبة في أحاديث عابرة لا معنى لها، وسرعان ما ننسحب إلى غرفتنا وتذهب راتشيل إلى الغرفة الاحتياطية في الطابق السفلي.

أقفُ في مُنتصف الغرفة، وأتنفس بعمق وببطء، محاولةً تهدئة نفسي. أقول لرايان وهو يُرتب سيرنا، دون أن يلاحظ أن أحداً ما رتبَ لنا بالفعل: «أحتاج إلى إنهاء بعض الأمور بمفردي. (تتغير ملامحه لتصبح أكثر حدة، لكنني أواصل الحديث) سألتقي راتشيل في أتلانتا. يمكنك الانضمام إليّ هناك إذا أردت».

يراقبني رايان وهو يخلع ملابسه ويجلس على الفراش.

- لا أريد التحدث أكثر اليوم.

يمسك بالغطاء، ويدعوني للانضمام إليه.

وجب عليّ أن أضغط عليه أكثر، لكنني أشعر أيضاً بأنني اكتفيتُ من الكلام، لذا أطفئ الأنوار وأستلقي بجانبه.

أجلس إلى طاولة المطبخ، ودفتر ملاحظاتي مفتوحٌ أمامي، عندما تدخل راتشيل. أسحب الورقتين اللتين كنت أكتب عليهما، وأطويهما حتى تصبحا صغيرتين بما يكفي لتناسب الجيب الخلفي لبنطالي الجينز، ثم أضع الدفتر في حقيبتي قبل أن أتجه إلى ماكينة القهوة لأملأ كوبِي الحراري.

تسأل راتشيل: «أين الأكواب؟».

أشير برأسي نحو الخزانة فوق الماكينة. تتجه ببطء لتأخذ واحداً.

- هل ستغادرين هذا الصباح؟

أنظر إلى الساعة وأجيب: «في غضون ساعة». أتصفح إنستجرام على هاتفي وأتوقف عند أحدث منشور من قناة «فوود نيتوورك» يظهر فيه بوبي فلاي وهو واقف أمام الشواية بابتسامته الشهيرة المتعجرفة. أعلق: برنامج اهزم بوبي فلاي هو برنامجي المفضل رقم واحد!! الفوز عليه خلال 45 دقيقة أمرٌ مستحيل! #كل_وصفة_جيدة_مكتوبة.

عادةً، كنت سأمنح ديفون أكثر من خمس وأربعين دقيقة للوصول إلى المكان الأول في القائمة المحددة مسبقًا، ولكن بعد أحداث الأمس، أنا متأكدة من أنه يحدث صفحته كل بضع دقائق مثلي تمامًا. الهاشتاج لن يكون له معنى لأي شخص سوى ديفون، لأنني بحاجة إلى أن يعرف أن لدي شيئًا لأعطيه إياه، حتى يتمكن من إخباري بالمكان الذي أتركه فيه.

تضيف راتشيل كيسًا من السكر وبعض الكريمة إلى قهوتها، ثم تستدير نحوي بينما تخلطهما معًا: «هل يعلم رايان؟».

أقول وأنا أواصل التقلب في هاتفي، وأحدث صفحتي: «نعم، يعلم». لا يستغرق الأمر سوى بضع دقائق حتى يترك ديفون تعليقًا على آخر منشور لسبوتيفاي: لا تحظى أغنية أراك قريبًا لفرقة كولديلاي بالتقدير الكافي #توينيكيز_أيضًا.

يبدو أنني سأبحث عن حلوى التوينيكيز عندما أصل إلى مكان اللقاء. أغلق التطبيق وأتجه بسرعة إلى الطابق العلوي لأجهز حقيبتني. ألقى ببعض الملابس في الحقيبة، ثم أذهب إلى الحمام لجمع مستلزمات العناية الشخصية. عندما أعود إلى غرفة النوم، أجد حقيبة رايان الخاصة به مفتوحة وشبه ممتلئة على السرير.

يسأل: «هل تعتقدين أنني سأحتاج إلى بذلة؟».

ألقي بالأشياء التي كانت في يدي في حقيبتني قبل أن أتحرك باتجاه الخزانة لأخذ حذائي.

- أنا بحاجة إلى فعل ذلك بمفردي.

لا أستطيع أن أنظر إليه.

- أفهم أنكِ تظنين أن عليكِ فعل ذلك بمفردكِ، لكنكِ لم تعودي وحيدة بعد الآن. (تلتقي أعيننا عبر السرير) سأذهب معكِ.
- أبادله النظرات.
- لكن ستفوتكِ مواعيد العمل يوم الخميس، وأعلم مدى أهمية تلك المواعيد بالنسبة لكِ.
- أضغط عليه الآن لأرى إذا بإمكانني أن أزعزع موقفه.
- يميل برأسه قليلاً جانباً، ويضيق عينيه.
- أنا على استعدادٍ لإخباركِ بأسراري إذا كنتِ مستعدة لإخباري بأسراركِ. (صوته عميق ويحمل نبرةً مقلقة بعض الشيء) ابدئي أولاً.
- يظهر عليه جانبٌ من الرجل الذي كان يسيطر ساحة المستودع.
- أكتفي بعقد ذراعيَّ والنظر إليه.
- يرفع رايان يديه في الهواء عندما لا أقبل عرضه.
- لن أطرح أي أسئلة. لا أخاف بسهولة. وأنا حقاً لا أريدكِ أن تفعلني ما تعتقدين أنكِ بحاجة إلى فعله بمفردكِ. (نستمر في التحديق في بعضنا حتى يُضيف أخيراً): وبالإضافة إلى ذلك، قد تكون مهاراتي مفيدةً عند الحاجة.
- وها هي تلك الابتسامة التي تُضفي عليه سحرًا لا يقاوم.
- ورغم أنني اعتقدت أن الابتسام أمرٌ مستحيل في هذه اللحظة، فإنني أبادله الابتسامة.
- وما هي تلك المهارات؟
- يهزُّ كتفيه ويواصل حزم أمتعته.
- اصحبيني معكِ واكتشفي بنفسكِ.
- أنا في حيرة ممّا يجب فعله بشأن رايان. اختار السيد سميث أن هذه هي المهمة التي يجب أن أكون فيها بينما نخوض تلك اللعبة المروعة، وأحتاج إلى معرفة السبب.

يتوقع السيد سميث أن أذهب وحدي. حتى هذه اللحظة، رغبتُ في أن أكون متوقعة بنسبة 100%، والآن أحتاج إلى أن أكون عكس ذلك تمامًا. بالإضافة إلى ذلك، يُصرُّ رايان بشدة على مرافقتي رغم أنه سيفوّت جنازة جيمس وأسبوعًا من العمل. هذا الأمر يثير فضولي للغاية.

أطلق زفرة عميقة وأتظاهر بالاستسلام.

- سأأخذ جميع القرارات. إذا احتجتُ إلى الابتعاد لإنجاز شيءٍ بمفردي، فلن تعترض. ولا حتى بكلمة واحدة.

يهزُّ رأسه بالموافقة. يقول بابتسامةٍ ماكرة: «ولا تفكري حتى في التخلي عني على الطريق. أستطيع قراءة ذلك بوضوحٍ على ملامحك». كلانا يعرف أن هذا خيارًا مطروحًا دائمًا.

تغضب راتشيل فور علمها بأن رايان سيرافقني بينما هي لن تتمكن من ذلك.

أضع حقائبنا في الجزء الخلفي من سيارتي الفوررنر، بينما يقف رايان بالقرب من المنزل في نقاشٍ مُحْتَدِمٍ مع راتشيل. أغلق الباب الخلفي وألقي نظرة أخيرة على الشارع، أحفر تفاصيله في ذاكرتي. سأفتقد هذا المكان أكثر مما أرغب في الاعتراف به.

أجلس خلف عجلة القيادة، منتظرًا رايان. عندما يسمع صوت المحرك، يلتفت نحوي من فوق كتفيه. تحاول راتشيل الإمساك به عندما يتجه نحو السيارة. إنها تعلم أشياء عني لا يعلمها هو، أشياء لا تستطيع أن تخبره بها نظرًا إلى اتفاقية حماية السرية بين المحامي والموكل، وهي في حالةٍ من الذعر تحاول جاهدة منعه من مرافقتي.

لكنه لا يأبه بكلامها.

يجلس على المقعد الأمامي بجانبني، ثم يفتح النافذة عندما تقترب راتشيل من جانبه. أراد منّا أن نأخذ سيارته التاهو، لكن هذه خطتي، وإذا قررتُ التخلي عنه في مكانٍ ما على الطريق، سأحتاج إلى سيارتي.

توجه إليّ راتشيل نظرةً لا تروق لي، ثم تركّز انتباهها عليه: «أنا لا أمزح، يا رايان. يجب أن تكونا في أتلانتا في موعدٍ أقصاه الثامنة والنصف صباح الجمعة. أعملُ على ترتيب لقاءٍ مع المحققين في مكانٍ آخر غير مركز الشرطة، وحالما يتم تأكيد ذلك، سأخبرك بالمكان».

يرد عليها: «ذكرت كل هذا عدّة مرات». ثم يسند رأسه إلى مسند المقعد، وعينه اثنتان على الزجاج الأمامي. تمسك راتشيل بإطار النافذة المفتوحة كأنها تحاول جسدياً منعنا من الانطلاق.

أتحرك بتوتر في مقعدي، مستعدة للانطلاق. أنا لست جيدة في توديع الناس. على الإطلاق.

يبدو أن رايان يشعر بعدم ارتياحي، فيومئ لي برأسه، فأضع السيارة في وضع الرجوع إلى الخلف، وأحرر الفرامل ببطء، فتضطر راتشيل إلى سحب يديها والتراجع خطوة إلى الوراء. يقول لها بينما نبدأ في التحرك ببطء: «سأصل بك. ولا تتفاجئي إذا اضطررت إلى القدوم لاصطحابي بعد أن تتركني في مكانٍ ما».

من الواضح أنها لا تجد مزحته مضحكة.

حالما يُغلق النافذة ونحن في طريقنا أمام منزله، يسأل: «هل تريدني مني حجز فندق في أتلانتا؟ أعني، أعتقد أن هذا هو المكان الذي نتجه إليه».

أجيب: «توليت الأمر».

أخرج من الحي إلى أحد الشوارع المُزدحمة التي تمر عبر المدينة، ثم أتوقف عند محطة وقود.

- هل يمكنك تزويد السيارة بالوقود بينما أذهب لشراء بعض الوجبات الخفيفة للطريق؟

يخرج من السيارة قبل أن أنهي سؤالِي.

يقول قبل أن أدخل إلى المتجر: «أحضري لي زجاجة كولا وبعض رقائق البطاطس. نكهة الشواء».

أمشي في ممر الوجبات الخفيفة، وألتقط بعض أكياس رقائق البطاطس المختلفة وكيّساً من حلوى «إم أند إمز» بنكهة زبدة الفول السوداني، ثم

ألاحظ ديفون يملأ كوبًا من ماكينة المشروبات. أسحب الورقة المطوية من جيب الخلفي وأدسُّها تحت علبة التوينكيز. بينما أنا في طريقي للدفع عند الصندوق، يتجه ديفون إلى ممر الوجبات الخفيفة ليأخذ الرسالة المكتوبة بخط اليد، التي ستُطلعه على ما حدث بالأمس وتفاصيل الخطة التي وضعتها. قد لا تكون أفضل وسيلة للتواصل، لكنها قديمة بما يكفي لأضمن عدم اختراقها. إذا سارت الأمور كما هي مخطط لها، سألتقيه شخصيًا قريبًا.

عندما أعود إلى السيارة، أجلس في المقعد الأمامي. ينظر إليَّ رايان من خلال نافذة السائق المفتوحة بينما لا يزال يضخُ الوقود: «أعتقد أنك تريدني أن أقود الآن؟».

أجيب بينما أرتشف من زجاجة د. بيبير دايت: «نعم، من فضلك».

يقول بعد أن يعود إلى السيارة: «ستحتاجين إلى إخباري بالاتجاهات إذا كنتُ أنا من سيقود».

- انطلق إلى الطريق السريع واتجه شرقًا.

نقود لفترةٍ دون أن نتبادل كلمة. السيارة هادئة. لا موسيقى، ولا حديث يدور بيننا. فقط توجيهات عند الحاجة.

تصبح الأرض أكثر استواءً ونحن نتجه نحو دلتا المسيسيبي، حيث لا يوجد شيء سوى حقول المحاصيل الممتدة على مد البصر. نترك الطريق السريع الرئيسي، ونسلك الطرق الخلفية التي تمر عبر البلدات الصغيرة التي تظهر كل ساعة تقريبًا. تلك البلدات التي ينخفض فيها الحد الأقصى للسرعة من خمسة وخمسين إلى خمسة وثلاثين دون تحذير يُذكر، ممَّا يفاجئ السائق ويجعله فريسة سهلة للفضاخ المرورية التي تدر الإيرادات التي تعتمد عليها تلك البلدات.

نتوقف مرة أخرى لنزود السيارة بالوقود، ويصرُّ رايان على دفع ثمنه، فأصرُّ على أن يدفع نقدًا. يُخرج محفظةً منتفخة ممتلئة بأوراق نقدية من فئة العشرين دولارًا، ممَّا يوضح لي أنه كان أكثر استعدادًا لهذه الرحلة ممَّا ظننت، وأذكر نفسي حينها أنه ليس أقل غموضًا مني.

أقول عندما نعود إلى الطريق: «أنا آسفة لأنك ستفوت جنازة جيمس».

يُطلق تنهيدةً عميقة: «وأنا أيضًا. (لا أعتقد أنه سيقول شيئاً آخر حتى يُضيف): قضيتُ سنواتٍ أساعد جيمس... أنقذه. أعطيته المال، والملابس، ومكاناً للإقامة. أدخلته مراكز إعادة التأهيل أكثر من مرة. كنتُ عكازه الذي يعتمد عليه. كان يعلم أنني سأكون موجوداً دائماً لإنقاذه. فلماذا يكلف نفسه عناء إصلاح حياته إذا كان هناك دائماً شخصٌ ينقذه؟».

تمرُّ بضع دقائق قبل أن أقول: «أنا لا أحتاج إلى إنقاذ».

يلتفت برأسه نحوي بسرعة، وينظر إليّ بينما أحرق إلى الأمام، ثم يُعيد تركيزه على الطريق: «أعلم ذلك. هناك أشياء قد تحتاجين إليها، لكن الإنقاذ ليس واحداً منها».

يجعلني ذلك أرغب في طرح الأسئلة. الكثير من الأسئلة. لكنه كان واضحاً؛ سيكشف لي عن أسرارهِ إذا كشفتُ له عن أسراري أولاً. لذلك، بدلاً من طرح الأسئلة، أقول: «بعد ميلين، عليك أن تتجه يساراً».

الاسم المستعار: ويندي والاس-قبل ست سنوات

أُحِبُّ هذه البلدة الصغيرة. في حياةٍ أخرى، كنت سأكمل دراستي الثانوية وأتوجه مباشرةً إلى هنا للالتحاق بالجامعة. كنت سأحضر كل الفعاليات الرياضية والعروض المسرحية والمعارض الفنية. كنت سأقضي فترات الاستراحة بين الحصص في الساحة العامة، حيث أشكو مع زملائي الطلاب من ظلم الأستاذ في تصحيح الامتحان الأخير.

لكنني لا أعيش تلك الحياة.

مكثتُ في ذلك الفندق القريب من مطار رالي لمدة يومٍ واحد فقط قبل أن يأتي أحدهم ويطرق الباب. عندما فتحته، وجدت رجلًا يرتدي زيَّ شركة «يو بي إس» واقفًا على الجانب الآخر. لكن بعد أن نظرتُ من كثب، أدركت أنه الرجل نفسه الذي سلَّم لي آخر مجموعةٍ من التعليمات من مات.

قلت: «أنت جورج، أليس كذلك؟».

بدا عليه الارتباك. سأل: «عذرًا، مَنْ؟».

أشرتُ إلى رقعةٍ على تي شيرتي حيث من المفترض أن تكون هناك شارة اسمٍ لو كنت أرتدي واحدة.

- جورج. كُتِبَ هذا الاسم على زيك في الفندق في هيلتون هيد. (بدا

متفاجئًا من أنني أتذكر ذلك) لكنني أُخمن أن هذا ليس اسمك الحقيقي.

ناولني طردًا بنياً عادياً دون عنوان أو مُلصق شحن وقال: «لا، ليس كذلك».

كنت متأكدة أنه ليس من المفترض أن يتحدث معي، بل اقتصر دوره فقط على تسليم الأشياء.

- هل ستخبرني باسمك الحقيقي أم أستمُرُ في مناداتك بجورج؟
- هزَّ كتفيه بلا مبالاة: «لا بأس بجورج، على ما أعتقد».
- حسنًا، جورج إذاً.

بدأ في الابتعاد، لكنه توقف عندما سألته: «هل سترافقني إلى فلوريدا؟ أم لديك تسليماتُ أخرى لتقوم بها؟».

هزَّ كتفيه مرة أخرى: «ستضطرين إلى الانتظار لمعرفة ذلك».

ثم غادر.

مزقْتُ الطرد لأجد داخله رخصة قيادة صادرة من فلوريدا باسم ويندي والاس، بالإضافة إلى ورقةٍ تحتوي على عنوان متجر للشحن والحاويات، بما في ذلك رقم صندوق البريد، واسم مجمع سكني ورقم الوحدة. كان هناك أيضًا مفتاحان في سلسلة مفاتيح، أحدهما أكبر بكثير من الآخر. وأخيرًا، كانت هناك صورة لرجل في مُنتصف أو أواخر الثلاثينيات. كُتب على ظهر الصورة اسمه، ميتش كامبيرون، وجملته «اعرفني كل شيء عنه».

وجدتُ ميتش كامبيرون على الفور. الجميع يعرف ميتش كامبيرون، فهو مُدرب كرة القدم الرئيسي في إحدى الجامعات بوسط فلوريدا. ميتش محبوب ومكروه بالقدر نفسه.

يبلغ ميتش من العمر سبعة وثلاثين عامًا، ومتزوج من ميندي منذ عشر سنوات. ميتش وميندي. يا لهما من اسمين رائعين معًا. ميتش أبٌّ لطفلين صغيرين، صبيٌّ يُدعى ميتش جونيور، وفتاة تُدعى ماتيلدا. هذه العائلة بأكملها تبدأ بحرف الميم.

لم يستغرق الأمر سوى أربعة أيام لأعرف كل شيء عن ميتش وحياته اليومية، رغم أنني لم أستطع، مهما حاولت، أن أفهم السبب وراء استهداف مُدرب كرة قدم جامعي. لا أُخبر قط بهُوية العميل، لكنني متشوقة لمعرفة ما يجري مع ميتش لدرجة استدعاء خدمات السيد سميث.

ركبت دراجتي كل يوم من هذا الأسبوع إلى ملعب التدريب لأراقبه في أثناء العمل. اليوم، فرشتُ بساطًا وجلستُ عليه، وأحطتُ نفسي بالكتب الدراسية، تمامًا كما يفعل نصف دزينة من الطلاب الآخرين الذين يدرسون في الخارج

في فترة ما بعد الظهر الخريفية، حيث تُحوّل شمس فلوريدا بشرتي إلى لون برونزي رائع. لم أقض هذا القدر من الوقت في الهواء الطلق من قبل.

يبدو أن ميتش محبوبٌ من لاعبيه. إنه صارم معهم لكنه يشجعهم أيضًا، ولا يتردد في مدحهم عندما يبذلون جهدًا كبيرًا. وكما أفعل كل يوم، عندما ينتهي التدريب ويرسل ميتش لاعبيه إلى الحِمَّامات، أحزم أمتعتي وأتجه إلى مركز الطرود لتفقد صندوق البريد. كان فارغًا في كل مرة تحققتُ فيها حتى الآن، لكن اليوم أشعر أنني سأكون محظوظة.

أطلقت صرخة صغيرة من الإثارة عندما رأيت الظرف الصغير داخل صندوق البريد. أخيرًا! أدسّه في حزام سروالي وأغطيه بقميصي، وأغادر المتجر بأسرع ما يمكن.

لا أفتحه حتى أصل إلى شَقَّتِي.

داخل الظرف وجدت ورقة واحدة تحتوي على خمسة أسماء، بجانب كل منها تاريخ ووقت.

لم أحتج سوى البحث عن اسمين على جوجل حتى ألاحظ النمط. كل شخصٍ في هذه القائمة هو طالبٌ في السنة الأخيرة من المدرسة الثانوية، يعيش في نطاق ستين ميلًا من الجامعة، وحَقَّق مسيرة كروية باهرة حتى الآن. وهناك تكهنات حول المكان الذي سينتهي بهم المطاف للعب فيه في الخريف المقبل.

في البداية، بدا لي هذا الأمر سخيفًا. لماذا أنا هنا؟ لأراقب مُدرب كرة قدم وعددًا من الفتيان البالغين من العمر ثمانية عشر عامًا؟

أغوص بعمقٍ في عالم كرة القدم في المدارس الثانوية والجامعات. وأدرك المليارات التي تجنيها الجامعات على حساب هؤلاء اللاعبين قبل أن ينتقلوا إلى الاحتراف، إذا كانوا محظوظين بما يكفي للوصول إلى ذلك المستوى. إنها تجارةٌ ضخمة.

كما أن هناك الكثير من الأحاديث عن اللاعبين الذين يتلقون أموالًا تحت الطاولة لاختيار جامعةٍ معينة على حساب أخرى؛ قصصٌ عن رجال يحملون حقائب مليئة بالنقود ويسلمونها في وقتٍ متأخر من الليل ويتواصلون عبر

هواتف غير قابلة للتتبع. والأكثر إثارة للدهشة إنهم المتبرعون للجامعات، وهم غالبًا من كبار السن، الذين ينفقون أموالًا طائلة على أمل أن تفوز جامعتهم ببطولة. إنهم يضخّون الأموال في البرامج الرياضية ويتوقعون نتائج، وإذا لم يحصلوا عليها، يتوقف تدفق الأموال. يُطرح هنا السؤال الحقيقي: مَنْ يدير هذه البرامج بالفعل؟ هل هو مدير الأنشطة الرياضية في المدرسة أم قلة من الأثرياء الذين يكتبون الشيكات؟ كل ما عليك فعله هو البحث عن «تي بون بيكنز» و«جامعة ولاية أوكلاهوما» في جوجل لتفهم الصورة العامة.

توجد حملة كبيرة لتغيير القواعد والسماح للرياضيين الجامعيين بتحقيق أرباح من أسمائهم وصورهم. في الواقع، يعتقد معظم الأشخاص في هذا المجال أن الرابطة الوطنية لرياضة الجامعات ستسمح للطلاب الرياضيين بقبول التعاقدات بحلول عام 2020 أو 2021، ولكن في الوقت الحالي، هذا ممنوعٌ تمامًا. إذا اكتُشف أن إحدى الجامعات تدفع أموالًا للاعبين، فستتعرض لغرامات مالية كبيرة وقد تخسر حتى فرص المشاركة في مباريات البطولة في نهاية الموسم، ممّا يعوق جهودها في استقطاب اللاعبين. ولكن العقوبة الأسوأ تقع على اللاعب نفسه. يفقد أهليّته للعب في أي مكان.

في المهام الأخيرة، استغلّلت هذا الوقت الفاصل بين جمع المعلومات والانتظار للحصول على تعليمات دقيقة، لمحاولة تخمين السبب الذي استأجرنا العميل من أجله.

نظرًا إلى أنني حصلت على أسماء اللاعبين المُحتملين، أعتقد أنهم يلعبون دورًا في هذا الأمر بطريقةٍ ما. هل يستخدم ميتش أساليب غير مشروعة لتجنيد اللاعبين؟ هل العميل هو جامعةٌ مُنافسة تريد إيقاع برنامج ميتش في المشكلات؟ أركز على التواريخ والأسماء. أرسم خريطةً لمكان إقامة كل لاعب، أدرس أداءهم وإحصاءاتهم، وأتفحص حساباتهم على وسائل التواصل الاجتماعي. خمسة أسماء. خمسة تواريخ. أول موعدٍ سيكون بعد أسبوع. سأحتاج إلى بعض المعدّات التقنية والمساعدة في تركيبها، لذا أتبع الخطوات التي وضعها ديفون وأطلب منه المجيء إلى فلوريدا.

خططتُ لمراقبة ميتش كاميرون في أثناء محاولته استقطاب هؤلاء اللاعبين، لكنني لم أتوقع أن أرى مُدربين من جامعاتٍ أخرى يزورونهم أيضًا. هؤلاء اللاعبون هم الأفضل في منطقتهم، والجميع يريدهم. وعلى الرغم من أن الجامعة التي يدرّب فيها ميتش تُعتبر جيدة، فإن هناك جامعتين أكبر وأفضل على مقربة، ممّا يجعل المنافسة قوية.

كان دخول منازل كل لاعب وتثبيت المعدات بمجرد وصول ديفون مع الأدوات التي نحتاج إليها أسهل ممّا توقعت. تقع جميع منازلهم في أحياء فقيرة، حيث لا يوجد تقريبًا أي نوعٍ من الحماية الأمنية. من الصعب تجاهل حجم الأموال التي تعتمد عليها الجامعات لتحقيق موسم رياضي ناجح، بينما يُحظر على هؤلاء الفتيان حتى قبول وجبة عشاء مدفوعة من أي جهة مُرتبطة بالجامعة. يبدو أمرًا غير عادلٍ.

بعد أسبوعٍ من التجسّس على هؤلاء اللاعبين، أجد ملاحظةً جديدة في صندوق البريد.

يجب تسليم جميع التسجيلات والفيديوهات والصور الخاصة بالأشخاص الواردة أسماؤهم في القائمة السابقة، والتي توثّق الاجتماعات أو المحادثات أو النقاشات (حتى النقاشات بين أفراد الأسرة) المتعلقة بأي برنامج لكرة القدم. سيصل مندوبٌ إلى شقتك كل ليلة في الساعة 10 مساءً لاستلامها. لا تتركها في صندوق البريد.

علمتُ أن السيد سميث سيقابني من كثب، لكنني لم أدرك مدى قرب تلك المراقبة. هذا أيضًا يُعزّز فرضية أن العميل ينتمي إلى جامعة مُنافسة. لا يريد السيد سميث فقط المحادثات بين اللاعبين وميتش، بل يريد أيضًا محادثاتهم مع جميع المُدربين. ولكن المدربين ليسوا الوحيدين الذين يأتون للتحدّث مع هؤلاء اللاعبين.

يتضح سريعًا أن اللاعب الأكثر قيمة هو تايرون نيكولز.

يعيش تايرون في واحدةٍ من أفقر المُجتمعات الأفريقية في المدينة نفسها التي تقع فيها الجامعة. يتكون منزله من ثلاث غرف نوم صغيرة وحمّام ضيق، لكنه يأوي تايرون، ووالديه، وجدته، وخمسة أشقاء أصغر منه. يعمل والداه لساعاتٍ طويلة بينما تتولى الجدة رعاية الأطفال الذين لم يلتحقوا بعد بالمدرسة. من الواضح أن والديه لا يعرفان كيف يتعاملان مع كل هذا الاهتمام الذي يتلقاه تايرون.

لكن تايرون ذكي. رغم العروض المالية التي عُرضت عليه، فإنه لم يقبل أيًا منها. لأنه يدرك أن لديه الكثير ليخسره. إذا فقد أهليّته للعب، فلن يتمكن من اللعب. وفرصته للوصول إلى الدوري الوطني لكرة القدم الأمريكية حيث سيحصل على المقابل المادي الذي يستحقه، شبه معدومة إذا لم يُحقق مسيرةً ناجحة في كرة القدم الجامعية أولاً.

أراقب عبر شاشتي الصغيرة عندما يظهر رجال يرتدون قمصانًا مكوية أمام باب تايرون. ألاحظ كيف يتعامل معهم، ثم أستمع لاحقًا إلى المحادثات التي يجريها مع شقيقه، الذي يصغره بعامٍ واحد، حول العروض المُقدمة له. بحلول الأسبوع الثاني، أشعر بالإرهاق. على الرغم من أنني أقسّم العمل بيني وبين ديفون ونتعاون في إنجازه، فإن مراجعة اللقطات من المواقع الخمسة تستغرق منّا اليوم بأكمله، حيث نعمل على فصل الأجزاء المهمة قبل أن يطرق جورج بابي مرتدياً زيّ شركة «يو بي إس».

الجانب الإيجابي الوحيد هو أن جورج أصبح أكثر ودًا معي. في أول مرة أو مرتين تعامل معي بطريقةٍ رسميّةٍ بحتة، لكن الآن يقف عند بابي لفترة أطول ويدردش قليلًا. حتى إنني قدّمْتُ له بعض شرائح البيتزا الليلية الماضية ليأخذها معه في الطريق، لأنه بدا مرهقًا مثلنا. يجعلني ذلك أتساءل عن مدى حجم المنطقة التي يغطيها يوميًا إذا كان عليه العودة إلى هنا كل ليلة.

بينما تمكّنّا من جمع بعض المعلومات المُشينة عن بعض المدربين الآخرين، لم يتجاوز ميتش كاميرون حدوده في أي من اجتماعاته مع اللاعبين المحتملين. كان صريحًا بشأن رغبته في انضمامهم إلى فريقه، مهذبًا مع العائلات، ويمتدح أي طعامٍ أو شرابٍ يُقدّم له. إنه الضيف المثالي.

تراودني ذكريات عن تجربتي مع أندرو مارشال، ويغمرنني شعورٌ غريب بالقلق حيال ما قد يُطلب مني فعله.

أنا جاهزةٌ لاكتشاف حقيقة هذه المهمة.

بعد يومٍ طويل آخر من مُشاهدة الفيديوهات، أضع محرك الأقراص في ظرف وألقي نظرةً على الساعة. من المفترض أن يصل جورج في أي لحظة. منذ أن رأى ديفون آخر مجموعةٍ من التعليمات، لم يعد يأتي إلى هذه الشقة على الإطلاق، لأنه لا يرتاح لفكرة وجود جورج بالجوار. لذا اضطررتُ إلى إضافة رحلةٍ يومية للحصول على ما سجله. تتغير أماكن لقاءاتنا يوميًا.

تعلن نقرتان سريعتان على الباب عن وصوله.

أقول وأنا أسلمه الطرد الصغير: «مرحبًا، يا جورج».

يتجدد جبينه: «لا تبدين بحالةٍ جيدة».

أدير عيني: «دائمًا ما تجيد المجاملة. اقضِ يومك في مُشاهدة فيديوهات المراقبة طوال اليوم ودعني أرى كيف ستبدو حينها».

يسلمني مظروفًا بنياً.

- لديّ شيءٌ لك الليلة. فكرت في أن أوفر عليكِ رحلةً إلى صندوق البريد بما أنني مضطر إلى المرور من هنا على أي حال. فقط لا تشي بي لأحد.

ترتسم ملامح الارتياح على وجهي.

- أخيرًا. ولا تقلق، سرك في أمانٍ معي.

أستعد لفتح المظروف على الفور، لكنني ألاحظ أن جورج لا يزال واقفًا في الممر.

- هل هناك شيءٌ آخر؟

يهزُّ رأسه مرةً واحدة، ثم يقول بصوتٍ خافت يكاد يكون همسًا: «بما أن هذه أول مهمة تتعاملين فيها معه مباشرةً، إذا شعرت أنها اختبار، فهي كذلك».

أنظر إليه بعينين مفتوحتين على اتساعهما، أرجوه بصمتٍ أن يُخبرني المزيد. لكنه يختفي بعد تلك الكلمات الغامضة.
لا أستطيع فتح المظروف بالسرعة الكافية.

يجب إزاحة كاميرون عن منصبه دون أي تبعاتٍ سلبية
عليه ماليًا أو علنيًا، أو على الجامعة أو البرنامج أو أي فرص
مستقبلية. لا فضائح.

تشكّلت في ذهني الكثير من النظريات حول ما قد يُطلب مني فعله، لكن
هذا لم يكن ضمن أفضل عشرة احتمالات. ورغم أن النتيجة المرجوة والمعايير
واضحة للغاية، فإن هذه التعليمات لا تزال تبدو غامضةً إلى حدٍّ كبير.
إذا شعرت أنها اختبار، فهي كذلك.
حسنًا، ها نحن على وشك البدء.

استغرق الأمر مني بضعة أيام لأستعرض خياراتي وأوازن بين فرص
النجاح والأخطار المُحتملة التي قد تنجم عن كسر إحدى القواعد التي وضعها
السيد سميث.

لا يمكنني تحميل مواد إباحية تخص القُصّر على حاسوب ميتش لابتزازه
كي يستقيل، لأن ذلك قد يؤدي إلى فضيحة، ولا يوجد ضمان بألا يحدث ذلك.
بالإضافة إلى أنه إذا استقال، فسيخسر ما تبقى من عقده -ستة ملايين دولار-
وهذا سيضره ماليًا.

قد يؤدي ابتزاز إلى النتيجة نفسها، وابتزاز أي عضوٍ من الجامعة
سيُعرضهم للفضيحة ويضرهم ماليًا أيضًا، لأنهم سيضطرون إلى دفع قيمة
عقده.

أشعر بأنني مُحاصرة.
وأشعر بأنني سَأفشل في هذا الاختبار.

الشيء الوحيد الذي يمكنني فعله هو العودة إلى نقطة البداية. لن يضعني في موقفٍ يجعلني أفشل تمامًا، لذا لا بدّ أنني أغفلت شيئًا. يريدني أن أثبت جدارتي، لذا هناك بالتأكيد طريقة لإتمام هذه المهمة، عليّ فقط اكتشافها.

يبدو معرض سيارات فورد لامعًا وجديدًا؛ الغرفة الرئيسية عبارة عن مساحة كبيرة مفتوحة مليئة بالزجاج والكروم. يحوم موظفو المبيعات حول الأبواب الأمامية مثل أسماك القرش، لكنني أشقُّ طريقي دون أن أبطئ خطوتي أو أن أتبادل النظر مع أيٍّ منهم.

تقف شابةٌ شقراء خلف مكتب الاستقبال، تنظر إليّ بسرعة من الأعلى إلى الأسفل، ثم ترسم على وجهها ابتسامة عريضة.

- مرحبًا بك في ساذرن فورد! كيف يمكنني مساعدتك؟

- أحتاج إلى التحدُّث مع فيل روبنسون.

- لست متأكدة ممّا إذا كان متاحًا...

- أعطيه هذا.

أضع ظرفًا أبيض على المنضدة أمامها.

يملك فيل خمسة معارض فورد منتشرة في جميع أنحاء وسط فلوريدا، لكنه يحتفظ بمكتبه الرئيسي في هذا الموقع.

لا تستغرق موظفة الاستقبال سوى لحظات حتى تعود وتقودني إلى مكتبه. يُقابلنا فيل عند الباب، وعيناه تجوبانني من أسفل قدميّ حتى قمة رأسي. أمدّه بالتفاصيل التي أريده أن يلاحظها ويتذكرها. ملابسني أنيقة، لكن دون مبالغة. تبدو سترتي كأنها فُصِّلَت خصيصًا لي، لكن تنورتي من الواضح أنها جاهزة. أرتدي مجوهراتٍ قليلة ولكنها ذات ذوقٍ رفيع. شعري مرفوعٌ للخلف، والمكياج أثقل ممّا أعتاد وضعه. أبدو كأنني في الثلاثين من عمري.

أمد يدي نحو فيل في أثناء اقترابي منه، ويتردد للحظة أو اثنتين قبل أن يستجيب.

أقول ونحن نتصافح: «سيد روبنسون، أشرك على مُقابلتي».

يشير لي بالدخول إلى مكتبه، فألقي نظرة سريعة على الغرفة. يتضح أنه من كبار المعجبين والداعمين للجامعة. تنتشر في أرجاء الغرفة قمصان مؤطرة وكُرات مباريات، وصور مع اللاعبين والمُدربين، بما في ذلك ميتش كاميرون. يجلس فيل في كرسيه خلف مكتبه بينما يشير لي لأجلس على الكرسي المُقابل.

يسأل وهو يفتح الظرف ويُخرج الصورة التي تُظهر رزمًا من النقود موضوعة على طرف شاحنة فورд مع مُلصق يحمل شعار معرضه على الزجاج الخلفية: «ما معنى هذا؟».

لا مجال للمُقدمات.

- أنا هنا بخصوص روجر ماكبين.

يظهر الارتباك على وجه فيل، لكن احمرارًا يتسرب تحت ياقة قميصه الأبيض المكوي.

- لا أعرف أي شخص يُدعى روجر ماكبين.

أعقد حاجبيّ كأنني أصدقه وأشعر ببعض الارتباك، ثم أخرج المزيد من الصور. صور تُظهر فيل وروجر معًا.

- هم، تبدو أن مُقربين للغاية هنا.

ثم أضع جهاز الآيباد على المكتب بحيث يكون مواجهًا له. أضغط على زر تشغيل الفيديو. إنه تسجيلٌ لعشاء يجمع بين فيل وروجر ومجموعة من المُتبرعين الكبار، يناقشون أي اللاعبين المُحتملين في المدارس الثانوية يريدون أن يتواصل معهم روجر، والمبالغ المالية التي سيعرضونها على كلٍّ منهم. حتى إن فيل اقترح تقديم بعض السيارات إذا لزم الأمر. يقول: «سنفعل أي شيء لمنعهم من الانضمام إلى جامعة ولاية فلوريدا». يتفاخرون كذلك بنجاحهم الذي حققوه في استقطاب أفضل اللاعبين العام الماضي. أنهى الفيديو مباشرةً بعد أن يقول فيل: «استحقَّت تلك النقاط الاثنتي عشرة التضحية بإهداء شاحنة F-250».

يُحدق فيل إلى الشاشة من خلف مكتبه، وأرى اللون يتلاشى من وجهه.

المجموعة الوحيدة التي لم تُذكر في ورقة تعليمات السيد سميث هي المتبرعين الكبار. الهدف: محمي. المدرسة: محمية. البرنامج: محمي. اللاعبين المحتملين: محمين.

لكن لم يُذكر شيءٌ عن هؤلاء المتبرعين الأثرياء الذين يستثمرون بكثافة. علم السيد سميث أنني لن أكتفي فقط بمراقبة اللاعبين في أثناء حديثهم مع المُدربين، بل سأكتشف أيضاً رجلاً مثل روجر ماكبين يتقربون منهم نيابةً عن مُتبرعين مثل فيل روبنسون.

- روجر يعمل لصالحك. أنت تخبره أي اللاعبين تريد أن ينضموا إلى جامعتك، وتمنحه الأموال لإغرائهم بالانضمام. جئتُ بالأدلة، وهو يعرف ذلك. ألتزم الصمت، وهو يعبث بقلم حبرٍ أسود في يديه.

- لديّ صور لك مع مدير الأنشطة الرياضية، ورئيس الجامعة، ونصف طاقم التدريب، لذا ليس من الصعب افتراض أن الجامعة تعلم بما تفعله وربما حتى وافقتُ عليه. هل تعتقد أن الدوري الوطني لكرة القدم الأمريكية سيفرض عليهم حظر المشاركة في البطولات لثلاثة أو أربعة مواسم؟

هذا هو التحايل الوحيد الذي أملكه، لأنني لا أستطيع فعلياً إقحام الجامعة في هذا الأمر، لكن فيل لا يعرف ذلك. أحتاج فقط إلى أن أخيفه بما يكفي ليُصدق أنني يمكنني ربطُ أنشطة الجامعة بما يفعله. آخر شيءٍ يريده هو أن يكون الشخص الذي أسقط البرنامج بأكمله.

وأخيراً يتحدث فيل: «ماذا تريدان؟».

رغم أنني علمتُ أن فيل لن يسمح أبداً بأن يعاني الفريق بسبب شيءٍ ارتكبه هو، فإنني أشعر بالارتياح لرؤية انهياره تحت وطأة تهديدي.

- نريد أن يرحل ميتش كامبيرون. ستصرُّ أنت وأصدقاؤك الصغار على إقالته، لكن بطريقةٍ مهذبة. ستقولون إنكم لا تتفقون مع رؤيته، وإنه حان وقت إعادة بناء الفريق. وبعد ذلك، ستتكفلون بتسوية عقده. لا

يوجد سببٌ يدفع الجامعة لتحمل تلك الستة ملايين دولار بينما تتحملون
أنتم مسؤولية هذا الوضع.

تراجع شفتيه عن أسنانه كأنه يريد أن يُزجر في وجهي.

- أنتِ تظنين أنني أملك سلطةً أكبر ممّا أملك في الواقع.

أقول بنبرة متفائلة: «لا، أنا أثق بك، يا فيل. أو من أنك قادرٌ على إنجاز
المهمة».

يسأل: «لماذا؟ لماذا كامرون؟».

- مثلك تمامًا، نحن أيضًا نريد الأفضل للجامعة. نحن جميعًا في الفريق
نفسه، يا فيل.

لم يعجبه جوابي، ولم يسأل عن أي شيءٍ آخر. أجمع أغراضي، متمدّةً
أخذ وقتي في وضع كل شيء في حقيبتني.

- أتوقع إعلانًا رسميًا بحلول صباح يوم الإثنين على أقصى تقدير.
ثم أغادر.

بعد ثلاثة أيام، أعود إلى شقتي، أتابع قناة «إي إس بي إن» بعينٍ واحدة،
بينما تراقب العين الأخرى اللقطات المستمرة لكاميرات المراقبة القادمة
من منازل اللاعبين المُحتملين. لم تصلني أي ملاحظات جديدة في صندوق
البريد ولا مزيد من عمليات الاستلام الليلية من جورج. أنا الآن في مرحلة
الانتظار لأرى ما إذا كان رهاني سيؤتي ثماره. ليس من غير المألوف أن يرغب
المتبرعون في إقالة مُدرب وجمع المال لتسوية عقده، لكن هذا يحدث عادةً
في نهاية موسمٍ سيئٍ عندما يؤدي المدرب عملًا سيئًا.

تلقت الأخبار العاجلة على القناة انتباهي بعيدًا عن اللقطات الضبابية لأحد
منازل اللاعبين، بينما أركز على الكلمات الواضحة في أسفل الشاشة.

المُدرّب ميتش كامبيرون يرّحل عن فلوريدا.

ثم تأتي التفاصيل. أنهت الجامعة عقدها معه، والأموال التي جمعها المتبرعون ستغطي قيمة فسخ العقد. السبب المذكور هو أن المدرّب كامبيرون ومُدير الأنشطة الرياضة لديهما رؤية مختلفة لمستقبل البرنامج.

هذا كل شيء.

لم تمض دقيقة حتى يُطرق الباب، وأكاد أقفز من مكاني. أُمّر يدي على شعري لأعيد ترتيبه، وأتنفس بعمق قبل أن أفتح الباب. أجد الوجه المألوف في زِيّ «يو بي إس» البُنّي، يحمل في يده الممدودة طردًا.

أقول وأنا آخذ الطرد: «مرحبًا، يا جورج! يبدو أنني نجحت».

- يبدو كذلك. (يبتسم متكئًا على إطار الباب) كيف تشعرين الآن؟

- أشعر بشعورٍ جيد للغاية.

يبقى لبضع ثوانٍ أخرى، ثم يدفع نفسه بعيدًا عن الباب.

- أراك قريبًا.

ثم يختفي.

أُمزق الطرد بمجرد إغلاق الباب. في الداخل، أجد ورقةً واحدة مطبوعة، وإيصاليًا، وهاتفٍ محمولٍ قديم.

كُتب على الورقة:

تم إيداع باقي مستحقّاتكِ. التفاصيل مُرفقة. احرصي على إبقاء الهاتف مشحونًا، وستتلقين اتصالًا بشأن المهمة التالية.

هذا كل شيء. أتفحص إيصال الإيداع وأُعيد قراءة الملاحظة مرة أخرى. أنظر إلى الرقم على الإيصال مجددًا. إنه مبلغ كبير من المال. وهو لي وحدي. لا يستغرق الأمر سوى بضع دقائق لأحزم ما أحتاج إليه من الشقة، لكنني لن أعود إلى كارولينا الشمالية. أحتاج إلى العثور على مكان لا يمكن لأحد أن يجدين فيه، مكان آمن أستطيع الاستقرار فيه بين المهمات. أخذتُ حذري

على مر السنين وأدركت مدى أهمية الادخار لذلك اليوم العصيب الذي لا مفرّ منه. ربما أستطيع الاختباء في بلدة جامعية صغيرة أخرى مثل هذه، مكانً يمكنني فيه أن أضيع بين الطلاب.

أتخيل ذلك. أرى نفسي في بلدة صغيرة وهادئة مثل هذه. منزلٌ صغيرٌ وجميل في شارعٍ هادئ. مكانٌ آمن.

عليّ فقط الآن أن أرى هذا الحلم يتحقق.

هناك شيءٌ واحد أحتاج إلى القيام به قبل رحيلي. تقف سيارتي الهوندا (الجديدة بالنسبة لي) أمام المنزل الصغير، وأغلق الباب قبل أن أقطع المسافة القصيرة عبر الحديقة الصغيرة.

يفتح تايرون الباب بعد بضعة دقائق من طريقي.

- مرحبًا، هل يمكنك الخروج للحظة؟

يبدو عليه الارتباك لكنه يفعل ما أطلبه. أسير نحو سيارتي وأتكئ على الصندوق الخلفي بينما يقف هو على الرصيف بجواري. هذا الوضع يوفر لنا خصوصية أكثر ممّا كنّا سنحصل عليها داخل منزله.

- أنت لا تعرفني، لكنني أردت أن أقدم لك بعض النصائح. أمامك مستقبلٌ مُشرق وأنت ذكي، لكنك بحاجة إلى أن تكون أكثر ذكاءً. افترض دائماً أن هناك مَنْ يتنصّت عليك. في جميع الأوقات. افترض أن هناك من سيشي بك. أعلم أنك تحب التحدّث مع شقيقك الأصغر عن جميع العروض... والحوافز الإضافيّة... لكن عليك التوقّف عن ذلك. احتفظ بأفكارك لنفسك.

تتسع عيناه بشكلٍ كبير، كمّن يشعر بالخوف الشديد.

- خذ ما تستطيع الحصول عليه. لا تترك شيئاً. لا تقدم وعوداً، ووقع مع الفريق الذي تريده بغض النظر عمّا يعرضه عليك أي فريقٍ آخر. لكن كن ذكياً بشأن ذلك أيضاً.

أتحدّث معه لبضعة دقائق أخرى، ويبدو أنه يستوعب كل ما أقوله. يطرح أسئلةً وأجيب بما أستطيع. أعطيه نصائح عن كيفية استثمار المال ليتضاعف،

وكيف يحافظ على سرية تحركاته، وكيف لا يثق بالتكنولوجيا أبدًا. وقبل أن أغادر، يسألني: «مَن أنت؟».

أبتسم وأقول: «شخص اضطرَّ إلى النضوج بسرعة، مثلك تمامًا. (كنت على وشك أن أستدير وأغادر، لكنني أسأله شيئًا أخيرًا) هل فكرت في المكان الذي تريد اللعب فيه؟».

يهزُّ كتفيه: «لست متأكدًا بعد. ربما سأذهب حيثما ينتهي المطاف بالمُدرّب كاميرون».

أومئ برأسي: «نعم، سمعت أنه يبحث عن جامعةٍ جديدة الآن».

- نعم، قال إنه توقَّع ذلك، لكن طلب مني ألا أقلق.

هناك شيءٌ في طريقة كلامه تجعلني أنتبه.

- متى أخبركَ بذلك؟

شاهدتُ محادثات تايرون وميتش جميعها في ذلك المنزل ولم أسمعها يقول ذلك قط.

- صادفتهُ قبل ما يقرب من أسبوع. تحدث بشكلٍ غامض وغريب، لكنني فهمتُ ما حاول قوله. أرادني أن أعلم أنه يريدني، حتى لو لم يكن في فلوريدا.

صادفه.

قبل أسبوع.

أقيل ميتش كاميرون هذا الصباح. لم يكن من المُفترض أن يعرف ذلك قبل أسبوع.

هذا أمرٌ مثير للاهتمام للغاية.

الفصل التاسع عشر

اليوم الحالي

نصل إلى أوكسفورد، مسيسيبي في وقتٍ متأخر من بعد الظهر. أوكسفورد بلدةٌ جامعية ساحرة تجعل كل شيء يبدو ممكناً. أوجه رايان إلى فندق قريب من الساحة، وهو مُفضل لدى طلاب الجامعة. يدرسون في البهو خلال النهار، ثم يستقلون مصعداً لمسافةٍ قصيرة إلى السطح لاحتساء الكوكتيلات بمجرد غروب الشمس.

يقول رايان بينما نصل إلى ساحة الانتظار: «من بين جميع الأماكن التي توقعت أن تأخذيني إليها، لم يكن هذا واحداً منها».

هذه البلدة الجامعية هي مقرُّ جامعة أولي ميس، إحدى الجامعات المُنافسة لجامعته السابقة.

أسأله لأبقيه مشتتاً: «هل سبق لك أن جئت إلى هنا؟». كانت الرحلة طويلة وهادئة، ولا أرغب حقاً في الدخول في تفاصيل سبب وجودنا هنا.

- نعم، جئنا مرةً عندما لعبت جامعة لوزيانا هنا. (يوقف السيارة ويلتفت إليّ) هل سنبقى هنا الليلة؟

أهز رأسي: «لا. أريدك أن تصعد إلى البار على السطح. تناول شيئاً. احتس زجاجة بيرة. ادفع نقداً. سألتقيك عند السيارة بعد ساعة».

أفتح باب السيارة وأقفز منها، فيتبعني مباشرةً.

يقول: «يجب أن نظل معاً». هناك مجموعة من الفتيات تحملن حقائب ظهر وحقائب يد ثقيلة، مرتديات قمصاناً تحمل أحرفاً يونانية، ينظرن إلينا بفضول.

أنتظر حتى يمررن ثم أقترّب منه، واضعةً يديّ على صدره: «تحدثنا عن الأمر. مجرد وجودك هنا، في هذه البلدة معي، بينما أتعامل مع كل ما يحدث، أمرٌ كبير. أعلم أنك تظن أنني أبعدك، لكنك الشخص الوحيد الذي سمحت له بالدخول في حياتي منذ سنوات. لكنني بحاجة إلى هذه الساعة. لا تُجبرني على الحصول عليها بطريقةٍ أخرى».

نحديق إلى بعضنا بعضاً لدقيقة أطول، ثم يسحبني نحوه، ويُقبلني على جبهتي. يقول: «ساعة واحدة. هل تحتاجين إلى المفاتيح؟».

إذا تعقّب السيد سميث سيارتي، وهذا أمرٌ وارد، أريد منه أن يعرف أننا في أوكسفورد لكنني لا أريد له أن يعرف الموقع الدقيق لمكاني الآن. ليس بعد على الأقل.

- لا، لن أذهب بعيداً، وسأسعد بتمديد ساقّي.

يتجه رايان نحو الفندق، وأسير في الاتجاه المعاكس. أنعطف إلى شارع صغير وهادئ، ليس بعيداً عن الساحة، وأتوقف أمام بيتٍ أبيض جميل ذي شرفة ملتقّة حوله. تتفتح الأزهار الوردية من شجيرات الكوبية أمام البيت، وتدور الطيور الطنّانة حول حاملات الطعام المعلقة من غصن شجرة البلوط الضخمة.

تُزين أواني الزهور الربيعية المزهرة كل درجة من الدرجات المصنوعة من الطوب. هناك منطقة جلوسٍ صغيرة على الجانب الأيسر من الشرفة، وأرجوحة تقليدية معلقة على الجانب الأيمن. أقف أمام الباب، أنظر يميناً ويساراً، ثم أتجول نحو منطقة الجلوس، حيث توجد أريكة صغيرة وكروسي هزاز، يكتسيان بألوان الجامعة الأحمر والأزرق المميزة وكلمات «هوتي تودي»⁽¹⁾.

(1) هتافٌ تشجيعي معروف في جامعة ميسيسيبي الولايات المتحدة، خاصةً في أثناء مباريات كرة القدم الأمريكية. (الترجمة)

مطبوعة على الوسائد الصغيرة. أُعدّل بعض الوسائد، وأُزيل طبقة رقيقة من حبوب اللقاح التي تغطي كل سطح في هذا الوقت من السنة، وأقضي وقتاً إضافياً في ترتيب الوسائد على الكرسي الهزاز تماماً كما أريدها. هذا هو البيت الذي طالما حلمتُ به، الملاذ الآمن الذي أردته دائماً. لكنه مع الأسف، ليس لي.

أدفع موجة الحنين بعيداً وأتحرك عائدةً إلى الباب. بعد بضع دقائق من قرع الجرس، تفتح مراهقة شقراء الباب.

- مرحباً، هل والدك في المنزل؟

تجيب: «بالتأكيد، سأذهب لأحضره»، ثم تغلق الباب الشبكي في وجهي. أسمعها تصرخ عليه ثم أسمع خطواته الثقيلة قادمة من مكانٍ بعيد في المنزل.

يفتح الباب الشبكي ببطء ويسأل ميتش كاميرون: «هل يمكنني مساعدتك؟».

علمت أن المجيء إلى منزله مُخاطرة، لكن في هذا الوقت من السنة وفي هذا الوقت من اليوم، لا يوجد مكانٌ آخر يمكن أن يكون فيه. ولا مكان آخر أردت أن أقابله فيه.

- هل يمكنني أن آخذ دقيقةً من وقتك؟ اسمي ويندي والاس وأنا من ساعدك على ترك وظيفتك في فلوريدا.

يتراجع خطوة إلى الوراء كأنني هاجمته جسدياً. يلقي نظرة خاطفة خلفه ليتأكد أننا وحدنا، لكنه لا يريد أن يرى أفراد عائلته وجودي هنا، لذا يخرج إلى الشرفة الأمامية ويغلق الباب خلفه.

لم أتوقع أبداً أن يدعوني إلى الداخل.

- أنا آسف، لكنني لست متأكداً ممّا تشيرين إليه...

أتحرك نحو منطقة الجلوس، وأجلس في منتصف الأريكة الصغيرة بينما يراقبني، محاولاً فهم ما أخطط له. نحدق إلى بعضنا بعضاً لبضع ثوانٍ مشحونة بالتوتر، ثم يسترخي على الكرسي الهزاز بجواري.

- حقاً، لا أفهم سبب وجودك هنا، يا آنسة...

- نادني ويندي. وأنا متأكدة أنك لا تفهم.

أترك الصمت المُخرج يستقر بيننا. أدعوه ليكون العضو الثالث في هذه المحادثة. أسمح له بأن يهزّ كيانه ميتش بطرقٍ لا يمكن لأي شيءٍ آخر أن يفعلها.

يرفع يديه وصوته يرتفع بنبرةٍ أعلى من المعتاد.

- اسمعي، أنا لست متأكداً من سبب وجودكِ هنا أو ما تريدينه، لكنني أقُلت من وظيفتي. وقد فاجأني ذلك تماماً، لذا ربما تفهمين الأمر بشكلٍ خاطئ.

أميل إلى الأمام وأخفض صوتي إلى حدّ الهمس: «سأختصر الأمور وأدخل في صلب الموضوع. لقد استعنتَ برئيسي لمساعدتك في إنهاء عقدك. كرهتَ مُدير الأنشطة الرياضية، وأولئك المتبرعين كانوا شوكة في حلقك. وبعد أن قابلت بعضهم، أدركت السبب. مغادرتك بمحض إرادتك كانت تعني التخلّي عن كمية هائلة من المال، لذلك استأجرت شخصاً ليساعدك في الخروج من هذا المأزق. لكنك رجلٌ شريف بما يكفي بحيث لم تُرد تدمير البرنامج في هذه العملية. وهذا يعني أنك تمتلك قدرًا من النزاهة داخلك».

تراجع ميتش إلى الخلف في كرسيه الهزاز، وأسند مرفقيه إلى ذراعيّ الكرسي. يبدو كأنه يخشى التحرك.

- بما أن سؤالك عمّا أحتاج إليه أو أريده يجعلك تشعر بأنك تعترف بشيءٍ ما، سأوفر عليك العناء. أنا بحاجة إلى بعض المال. لقد أديتُ مهمتي كما ينبغي. حصلتَ على مبلغ كبير من المال وغادرت، وسرعان ما حصلتَ على عرض عملٍ جديد. عرض عمل أظن أنك علمتَ بقدمه. أعتقد أنه من العدل أن تساعدني الآن كما ساعدتك حينها.

يرتعش فكه وتجوب عيناه جسدي من أعلى رأسي إلى الأسفل.

- أتخشى أنني أضع جهاز تنصّت؟ (أقف وأمد ذراعيّ إلى الجانبين) يمكنك تفتيشي.

لا يثير الأمر استحسانه. لكن قبل أن يقول أي شيء آخر، يطلق هاتفه تنبيهًا. يسحبه من جيبه، وينظر إلى الشاشة للحظة قبل أن يضغط على الزر. بعد بضع ثوانٍ، ينتهي ويعيد الجهاز إلى جيبه.

أجلس مرة أخرى، إذ يبدو أنه لن يأخذ عرضي على محمل الجد ليتحقق مما إذا كنت أضع جهاز تنصت. نتبادل النظرات بينما يهتز بهدوء ذهابًا وإيابًا في كرسيه. أكاد أتمكن من رؤية أفكاره تتسارع في ذهنه.

يسأل أخيرًا: «مَنْ أَنْتِ حَقًّا؟».

أجيب: «أنا لا أحد».

يُثبت ميتش كامبيرون أنه بالفعل المُدرب الذي يتمتع بأعصاب من فولاذ. - حسنًا، يا لا أحد، أَنْتِ مخطئة. أحببتُ عملي في فلوريدا وكنت سأبقى حتى سن التقاعد لو سمحوا لي بذلك. كنت محظوظًا بما يكفي لأجد موطنًا قدم هنا، والآن هذا هو بيتي. وأنا أحمي بيتي. من الأفضل أن تغادري. الآن.

أشعر بالإحباط وأستسلم على الأريكة، بينما يضغط شفتيه ليمنع نفسه من قول أي شيء آخر. أرى الشفقة في عينيه وهو يحدق بي. أنهض من على الأريكة الصغيرة وأتحرك نحو درجات الشرفة. يبقى هو على كرسية الهزاز.

وعندما أوشك على النزول من الشرفة، ألتفت إليه وأسمح لإحباطي بأن يطفو على السطح. يتفجر داخلي كل الغضب والحقد الناتج عن خيانة رئيسي لي بعد ثماني سنوات.

- أتعرف؟ أَنْتِ حَقًّا وغد. أسديتُ لك خدمةً كبيرة والآن أحتاج إلى بعض المساعدة وأتعرف أيضًا؟ اذهب إلى الجحيم. اللعنة عليك وعلى كل شيء يتعلق بك، أيها الوغد.

يحمّر وجهه، وينهض بسرعة كبيرة لدرجة أن الكرسي الهزاز يكاد ينقلب. أركز نظري على كرسيه، لكنه لحسن الحظ يستقر في اللحظة الأخيرة. لن يكون من الجيد أن يسقط كل شيء من على كرسيه الآن.

يتطاير اللعاب من فمه وهو يصرخ في وجهي: «لديك ثلاثون ثانية لتغادري منزلي وإلا سأستدعي الشرطة! لا أحد يأتي إلى بيتي ويتحدث معي بهذه الطريقة، أيتها الفتاة الصغيرة!».

لم يعد قلقًا بشأن لفت الانتباه الآن.

أحتاج إلى التأكد من أنه غاضب تمامًا، لذا أرفع إصبعي الوسطى في وجهه قبل أن أضرب الأرض بقوة في أثناء مغادرتي لممره الأمامي. وهذا يؤتي ثماره. يبتعد عن الكرسي الهزاز ويقف على الدرجة العلوية من السلم، مكورًا يديه في شكل قبضتين. أصل إلى الرصيف أمام منزل جاره عندما يبدأ أخيرًا في النظر حوله ليرى إن كان قد سمعنا أحد.

أصرخ لأزيد من حدة الموقف: «تبًا لك، يا ميتش!». ثم أركض مبتعدة عن المكان.

أستعيد السيطرة على أعصابي عندما أبتعد بضعة شوارع. ما فعلته كان خارجًا عن السيطرة. طائشًا. أطلقت العنان لنفسي بطريقة لم أسمح بها يومًا.

وكان ذلك شعورًا رائعًا.

أتحقق من ساعتني. من المفترض أن يكون رايان قد عاد إلى موقف سيارات الفندق وينتظرني. لا ألقى نظرة أخرى خلفي.

عندما أصل إلى سيارتي، أجد رايان جالسًا في مقعد السائق والمحرك دائرًا. أقفز إلى المقعد الأمامي وأقول: «انطلق». أحاول جاهدة أن أخفي الابتسامة المرتسمة على وجهي.

تستقر يده على ناقل الحركة، مصوبًا وجهه نحوي. ترسم على شفثيه شبه ابتسامة وهو يقول: «تدل تلك الابتسامة أنك فعلت شيئًا مشبوهًا. أترغبين في أن أنطلق من هنا بسرعة كسائق هروب محترف، أم تفضلين إعطائي اتجاهًا عامًا للسير فيه؟».

- غادر أوكسفورد واتجه شمالًا نحو تينيسي.

إنه يمازحني، وأجد نفسي أنجذب إلى هذا المزاح.

يقول وهو يومئ برأسه نحو المقعد الخلفي: «أحضرت لك بعض الطعام».

أهمس له: «شكرًا لك».

أمدُّ يدي خلفي، وأمسك بالكيس البلاستيكي الأبيض. بالداخل، أجد برجر بالجبن مع كل الإضافات عدا البصل، وبطاطا حلوة مقلية.

ننطلق بينما ألتقط البرجر، وأخذ قضمة كبيرة منه. يظل صامتًا بينما أتناول الطعام، وأجد صعوبة في البلع بسبب الغصة العالقة في حلقي. ما أثر فيَّ حقًا هو اهتمامه بالتفاصيل. إنه يعرف أنني أفضل البطاطا الحلوة المقلية على العادية، وأنتني أكره البصل إلا إذا كان مطهؤًا. هذه اللفتة اللطيفة نادرة في عالمي.

أتناول طعامي بسرعة، ثم أضع كل القمامة في الكيس الذي جاءت فيه عندما أنتهي.

يسألني: «إذًا، إلى تينيسي؟».

أومئ برأسي قائلة: «نعم».

يتوتر فكُّه كأنه يحاول كبح ما يريد قوله. أخيرًا، يقرر أن يطلق ما بداخله: «تعمدت الإشارة إلى أهمية مواعيدي يوم الخميس. لديَّ عمل في جلينفيو، تكساس. إنه عملٌ مختلفٌ عمَّا أفعله في ليك فوربينج. أشتري أشياء بطرق مشكوك فيها ثم أبيعها بزيادة كبيرة في السعر. هذا ليس شيئًا معروفًا للجميع في بلدي، وأخطط أن يبقى كذلك».

أصدم بهذا الاعتراف.

- لكنك تخبرني بذلك الآن؟

يلقي نظرة سريعة عليَّ، يتفحص تعابير وجهي، ثم يعيد انتباهه إلى الطريق.

- ظننت أنني يجب أن أبدأ بالاعتراف.

لا نقول أيَّ شيء آخر. نستمر في السير لأميال، هو يحدق إلى الطريق أمامنا، وأنا أراقب المشاهد الضبابية من النافذة الجانبية.

أهمس: «سأخبرك بكل شيء، لكن ليس الآن. عليَّ أن أتجاوز يوم الجمعة أولًا». أعرف أنه سمع كل كلمة، لأن بعد يوم الجمعة سأعرف كل ما أحتاج إلى معرفته.

يقول: «يمكنني قبول ذلك، لكن مع حلول يوم الجمعة، ستكشفين لي عن كل شيء».

يطلق هاتفني تنبيهًا، ممّا يريحني من الرد عليه، وأشعر بموجةٍ من الارتياح عندما أرى الإشعار.

يرمقني رايان بنظرة، ويُلاحظ التغيير في ملامحي.

- أخبارٌ جيدة؟

أومئ برأسي قائلة: «نعم، ما كنت بحاجة إليه بالضبط».

أفتح هاتفني وأستخدم التطبيق الذي يتيح لي رؤية نسخة مُطابقة لما يحدث على هاتف ميتش الآن. وبالتأكيد، فعل تمامًا ما تمنيته. تواصل مع السيد سميث ليشتكى مني.

كانت زيارة ميتش مخاطرةً كبيرة. لم أعتقد أنه سيدعوني إلى الداخل، لكن لا يمكنك التنبؤ بما قد يحدث عندما تتعامل مع عادات الجنوب الراقصة. لكن لحسن الحظ، حرص على إبقاء مسافة بيني وبين عائلته، فبقينا على الشرفة. وعندما جلس على الكرسي الهزاز، مباشرة فوق الجهاز الذي زرعت هناك قبل لحظات، لم يتبق سوى أن يفتح الرسالة التي أرسلها ديفون إلى هاتفه بينما كنت جالسة أمامه، وهكذا تمكّنًا من الوصول إلى ما نريد.

يُظهر توقيت تواصله مع رئيسي السابق الآن بالذات أنه أخذ وقته في التفكير، ممّا يعكس اتزان المعهود. لا شك أنه كان قلقًا بشأن المخاطرة بالتواصل مجددًا، لكن ظهوري على عتبة بابه كان أكثر تهديدًا، ولهذا كان عليّ أن أثير ضجة قبل المغادرة. في البداية، رأيت في عينيه أنه شعر بالشفقة تجاهي، وهذا لم يكن كافيًا. كنت بحاجة إلى إغضابه، وإخافته قليلًا، لدرجة تجعله يُغامر ويُقدم على التواصل معه.

هناك الكثير من الأمور التي لا نعرفها عن السيد سميث. رغم مهارات ديفون المذهلة، فإنه لم يتمكّن من اكتشاف اسمه الحقيقي أو مكان إقامته. الأمر الآخر الذي لم نتمكن من كشفه هو كيفية اتصال العملاء به وكيفية تواصلهم معه. بعد تعاملي مع ديفون طوال هذه السنوات، أعلم أن الأمر ليس ببساطة استخدام بريد إلكتروني مزيف. وهنا يأتي دور ميتش. من بين كل

المهام التي قمتُ بها، كانت هذه المهمة الوحيدة التي شعرتُ فيها باليقين بشأن هوية العميل، وذلك بناءً على زَلَّة لسان من تايرون نيكولز. علم ميتش كامبيرون أنه سيقال من فلوريدا قبل أسبوع من اقترابي من ذلك المُتبرع الضخم. وعلم أن محادثته مع تايرون كانت بعيدة عن أجهزة التنصُّت في منزله عندما أخبره بأنه سيرغب في ضمِّه إلى فريقه أياً كانت الجامعة التي سيدرب فيها. هناك طريقة واحدة فقط تُمكنه من معرفة تلك الأمور.

كان ميتش كامبيرون هو العميل.

ها هو الآن غارقٌ في منتدى أنشئ خصيصاً للاحتفاء بفرقة «كينج هارفيست». يبدو أن معظم هذه الرسائل موجهة إلى رئيسي، بينما القليل منها يعود فعلاً لأشخاصٍ يعشقون الأغنية الشهيرة الوحيدة لهذه الفرقة «الرقص في ضوء القمر». تظهر نافذة رسالة جديدة ويبدأ ميتش في الكتابة:

قائد الملعب: سمعت أغنية الرقص في ضوء القمر لأول

مرة اليوم.

هذا هو الأمر، إذًا. لا بدَّ أن هذه هي الطريقة التي يتواصلون بها لأول مرة مع السيد سميث.

يقول رايان مشيراً إلى اللافتات القادمة: «حان وقت القرار. هل نتجه مباشرةً إلى ممفيس أم إلى مكانٍ آخر؟».

أردُّ عليه: «ليس ممفيس. اتجه شمال شرق. (ثم يشغل إشارة الانعطاف) سنذهب إلى ناشفيل».

ينظر نحوي ويسأل: «ألن نذهب إلى أتلانتا؟».

- ليس بعد.

يهزُّ رأسه موافقاً: «سأتوقف للترؤد بالوقود لأن الطريق طويل. وسأحضر المزيد من الوجبات الخفيفة».

في المخرج التالي، يملأ رايان خزان الوقود ثم يتوجه إلى المتجر.

أبقى ملتصقة بهاتفني، أنتظر الرد الذي سيأتي إلى ميتش. وبينما قد يتردد السيد سميث في الرد على رسالة ميتش، أمل أن يتغلّب عليه الفضول الشديد لمعرفة ما يريده ميتش، بالإضافة إلى الاحتمال الكبير بأنه يتتبعني ويعلم أننا كنا في أوكسفورد. أحتاج إلى أن يتصرف بالطريقة التي أتوقّعها، وإلا فسأكون في مأزق كبير.

الآن بعد أن عرفت أين أبحث، أفتح المُتصفح وأجد منتدى الرسائل حتى أتمكن من الاطلاع على ما يجري بدلاً من مجرد رؤية ما ينظر إليه ميتش. وبما أن ديفون يمكنه أيضاً رؤية شاشة ميتش، فأنا متأكدة أنه يفعل الشيء نفسه. هناك الكثير من المشاركات التي تقول: سمعت أغنية الرقص في ضوء القمر لأول مرة اليوم. علمت دائماً أنني لست الوحيدة التي تعمل لصالح رئيسي، لكن وفقاً لعدد المشاركات الكبير، يبدو أنه يدير كثيرًا من الأعمال أكثر ممّا تصورته في البداية. هناك بعض الأسماء المُستعارة التي قد تتطابق مع مهام قمتُ بها في الماضي، لكنني لا أستطيع رؤية سوى منشوراتهم الأولى. من المؤكد أن المحادثات مع السيد سميث تُنقل إلى الرسائل الخاصة.

لم تمض سوى دقيقة أو نحو ذلك قبل أن أتلقي إشعارًا بأن ميتش تلقى ردًا على رسالته.

أكبر معجب بكينج هارفيست: كيف يمكنني مساعدتك؟

قائد الملعب: جاءت فتاة إلى باب منزلي. زعمت أنها تعمل لديك. اسمها ويندي أو شيء من هذا القبيل. طلبت مني مالًا! كانت غير متزنة تمامًا. أخبرتني أن أذهب إلى الجحيم عندما طلبت منها المغادرة. صرخت بها بصوت عالٍ ليسمعها الجيران. لم أدفع لك هذا القدر الكبير من المال من أجل أن يأتي مختل إلى باب منزلي!!

أكبر معجب بكينج هارفيست: أعتذر عن تلك الزيارة غير المتوقعة. أؤكد لك أنني سأعتني بأمرها ولن تتعرض لأي إزعاجٍ مرة أخرى.

أهمس: «ها أنت ذا. أمسكتُ بك».

نصل إلى ناشفيل في وقتٍ متأخر من الليل. يتوقف رايان أمام فندقٍ متداعٍ على أطراف المدينة؛ أفتح بابي قبل أن يضع السيارة في وضع الوقوف. أقول له واحةً قدماً واحدة خارج السيارة بالفعل: «انتظر هنا. سأحجز لنا غرفة».

يُطفئ المحرك قائلاً: «هل أنتِ متأكدة؟ بإمكانني أن...».

أقاطعه: «أنا متأكدة. انتظر هنا». كان محبباً مني منذ مغادرتنا أوكسفورد لأنني تهربتُ من كل سؤال طرحه عليّ.

بعد بضع دقائق، أعود إلى السيارة وأخبر رايان برقم الغرفة. نوقف السيارة مباشرةً أمام الباب لأنني حجزت غرفةً في الطابق الأرضي. ورغم أنه بإمكاننا تحمّل تكاليف إقامة أفضل، فإنني أفضل أن أكون قادرةً على الخروج بسرعة إذا دعت الحاجة.

حملنا حقائب خفيفة، لذا لم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً للاستقرار.

يقول رايان: «سأذهب للاستحمام. سأبحث عن طعامٍ لنا بعد أن أنتهي». حالما أسمع صوت تدفق الماء، أخرج هاتفي وأتصفح إنستجرام حتى أجد تعليقاً يُحدّد لي وقت الاجتماع ليوم غد. أترك تعليقاً على منشورٍ مختلف لأخبر ديفون بأنني تلقيتُ رسالته.

عندما يُفتح باب الحمام، يخرج رايان مرتدياً منشفة فقط حول خصره. يمكنني أن أنظر إليه طوال اليوم. أحبُّ جسده، فهو نوعي المفضل بالضبط؛ متناسق ورشيق دون إفراطٍ في العضلات. لا بدّ أن رايان لاحظ اللعان في عينيّ، لأنه بدلاً من التوجه نحو حقيبتة، يزحف عبر السرير نحوي. يبدو أن مزاجه قد تحسّن بشكلٍ كبير.

أسمح لنفسني بأن أعيش هذه اللحظة. أزيح جانباً الخطط التي تدور في ذهني. أضغط على زر التوقّف المؤقت لجدولي الزمني. أستمتع بهذه اللحظات القليلة المسروقة حيث يمكننا أن نكون على طبيعتنا.

أجذبه إليّ ويستقر وزنه فوقِي. تنساب يداي إلى شعره، الذي لا يزال رطباً من الاستحمام.

يقول رايان، وشفتيه على بُعد بوصات قليلة من شفتيّ: «كان أسبوعاً عصيباً».

أجيبه: «ولا نزال في يوم الثلاثاء. (ثم تتحول تعابير وجهي إلى الجدّة) هل تندم على مرافقتي في هذه الرحلة؟».

يضحك قائلاً: «ليس بعد».

يُقبل رايان تلك الرقعة على رقبتِي التي يعرف أنني أعشقها، وأشعر بتأثيرها يمتد حتى أطراف أصابع قدميّ.

- ماذا لو كنتُ أنا مَنْ فعل ذلك؟ ماذا لو كانت لي علاقة بموت إيمي هولدر؟

تتردد كلماتي الهامسة في الهواء بيننا. إنه التدمير الذاتي في أبهى صوره. يتوقّف عن الحركة. ثم يرفع رأسه وتلتقي نظراتنا.

- هذا ليس سؤالاً أحتاج إلى معرفة إجابته.

يقترّب رايان أكثر، شفتيه تلامسان شفتيّ برقّة. سرعان ما نجد نفسيّنا متلاصقيْن، وأفقد نفسي في هذه اللحظة بينما تتجول يداه وشفتيه ببطء على جسدي قبل أن يعودا إلى الأعلى.

يحكم قبضتيه عليّ، ويضمّني إليه أكثر، كأنه يخشى أن أختفي. ثم يدفن وجهه في تلك البقعة الحساسة حيث يلتقي عنقي كتفي. تتدفق منه كلمات هامسة، جمل متقطعة قد لا تكون منطقية لكنها تحمل معنى بالنسبة لنا.

أستوعب كل كلمة بينما تنغرز أظافري في ظهره، لأخبره أن مشاعري بقوة مشاعره نفسها دون الحاجة إلى النطق بها.

مكتبة

t.me/soramnqraa

الاسم المستعار: هيلين وايت-قبل أربع سنوات

في هذه المهمة، أنا هيلين وايت، وهذه أبعد نقطة أصل إليها غربًا: فورت وورث، تكساس.

لطالما تساءلتُ لماذا تقع كل مهمة أُكلف بها في الجنوب، لكن يبدو أن السيد سميث لديه أشخاص آخرون يعملون لصالحه في أجزاء أخرى من البلاد، لذا ربما يكون الجنوب هو منطقتي. يبدو الأمر مؤسسيًا للغاية.

لكن تكساس تجربة جديدة بالنسبة لي. كل شيء هنا يبدو مختلفًا. أكبر وأعلى صوتًا بلا شك، لكن هناك شيء آخر أيضًا. يشبه الأمر نوعًا من الصدمة الثقافية.

ظاهريًا، تبدو مهمة فورت وورث بسيطة، مجرد استعادة لوحة فنية تُقدر بملايين الدولارات سُرقت منذ سنوات، ويُعتقد أنها مخبأة داخل المنزل الشاسع لقطب النفط رالف تايت. يبدو أن مَنْ استأجرنا لهذه المهمة حاول شراء اللوحة من رالف لسنوات، لكنه يرفض بيعها، لذا سنسرقها منه بدلًا من ذلك.

لكنني لستُ الوحيدة التي تحاول الحصول عليها.

يعشق السيد سميث الألعاب والمكايد، وهذه المهمة هي المثال الأبرز على مدى دهائه. أخبرني أنني لست الوحيدة التي أرسلها لاستعادة اللوحة، لكنه لم يذكر بالضبط عدد الأشخاص الآخرين الذين يخوضون هذه المنافسة. لأن هذه مهمة تنافسية، ومَنْ يخرج باللوحة أولاً يحصل على مكافأة. مكافأة كبيرة.

أجد نفسي أرغب بشدة في الفوز. بناءً على مهامى الأخيرة، أشعر أنني أقترّب أكثر فأكثر من قمة ذلك السلم، ولكن إذا تمكنتُ من الخروج بتلك اللوحة، فسوف يكون ذلك تأكيداً على أنني الأفضل لديه.

بعد البحث عن اللوحة المعنية، شعرت بخيبة أملٍ بسيطة لأنها ليست واحدة من اللوحات الكبيرة، مثل تلك اللوحة الصفراء للخشخاش التي رسمها فان جوخ والتي لا تزال مفقودة. اللوحة التي أبحث عنها تُقدر قيمتها بما يقرب من خمسة ملايين دولار، وهي ليست جميلة حتى. أعطاني تفاصيل هذه المهمة قبل ست وثلاثين ساعة، وكلما تعمقتُ فيها، ازدادتُ اقتناعاً بأن السيد سميث يريد اللوحة لنفسه، لذا حوّلها إلى لعبة للحصول عليها.

لن تكون هذه أول مهمة تُنفَّذ دون وجود عميل حقيقي.

نظام الأمان في منزل تايث كابوسٌ حقيقي ولا يبدو منطقياً على الإطلاق. يبدو أشبه بمسار مليءٍ بالعقبات. مهما طالت خبرتي في هذا المجال، لن أفهم أبداً عقلية الأغنياء.

يعتقد رالف العجوز أن نظامه الأمني منيع، لكنني أحظى بديفون في فريقى. لم أطلب منه شيئاً إلا وقدّمه لي، ويمكنه أن يقول الشيء نفسه عني. أدخلُ إلى مطعم بافالو وايلد وينجز وأتفحص المكان بحثاً عنه. يومئ برأسه عندما تتلاقى أعيننا، وأشقُ طريقي عبر الحشد إلى الكشك الذي ينتظرني فيه.

أجلس أمامه في الكشك، فيمرر لي كوباً من البيرة. لو كنّا في مكانٍ خاص، للفتت ذراعىّ حوله واحتضنته، لأنني لم أره منذ فترة، لكنه يصرُّ على أننا يجب ألا نفعل شيئاً يلفت الانتباه إلينا في الأماكن العامة. لكنني أحصل على ابتسامةٍ صغيرة منه، وأردُّ عليه بابتسامةٍ أكبر بكثير.

أقول له: «تبدو هذه الألوان جيدةً عليك». كان يرتدي تي شيرت رياضياً لفريق كاوبويس على الرغم من أنني أعلم أنه يكرههم. ارتداه لأنه علم أن أكثر من نصف الحاضرين في هذا المطعم سيرتدون ملابس تحتفي بالفريق المحلي. عندما ألقى نظرةً حولي، لا أرى سوى بحرٍ من اللونين الأزرق والأبيض مع لمساتٍ من اللون الفضي.

يقول مدحرجاً عينيه متظاهراً بالتقيؤ: «لا تثيري هذا الموضوع. أتحمّل كل ذلك من أجلك».

أبتسم قائلة: «أنت تحبني، أعلم ذلك. (ثم أرفع زجاجتي وألامس بها عنق زجاجته) في صحتك!».

يُتمتم ثم يأخذ رشفةً من زجاجته: «نعم، نعم. أول مرة تُرسلين فيها إلى تكساس. لست متأكداً أنني أحب ذلك».

التوجس الذي يشعر به ديفون تجاه أي شيء جديد هو الشيء الثابت الوحيد في حياتي. أضحك قائلة: «ربما يتوسع نطاق عملي». يميل برأسه جانباً، وتعايير وجهه تُوحى بعدم اقتناعه، لكنه لا يقول شيئاً آخر عندما تقترب النادلة من الطاولة.

تقول النادلة: «مرحباً، يا عزيزتي. هل أحضر لك شيئاً لتأكله؟». أنظر إلى ديفون، فيقول: «أخذتُ برجر مع البطاطس المقلية. إنه لذيذ. ستحبينه».

أومئ برأسي وأقول: «الشيء نفسه لي». وحالما تبتعد النادلة، أُسحب مظلوماً بنياً من حقيبتي وأقدمه له، مُلخّصةً له كل ما أعرفه حتى الآن. أرتشف من زجاجتي بينما يقرأ ما أعطيته من معلومات، وأشعر بالاسترخاء لأول مرة منذ أن عبرت حدود الولاية إلى تكساس. أعلم أن ديفون وصل قبل وصولي بساعةٍ على الأقل وفحص المكان للتأكد من عدم وجود أجهزة تنصّت أو تسجيل، رغم أن لا أحد يعلم بوجودنا هنا.

يُقدّم الطعام وأبدأ بمراقبة الناس بينما يقرأ ديفون كل صفحة بعناية. يتوقف طفل على بُعد بضعة أقدام من طاولتنا ويقول: «هذا الهاتف سيئ. لا أستطيع تحميل هذه الصورة». يفحص الجهاز هو وصديقه، ثم يبتعدان. أضحك، فيرفع ديفون نظره إليّ.

أشير إلى الجهاز الصغير الأسود الموضوع على الطاولة وأقول: «ما مدى اتساع المنطقة التي عطّلت فيها الإشارة؟».

يضحك وهو ينظر إلى الطفل.

- منطقة قطرها قرابة خمسة وعشرين قدماً.

ثم يعيد انتباهه إلى الخطط الموضوعة أمامه.

أتجول بنظري في الغرفة، وألاحظ أن الجميع يواجهون مشكلاتٍ مُماثلة مع أجهزتهم. يُسبب ديفون حالة من الفوضى من حولنا.

- الجميع في حالة دُعر.

يقول بابتسامة: «أنا أنقذ الكثير من الناس من اتخاذ قراراتٍ سيئة في هذه اللحظة. (ثم يُلقي نظرةً سريعة على الحانة الصاخبة القريبة للحظات) سيشكرونني لاحقًا لو يعلمون».

أخيرًا، يقلب الصفحة الأخيرة وينظر إليّ: «لم أرَ نظام أمانٍ مصممًا بهذا الشكل من قبل».

أسأله: «هل يمكنك اختراقه؟».

يميل ديفون برأسه وينظر إليّ نظرة تحمل معنى واحدًا: لا تجرؤي على إهانتني بهذا الشكل.

أبتسم وأقول: «وضّح لي الأمور».

يبحث بين الأوراق ويسحب مُخطط الطابق: «هذا الترتيب رائع. مذهلٌ للغاية. لا يوجد سببٌ منطقي لتوزيعه بهذه الطريقة، وهذا ما يجعله رائعًا. (يشير إلى جزء معين سائلًا): يُعتقد أن اللوحة موجودة في هذه الغرفة وسط المنزل، صحيح؟».

- نعم، إنها غرفة الجوائز الخاصة به، حيث يحتفظ بتلك الحيوانات الغريبة المُحنّطة التي قتلها في إفريقيا. وجدتُ بعض الصور لهذه الغرفة من الداخل. تضمُّ أيضًا عُلب ترطيب فاخرة للسيجار ومجموعة من زجاجات التكيلا التي سيسيل لها لعبك. (أسحب ورقة من الكومة) وهذه الرسمة تُظهر التعديلات التي أُجريت على الغرفة بعد فترةٍ وجيزة من اختفاء اللوحة. يبدو أنه أنشأ جدارًا زائفًا قابلاً للسحب. أُرَجِّح أن اللوحة، وأيّ شيء آخر حصل عليه بطرق غير قانونية، مخفية وراء هذا الجدار عندما يكون في الغرفة أشخاص لا يثق بهم لرؤية ما يملكه.

يفحص ديفون الرسمة المُتعلقة بالتعديلات، ثم يعود إلى مجموعة المخططات الرئيسية. يقول: «ستحتاجين إلى الوجود عند لوحة المفاتيح

خارج الغرفة التي تعتقدان أن اللوحة مخبأة فيها (ثم يحرك إصبعه عبر الصفحة، متتبعًا الخطوط التي تمثل الكابلات والأسلاك) بينما سأكون هنا عند النظام الأمني الاحتياطي لمنع تشغيله على الفور. لا يمكن الوصول إلى أي من النظامين عن بُعد. إنه نظام بسيط ولكنه فوضوي. سيمنحك ذلك ربما خمس دقائق فقط. خمس دقائق داخل غرفة لم نرها من قبل، لذا لا يمكننا التنبؤ بما ينتظرك هناك. لا توجد طريقة أخرى. إنه نظام رائع، حقًا».

لا يملك ديفون شخصًا مميزًا في حياته، ولكن إذا وجد أحدًا يومًا ما، أمل أن يشعر نحوه بالشغف نفسه الذي يشعر به تجاه نظام أمان مصنوع بإتقان.

- لماذا أملك خمس دقائق فقط بمجرد دخولي؟ إذا قمت بتعطيله، ألا يبقى معطلًا؟

يهزُّ رأسه ببطء مجيبًا: «لا. يستخدم السيد تايت نظامًا يسجل كل ثانية مما يحدث في تلك الغرفة، وهناك إنذارٌ ينطلق إذا قُطع البث لأكثر من تلك الفترة الزمنية. ولا أستطيع تجاوز هذا النظام أو تعطيله لأنه موجود داخل الغرفة. ولا يمكن الوصول إليه عن بُعد أيضًا». يشير إلى منطقتين ويبدأ في وصف مُعقد للأسلاك التي يجب أن تُعطَّل والعديد من الأمور الأخرى التي لا أفهمها.

يُضيف: «يجب أن يكون التوقيت مثاليًا. مثالي تمامًا. حتى الثانية الواحدة تُحدث فرقًا. ينطلق الإنذار فقط في غرفة الحراسة، لذا لن تعرفي أنك فعلت شيئًا خاطئًا إلا عندما يكون الأوان قد فات».

تستمرُّ عينا ديفون في التحقق من المخططات، بينما يهزُّ رأسه ببطء كأنه لا يصدق ما يراه. يقول: «بقدر ما أحب هذا النظام، هناك شيءٌ غير صحيح هنا. أعني، مَنْ يفعل شيئًا كهذا؟ لا أشعر بالارتياح تجاه هذه المهمة. هناك شيءٌ آخر يجري في الخفاء».

- أعتقد أنها لعبة. أُخبرت بالفعل أنني لن أكون الوحيدة التي تحاول الحصول على اللوحة.

يسأل ديفون: «لكن لماذا؟ هل يرسل سميث عدَّة أشخاص أم أن هناك لاعبين آخرين متورطين؟».

- أعتقد أن كل هذا من تدبير السيد سميث.

يكرر سؤاله: «لكن لماذا؟ هذا لا يبدو منطقيًا».

أهزُّ كتفيّ: «لن تكون المرة الأولى التي يفعل فيها شيئًا كهذا. أعتقد أنه يشعر بالملل ويُقرر أن يلعب ألعابًا. الأغنياء غريبون».

يميل رأس ديفون جانبًا.

- هل يمكنكِ رفض هذه المهمة؟

أتوقف للحظة: «هل تعتقد حقًا أنه لا ينبغي عليّ القيام بها؟».

يردُّ بقلق: «لا أعرف». ويبدأ في قضم شفته السفلية بينما يتفحص الرسومات.

أميل إلى الأمام محاولةً رؤية الأمر كما يراه هو.

- لست متأكدة إن كان بإمكانني الرفض. لم أرفض أي مهمة من قبل.

يقول ديفون: «أحتاج إلى مزيدٍ من الوقت لدراسة هذا الأمر. متى تودين محاولة تنفيذها؟».

أضع بعض البطاطس المقلية في فمي بينما أفكر في خطوتي التالية.

- أحتاج إلى الذهاب إلى أوستن لبضعة أيام. يُقيم تايت حفلة ضخمة في منزله بمناسبة عيد الاستقلال نهاية هذا الأسبوع. قد يكون هذا الوقت الأمثل لتنفيذ العملية إذا تمكنت من معرفة كل التفاصيل بحلول ذلك الوقت. جهز كل ما نحتاج إليه في أثناء غيابي.

أعلم أن تأجيل الأمر يُمثّل مخاطرة، خاصةً لأنني لا أعرف من غيري أو حتى عدد الأشخاص الآخرين الذين يحاولون الحصول على تلك اللوحة، ولكنها مخاطرة تستحق الإقدام عليها، خاصةً إذا كان ديفون بحاجةٍ إلى المزيد من الوقت للاستعداد.

أتوقف للحظة قبل أن أضيف: «عليك أن تجد طريقةً للدخول إلى الحفلة. هذه ليست من المهام التي يمكنك فيها إيقاف الشاحنة بالقرب من المكان إتمام عملك من هناك».

يهزُّ رأسه موافقًا: «أعلم».

يرتاح ديفون في تلك الأماكن المظلمة، وراء الكواليس، لكن ذلك لن يكون ممكنًا في هذه المهمة.

أركل قدمه تحت الطاولة وأقول: «أنتَ لها».

يأخذُ قطعة بطاطس مقلية ويغمسها في كمية كبيرة من صلصة الرانش ويقول: «سنرى ما سيحدث».

ربما لبدتُ هذه النسخة من أغنية «سويت هوم ألاباما» رائعة لولا أن المغني الرئيسي شدَّ عن اللحن بصوته المُتذمر، لأن باقي الفرقة يُبدعون حقًا. ورغم ذلك، أواصل هزَّ رأسي على إيقاع الموسيقى.

وصلتُ إلى أوستن قبل صعود الفرقة إلى المسرح بقليل، وتمكنتُ من الحصول على مكانٍ في الصف الأمامي طوال العرض. لاحظَ المغني الرئيسي وجودي، وقد كان يُحدقُ إلى صدري خلال الأغنيتين الأخيرتين، فقررتُ أن أسحب فتحة قميصي الضيقة للأسفل قليلًا، ممَّا جعله يتمادى في نظراته.

عندما انتهوا من الأداء، التقت أعيننا، فهزَّ رأسه مشيرًا إلى الكواليس. أشقُّ طريقي عبر الحشد وأتجاوز الستار لأجده ينتظرني. يسحبني إليه بقوة ويقبلني بشغف، متجاهلاً أي مقدمات. أترك له بعض المجال قبل أن أبتعد عنه قليلًا.

أقول بينما تجوب يداي صدره: «كان أداؤكم مذهلاً». تغوص أصابعه في شعري الذي صبغته مؤخرًا بلونٍ أزرق داكن رائع. يقول معجبًا: «أحبُّ هذا اللون».

أقترب منه أكثر قائلة: «أنا من كبار المُعجبين بفرقة بلو لاين. الأكبر على الإطلاق».

يهزُّ رأسه مشيرًا إلى الباب الخلفي للنادي ويقول: «هل ترغبين في الخروج من هنا؟».

يسمعه زملاؤه في الفرقة ويصيحون باسمه: «سوير! لن تهرب قبل أن نحمل هذه المعدادات!».

يجذبني نحوه، ويضع يدي حول خصره. أُدْخِلْ أصابعي تحت حزام بنطاله، وأخذش بشرته بلطف بأظافري. أقول له: «نعم، دعنا نغادر هذا المكان».

يهتف بصوت عالٍ دون أن ينظر إلى الورا: «يجب أن أذهب! أنا مدينٌ لكم بمعروف».

يردُّ عليه أحد زملائه في الفرقة: «تبًّا لك، يا تايِت!».

أعتقد أنه كان سيُطرد من الفرقة منذ فترة طويلة لولا أن والده العزيز، رالف تايِت، يُموِّل هذه المغامرة الصغيرة. فهو بلا شك الأسوأ من حيث الموهبة والفائدة.

يسألني، متجاهلاً الجميع خلفنا: «ما اسمك؟».

«هيلين وايت» لن يفي بالغرض هنا.

أُجعد أنفي وأعضُّ شفتي السفلى. يحدقُ إلى فمي كما توقعت. ثم أهمس: «كيّتي».

يطلق مواء قطة، وأبذل جهدًا كبيرًا كي لا أُشِيخَ بعينيّ. يمنحني سوير ابتسامة بينما يمسك بمؤخرتي بإحدى يديه ويدفع الباب الخلفي باليد الأخرى. سيكون من الصعب السيطرة عليه. لكن إذا كان هناك شيءٌ أجيده، فهو التعامل مع أبناء الأثرياء المتغطرسين.

حفلة الرابع من يوليو التي يقيمها آل تايِت هي احتفاليةٌ ضخمة تتضمن سباقات للخنازير، ومسابقات رمي الحبال، وعرضًا للألعاب النارية لمدة ثلاثين دقيقة يُقام فور غروب الشمس. إنها واحدةٌ من أصعب الدعوات للحصول عليها.

إلا إذا كنتِ من عُشاق فرقة ابنه.

نصل أنا وسوير ومعنا عشرون من أقرب أصدقائه بعد ساعةٍ من بدء الحفل. جمعتُ أكبر قدرٍ ممكن من المعلومات عن هذه المجموعة الصغيرة، محاولَةً معرفة ما إذا كان أي شخصٍ آخر يستغلُّ سوير للدخول إلى المنزل،

لكنهم كانوا مُنهكين منذ الليلة الماضية، لذا أعتقد أنني الوحيدة المُتسللة بينهم. ولم يضرني أن أكون الفتاة التي جاءت بحوزتها حلويات مُخدّرة لضمان بقائهم على هذا الحال.

نتوقف عند موقف خدمة صف السيارات، مع وجود أربع سيارات أخرى خلفنا في القافلة. يُلقي سوير مفاتيحه نحو المُراهق الذي يدير الموقف، والذي يمتلئ وجهه بالبثور. يقول له: «صفها على مقربة. لن نبقى طويلاً». أقترّب منه، واضعةً ذراعي حول ظهره بينما ندخل إلى المنزل الشاسع. أقول له وأنا أضْمُ شفتي: «لكنك وعدتني بمشاهدة الألعاب النارية». يجيب: «لديّ ألعاب النارية، يا قطتي!».

في حين أن هذه أسهل طريقة للدخول إلى الحفلة، إلا أنها أيضًا الأكثر إثارة للاشمئزاز.

بمجرد دخولنا المنزل، أسمع شخصًا يصرخ: «سوير!».

يلتفت كلانا لنجد رالف تايِت يحدّق بنا من أعلى الدّرج. علمتُ أن دخولي برفقة سوير سيجعلني لافتةً للنظر، لذا استغلّلت ذلك لصالحِي. ارتديتُ شورت قصيرًا لدرجة أنه يكشف عن جزءٍ من مؤخرتي من الخلف، وأكملتُ الإطالة بارتداء حمالة صدر بألوان العلم الأمريكي، لا تترك مجالًا لتخيّل ما وراءها. صبغت شعري باللون الأزرق تكريمًا لبلدي في عيد ميلاده، ولحُبي الكبير لفرقة سوير، بلو لاين. أضفتُ بعض الوشوم المؤقتة في أماكن مُناسبة، وظلال أعين داكنة، وأحمر شفاه بلونٍ أحمر ناري لإكمال الإطالة. أنا أختبئ في وضح النهار.

يقترّب رالف تايِت منّا ببطء، وأشعرُ بتوتر سوير بجانبِي. يريد أن يثير مشهدًا، يريد أن يبدو كأنه يتحدّى ثراء أبيه. لكنه، وأنا أعرفه جيدًا، سينهار في اللحظة التي يُهدده فيها والده بسحب المال. هؤلاء الفِتيان يمكن التنبؤ بهم بسهولة.

يقول رالف: «بُني، أعتقد أنك ذكرت أن بعض الأصدقاء سينضمون إليك. (ينظر إلى المجموعة خلفنا ويُضيف): هذا أكثر ممّا خططنا له».

يفتح سوير ذراعيه على مصراعيهما ويقول: «إما أن نبقي جميعًا وإما لا أحد».

يا له من أحمق. أحبس أنفاسي، آملُ ألا يطرдна رالف فقط لوضع سوير في مكانه الذي يستحقه. لحسن الحظ، تتدخل السيدة تايت لتهدئة الأمور. تقول بلُطف: «عزيزي، لدينا دائمًا مكانٌ لك ولأصدقائك!». إنها ليست والدته، فهي تكبره فقط بما يقرب من ست سنوات، ولكنها تحب جذب الانتباه بقدر سوير. يختفي رالف إلى الخارج بينما تشير إلينا السيدة نحو اتجاه الطعام والمشروبات. أخرج هاتفي من جيبِي الخلفي لأرسل إلى ديفون رسالة سريعة: **تيك توك**.

يُحاط سوير بمجموعة من الفتيات اللواتي يعرفهنَّ منذ الطفولة، بينما أنسلُّ أنا إلى البار، أترنَّح قليلًا لأبدو كأني في حالة النشوة نفسها التي تغمر الحشد الذي حضرتُ معه.

أقول للنادل: «فودكا كرانييري».

يقف ديفون خلف البار. لم أكن لأتعرَّف عليه لو لم أعلم أنه هو. يرتدي زيَّ العاملين نفسه، لكنه يُزين نفسه بشاربٍ أنيق وضمائر بدلًا من شعره القصير المُعتاد. عندما أخبرني بخطته المُعدَّلة، فوجئتُ بأنه مستعدٌّ للتفاعل مع هذا العدد الكبير من الناس، لكنني سعيدةٌ لأنه خرج من منطقة راحته. قضى وقتًا طويلًا في الظلال.

يناولني ديفون مشروبًا أعرف أنه خالٍ تمامًا من الكحول، ثم ينظر إلى ساعته. يقول بصوتٍ منخفض: «لا تغييرات. ستتوقف الكاميرات في الساعة الرابعة وسبع عشرة دقيقة».

لعلمنا أننا لن نكون الوحيدة الذين يحاولون تنفيذ هذه المهمة، اخترق ديفون نظام الأمان خلال ساعاتٍ من مغادرتنا مطعم بافالو وايلد وينجز، ومنذ ذلك الحين وهو يُراقب المنزل. أرسل إليَّ رقم «أربعة» في رسالة نصية الليلة الماضية، ليُخبرني بعدد المحاولات الفاشلة للحصول على اللوحة حتى الآن. لا أملك التفاصيل بعد، لكن بما أنه قال «لا تغييرات»، يبدو أن أحدًا لم يحاول بالطريقة التي خططنا لها.

أسأله: «كم عدد الموجودين الآن؟».

- ثلاثة، لكن نأمل أن ينتظروا حتى يبدأ عرض الألعاب النارية.
أومئ برأسي وأبتعد بهدوء.

كنّا قد ناقشنا فكرة الانتظار حتى تبدأ الألعاب النارية للقيام بحركتنا، كما يعتقد ديفون أن الثلاثة الآخرين الذين يسعون للحصول على اللوحة سيفعلون، لكننا أدركنا أننا قد نواجه ازدحامًا إذا انتظرنا كل هذا الوقت. لذا قررنا تنفيذ خطتنا في وضح النهار.

أجلس على كرسيّ بالقرب من باب الفناء وأراقب الساعة. ضبطنا توقيت هذه العملية بالثانية، لذا ما إن تشير الساعة إلى 4:17 تمامًا، أضع مشروبي على الطاولة الجانبية الصغيرة وأتوجّه إلى داخل المنزل. حالما أعبّر المنطقة الرئيسية، أمشي بخطى ثابتة نحو الحَمَّام الموجود في الردهة الخلفية. حفظتُ مخططات الطابق جيدًا حتى لا أخطئ في أي منعطف. أغلق الباب خلفي بمجرد دخولي، وأسحب الحقيبة التي خبأها ديفون في الخزانة في وقتٍ سابق. بداخلها شعُرٌ مستعار أسود وزِيٌّ نادلّة، زوجٌ من القفازات، ساعة، وكيس قمامة أسود كبير. ارتدي كل شيء فوق الشورت وحمالّة الصدر في وقتٍ قياسي. لا ينبغي أن أظهر في أيٍّ من الكاميرات، لكن كيّتي لا تُنسى بسهولة، وهو أمرٌ خطِرٌ إذا صادفت أحدًا في الردهة. بمجرد خروجي من الحَمَّام، أرسل رسالة نصيّة إلى ديفون: **انطلق**.

أتجه عبر المنزل حتى أصل إلى الردهة الخلفية، حيث يتجه الطريق يسارًا إلى غرفة الجوائز الخاصة بالسيد تايّت.

لكنني أنعطف يمينًا.

أبقي رأسي منخفضًا بينما أمُرُّ عبر المطبخ، حاملّة كيس القمامة أمامي كأنه درع. لا أحد يلتفت إليّ، إذ يبدو كأنني في طريقي لإخراج القمامة. بعد بضع انعطافاتٍ أخرى، أصل إلى باب غرفة الغسيل. أرسل رسالة نصيّة أخرى: **جاهزة**.

توجد لوحة مفاتيح صغيرة بجوار الباب، ويتحول الضوء من الأحمر إلى الأخضر. أفتح الباب وأدلف إلى الداخل، أضع كيس القمامة فوق المُجفف، ثم

أخرج جهازًا صغيرًا أسود اللون من داخل الكيس. أمسكه أمام أبواب الخزانة المجاورة للغسالة، وأدخل سلسلة الأرقام التي أرسلها إليّ ديفون في رسالة نصية. لا يمكن اكتشاف وجود قفل على هذه الخزانة من الخارج، لكن بعد بضع ثوانٍ أسمع نقرة خفيفة وتفتح الأبواب تلقائيًا.

يوجد داخل الخزانة عمود ملابس مُزدهم بملابس الصيد. أمسك حفنةً من الملابس في كل مرة وأخرجها من الخزانة، ثم أضع الصندوق الأسود على اللوح المخفي خلفها. يرسل إليّ ديفون مجموعة أخرى من الأكواد التي أدخلها في الجهاز.

بعد بضع ثوانٍ، يفتح اللوح، وأجد نفسي أمام لوحة باهظة الثمن لكنها قبيحة للغاية.

أخذ اللوحة وأضع النسخة المُقلدة المخبأة في كيس القمامة مكانها. لحسن الحظ، اللوحة ليست كبيرة جدًا. بعد أن أعيد وضع الملابس على قضيب الخزانة، يساعدني ديفون في الخروج من نظام الأمان، مغلقًا كل بابٍ كما كان.

في غضون دقائق، أعود إلى الردهة خارج غرفة الغسيل وأتجه نحو المرآب. ينبض قلبي بسرعة عندما ينعطف أحد الرجال المكلفين بحراسة المنزل، ويكاد يصطدم بي. فيمسك بيدي ليتوازن.

يقول الرجل: «عذرًا، لم يكن ينبغي أن أنعطف بهذه السرعة».

أمنحه الضحكة التي يبحث عنها وأقول: «لا بأس».

يلوح بزجاجة ماء شبه فارغة في وجهي ثم يشير برأسه نحو كيس القمامة في يدي.

أفتح الكيس، فيرمي الزجاجة داخله ويقول: «شكرًا».

أرد بابتسامة: «لا مشكلة». وأتمنى أن تكون اللوحة قادرة على تحمل قليل من الماء.

أبقي رأسي منخفضًا وأنا أخرج من الباب الجانبي إلى المرآب، حيث توجد صناديق القمامة. أخلع الزي، لأظّل مرتدية الشورت وحماله الصدر، ثم أدفع الملابس والشعر المُستعار في كيس القمامة مع اللوحة، وأربطه بإحكام قبل

أن أرميه في سلة المهملات. عندما أخرج إلى الفناء الخلفي، أرسل رسالة نصية إلى ديفون: أخرجت القمامة.

سيسترجع ديفون الكيس قبل إعادة تشغيل الكاميرات.

بعد عشرين دقيقة من وضعي الكأس على الطاولة الجانبية، أعود لألتقطها مجدداً. بالكاد ذابت مُكعبات الثلج. أحتسي رشفة كبيرة، ثم أذهب للبحث عن سوير. أجده جالساً على حافة المسبح، فأزحف بينه وبين شقراء جالسة بجانبه لأحتل مكانها. يبدو أنها غير سعيدة بذلك.

يتمتم بلسان ثقيل: «أين كنتِ، يا حبيبتي؟».

- كنت أبحث عنك.

يلفُّ ذراعه حولي، ويشدني إليه، ثم يبدأ في الحديث مع الفتاة الجالسة على جانبه الآخر.

أرتشف من مشروبي وأتنفس بعمق. أنا مدينة لديفون بالكثير في هذه المهمة. في اليوم التالي للقائنا في بافالو وايلد وينجز، ظهر في أوستن.

وجدته في الطابق المُخصص للأطفال والمراهقين في المكتبة العامة المركزية، حيث كان يُعلم ثلاث فتيات من المرحلة الإعدادية كيفية لعب الشطرنج على لوحةٍ بالحجم الطبيعي. رغم كل قواعده وإجراءاته الصارمة، فهو رقيق القلب تماماً مع الأطفال. جلستُ على أحد الكراسي الكثيرة في تلك المنطقة وانتظرتُ حتى ينتهوا. ما إن بدأت الفتيات في ترتيب القطع الضخمة لبدء اللعب من جديد، حمل ديفون أنبوباً كرتونياً وأشار إليّ للانضمام إليه في إحدى غُرف المكاتب الخاصة. إلى جانب الصندوق الأسود الذي يضمن عدم سماع أي شخصٍ لمحادثتنا، انحنينا فوق تلك المخططات مرة أخرى.

سألني ديفون: «هل أنت متأكدة أن اللوحة موجودة في تلك الغرفة؟».

انحنيْتُ عبر الطاولة وحاولت أن أرى ما يراه هو، لكنني لم أجد شيئاً بارزاً يلفت انتباهي. قلت: «تلك الغرفة مُحصَّنة أكثر من أي مكان آخر في ذلك المنزل. إضافة الجدار الزائف تُوحى بأنه يُخفي شيئاً هناك. قلتُ إن النظام... ما هي الكلمة التي استخدمتها؟ رائع؟ كل شيءٍ يشير إلى أن اللوحة موجودة في تلك الغرفة».

- لكن قلت إنك تعتقدين أن هذه مجرد لعبة، صحيح؟ وأنتِ لن تكوني الوحيدة التي تبحث عن اللوحة هناك؟

أومأت برأسي، وأشار إلى زاوية صغيرة من المنزل: «هل ترين هذا؟». اقتربت وحاولت تركيز نظري كأن ذلك سيساعدني على رؤية ما يريدني أن أراه.

لكن لم أتمكن من رؤية أي شيء مميز. قلت أخيرًا: «اشرح لي الأمر كأنني غبية».

نقر بإصبعه على المساحة المُسماة «غرفة الغسيل»: «أترين كل هذه الأسلاك المتجهة إلى هذه الغرفة؟».

أومأت برأسي مرة أخرى.

- هذا مبالغ فيه بالنسبة لغرفة تحتوي في أفضل الأحوال على غسالة ومُجفف.

لم يستغرق الأمر مني وقتًا طويلًا لأفهم قصده.

- إذًا، تعتقد أن غرفة الجوائز مجرد فخ. يُرسل الجميع إلى غرفة حميمية بنظام معقد لن يتمكنوا من تجاوزه. وعندما يخطئوا... وهو ما سيحدث... يتلقى الحراس إنذارًا صامتًا وينقضون عليهم. وفي هذه الأثناء، تكون اللوحة مُخبأة بجوار الفريزر.

ابتسم لي ديفون ابتسامة عريضة: «هذا بالضبط ما أفكر فيه».

سألته: «وما زلتَ مستعدًا للدخول معي؟ لتلعب دورك؟».

أومأ برأسه: «أنا أعمل بالفعل على تنكُّري».

كان في صوته نبرة حماسٍ لم أتوقعها.

وكان ديفون محققًا. بحلول هذا الوقت، يكون ديفون قد حصل على اللوحة وغادر مبنى عائلة تايت. سأبقى هنا بقدر ما يرغب سوير، ثم أتركه حالما يغادر المكان.

أُخرج البجعة الورقية الصغيرة البيضاء التي خبأتها في جيبي الخلفي هذا الصباح وأضعها في الماء، فإذا بها تتمايل وتتأرجح على سطح المسبح.

أرتشف مشروبي مرة أخرى. لن يمرَّ وقتٌ طويل قبل أن تبدأ الألعاب النارية.

توقعت المكالمة، لكنني أقفز من مكاني على أي حال عندما يرن الهاتف. وجدتُ الهاتف المؤقت بانتظاري على طاولة المطبخ فور عودتي من الحفلة. - نعم.

يقول السيد سميث بصوته الآلي: «يبدو الشعر الأزرق أفضل عليك ممَّا ظننت».

أجيب: «سيكون من الصعب إزالته».

يضحك بهدوء: «ستستلمين الطرد قريبًا، وستتلقين تفاصيل المهمة القادمة مع تأكيد إيداعك، والذي يشمل المكافأة».

أفتح حاسوبي المحمول وأسجل الدخول إلى حسابي، حيث أرى أن الأموال قد أُودعت بالفعل. أبدأ على الفور في عملية تحويلها، كما أفعل دائمًا. - سأكون في الانتظار.

أعتقد أنه على وشك إنهاء المكالمة، لكنه يُضيف: «عليَّ أن أعترف، أثرت إعجابي بالطريقة التي استعدت بها اللوحة».

أسأله، محاولةً استدراجه: «كم عدد الأشخاص الذين تفوقت عليهم؟ (أعلم أنه قد لا يجيب، لذلك أواصل الضغط قليلًا): هل كنت الورقة الراححة؟». أريد أن أعرف كم تبقت لي من درجاتٍ على هذا السلم حتى أصل إلى القمة. يضحك بخفة ويقول: «لطالما كانت لديك مشكلة مع الغرور، يا لوكا».

أقول بصوتٍ ناعم في الهاتف: «أسميها ثقة بالنفس، وقد خدمتني جيدًا حتى الآن».

يمتدُّ الصمت، لكنني أنتظر بصبر. لو لم يكن يخطط لإخباري بشيء، لأنهي المكالمة الآن.

يقول أخيرًا: «سأخبرك بهذا فقط الآن لأنك الفائزة ولأنك تجرأت على السؤال».

عندما لا يُضيف أي شيء آخر لمدة دقيقة كاملة، أقول: «أثرت فضولي وأنا على وشك أن أعرف الإجابة. لا تكن مراوغة الآن».

يضحك تلك الضحكة مجددًا.

- لنقل فقط أنني كنت بحاجة إلى معرفة مَنْ منكم سيصعد إلى القمة تحت ظروفٍ أقل من المثالية. ومَنْ يمكنه إدراك أن الطريق الأكثر وضوحًا قد يكون الطريق الخاطئ. تهانينا.

أسأله: «هل كان هناك عميلٌ من الأساس؟ لم تبدُ مهمة حقيقية».

- دائمًا ما تكون المهمة حقيقية، لكن قد لا تكونين دائمًا على علمٍ بماهية الهدف النهائي.

قبل أن أتمكن من قول أي شيء آخر، يقول السيد سميث: «افتحي الباب. سأتواصل معك قريبًا».

تنتهي المكالمة وأتوجه نحو الباب. أنظر من خلال العين السحرية لأرى رجلي المعتاد في زيِّ شركة «يو بي إس» المعتاد، وهو يحمل صندوقًا صغيرًا. أقول وأنا أفتح الباب: «في الوقت المناسب تمامًا». يسلم لي الصندوق الصغير، وأعطيه اللوحة الملفوفة بورقٍ بُني. أقول غامزةً: «هل ترغب في الدخول لتناول مشروب؟ يمكننا أن نثمل ونكشف كل أسرارنا. تعلم أنك تريد ذلك، يا جورج».

- تعرفين أنني لا أستطيع فعل ذلك مهما أردت.

تطورت علاقتي بجورج على مر السنين إلى علاقة صداقة مريحة. من الصعب تكوين صداقات في هذا العمل لأنني دائمًا في حالة تنقل. ديفون هو صديقي الحقيقي الوحيد، لكن أحيانًا تمضي شهورٌ دون أن نلتقي. جورج هو الشخص الآخر الوحيد الثابت في حياتي. حسنًا، إلى جانب السيد سميث، لكنني لست متأكدةً من أنه سيكون أكثر من مجرد صوتٍ أليّ بالنسبة لي.

يسألني: «إذًا، شعرٌ أزرق، هاه؟».

أهزُّ رأسي قليلًا وأقول: «هل أعجبك؟».

بيتسم قائلاً: «أحببت شعركِ الأشقر في نيو أورلينز. قد يكون هو المفضل لدي».

أضحك قائلة: «حسنًا، قد أعود شقراء مرةً أخرى بعد أن أتخلص من هذا اللون».

- حسنًا، يا لوكا، عليّ إيصال هذا إلى الرجل الكبير. ابقِي بعيدةً عن المشكلات.

وعندما يبدأ في الابتعاد، أميل إلى الخارج وأقول بصوتٍ مرتفع: «سأتمكن من إقناعك في يومٍ من الأيام بالبقاء لتناول مشروب!».

يتوقف على بُعد بضع خطوات، ثم يستدير ليواجهني مجددًا وهو يقول: «لو تمكن أحدٌ من إغرائي لكسر القواعد، فسيكون أنتِ. (ثم يقترب مني قليلًا ويُضيف): تذكرني فقط، كلما كانت المهمة أكبر، زادت الرقابة عليك أكثر. الأعين في كل مكان».

أراقبه وهو يبتعد بينما أفكر في تحذيره. ليست هذه هي المرة الأولى التي يوجه لي فيها تحذيرًا، وآمل ألا تكون الأخيرة.

الفصل العشرون

اليوم الحالي

يتبعني رايان إلى باب غرفة النزل لكنّه لا يخرج. أستدير، أميل نحوه وأقبله بلطف.

أقول بصوتٍ خافت: «لن أتأخر».

تلتف ذراعاه حولي، ويجذبني إليه: «هل أنتِ متأكدة أنكِ بخير؟ ألا تريدني أن أذهب معكِ؟ قد تحتاجين إلى سائق للهروب مرة أخرى».

تعلو ضحكتي بما يكفي لتبدو حقيقية.

- أتمنى ذلك، لكن هذه مسألة يجب أن أتعامل معها بمفردي. بالإضافة إلى أنني أعلم أنك تحتاج إلى التحقق من عملك. يجب أن تحافظ على رضا كل تلك السيدات المسنات.

يمطرني رايان بقُبلاتٍ سريعة بينما تتجولّ يداه على جسدي: «اتصلي بي إذا احتجتِ إليّ».

قبلةٌ أخيرة ثم أبتعد.

يراقبني رايان من الباب المفتوح حتى أبتعد عن موقف السيارات. اليوم مهم، وأحتاج إلى تصفية ذهني وتذكير نفسي بسبب وجودي هنا. لديّ بعض الوقت قبل وجهتي التالية، لذا أقود سيارتي بطريقة عشوائية لأستعيد توازني.

كما يمنحني ذلك الوقت لتحديد من يتبعني ومراوغته. لأنني أعلم أن هناك شخصًا ما يتبعني. فمِنذ مهمة تايِت، وهناك دائمًا مَنْ يراقبني.

يعود تفكيري إلى تلك المهمة في أثناء قيادتي عبر أحد الأحياء. أفكر في ذلك النظام الأمني المُعقد الذي كان يحمي مجموعة من الحيوانات المُحَنَّطة، وخزانة من السيجار، وليس الكثير غير ذلك. لم تكن مجرد مهمة، بل كانت لعبة خبيثة وضعنا فيها السيد سميث في مواجهة بعضنا بعضًا.

راقب ديفون ذلك المنزل بانتظام كما كانت والدتي تراقب فيكتور نيومان في مسلسل الشباب والمضطربون، لم يُفوت ثانية واحدة. تحقّق من كل شخص يدخل ويخرج، تأكّد من أنني أعلم موقع كل كاميرا لتقليل مدة ظهوري أمامها، وحدّد كل شخص جاء باحثًا عن اللوحة.

عندما سلمتُ اللوحة وأودّعت مستحقّاتي، حان الوقت للمضي قدمًا، لكنني لم أتمكن من التوقّف عن التفكير في الآخرين الذين ظهروا وفشلوا. لم أستطع التخلّص من فضولي حول هوياتهم وما إذا كانوا يتطلعون إلى شيء أكثر في الحياة من مجرد التنقل من مهمة إلى أخرى كما أفعل.

وكما هو متوقع من ديفون، أرسل إليّ ما أردته بالضبط حتى قبل أن أطلبه. لم يجعلني حتى أشعر بأي غرابة عندما قلت إنني أريد أكثر من مجرد لقطاتٍ لهم من تسجيل الفيديو، أردت أسماء وعناوين. أرسل السيد سميث ستة منّا إلى تلك المهمة، وأردت أن ألتقيهم جميعًا.

كانت تلك هي المرة الأولى التي اقتربتُ فيها من معرفة هوية من يعمل معه، ولم أُرِد اهدار هذه الفرصة. علمت أنه من المحتمل ألا يرغب جميعهم في التحدّث معي، لكنني أملت أن أتمكن من التحدّث إلى اثنين منهم على الأقل.

ربما كنّا متنافسين في مهمة تايِت، ولكن لماذا لا نكون حلفاء في المستقبل؟ لم تكن هذه أول عملية أدرك فيها قيمة وجود شخصٍ في فريقِي يعمل لصالحِي فقط. ولولا ديفون لكنّت من بين الفاشلين في هذه المهمة.

أقنعتُه بأنه لا ضرر في محاولة التواصل معهم. يمكننا دمج الموارد، وتبادل الأفكار حول الاستراتيجيات.

يمكننا بناء تحالف.

في نهاية البحث، تمكّن ديفون من تزويدي باسمٍ وعنوانٍ واحد. قدتُ سيارتي طوال الطريق إلى كيب سان بلاس، فلوريدا، بين مهمتين. توجهت نحو ذلك المنزل الوردي الصغير اللطيف، حيث عُثقت نصف دزينة من أجراس الرياح على الشرفة الأمامية، وزُينت ممسحة الباب برسمة للرمال والأمواج، مكتوب عليها: «هدفنا هو الشاطئ، ثم الشاطئ، ثم الشاطئ».

غيّر البحث عن الآخرين الذين حاولوا تنفيذ عملية تاييت والحديث مع الشخص الوحيد الذي تمكنتُ من التحدّث معه كل شيء بالنسبة لي.

لأول مرة، رغبتُ في ترك هذه الوظيفة، وهذا النمط من الحياة. أردتُ الهروب وبدء حياة جديدة، حياة ذات هدف، كما تحدّث أندرو مارشال في ذلك الصباح في كارولينا الجنوبية. تلاشى بريق هذه الحياة، تاركًا خلفه خدوشًا وانبعاجات. لكن هذه ليست وظيفة يمكنك فيها تقديم إشعار استقالة قبل أسبوعين. ليس إذا أردتُ العودة إلى كوني لوكا مارينو وكل ما يعنيه ذلك. لذلك بقيت. واصلتُ قبول المهام التي يعرضها عليّ كأن لديّ خيار لرفضها.

عندما أُرسلت إلى لوزيانا وأُعطي اسم رايان سَمَنر، ظننت أنني مستعدة للمهمة التي تنتظرني.

نظريًا، من السهل تصديق أنني قادرة على التعامل مع أي شيء يُلقيه عليّ. لكن في الواقع، لم تكن هناك أي طريقة تمكنني من أن أكون مستعدة لما فعله. أصابني السيد سميث في أكثر الأماكن إيلاّمًا.

فات أوان الهروب، لذا عليّ أن أكمل هذا الأمر حتى النهاية.

أصل أخيرًا إلى وجهتي وأجد مكانًا لصف السيارة. بعد أن أضع بعض العُمَلات في العدّاد، أدخل إلى صيدلية «سي في إس» لشراء هاتف مُسبق الدفع، وعبوة صغيرة من مسكن أدفيل، وزجاجة ماء. يتكوّن صداغٌ خلف عيني اليسرى ويجب تداركه. مستندةً إلى مؤخرة سيارتي، أوازن الهاتف على كتفي بعد أن أضغط على زر الاتصال حتى أتمكّن من استخدام كلتا يديّ لأتناول حبتين وأتبعهما بجرعة ماء.

يُجيب ديفون في الرنة الثانية دون أن ينطق بكلمة ترحيب.

أقول: «إنه أنا».

- فندق سي 21 بعد ساعة. مقهى في البهو.

- رقم الغرفة؟

- 515.

ثم يُنهي المكالمة.

المسافة إلى الفندق قصيرة، ولحسن الحظ أجد مكانًا لصف السيارة بالقرب من المدخل الرئيسي. فندق سي 21 ليس مجرد فندق فقط، بل هو أيضًا مقرٌ لمتحف، ممّا يجعل البهو مزدحمًا بالناس. أتسلل بين الحشود، متجنبًا الحقائق الجرّارة والحقائب اليدوية المتأرجحة، حتى أصل إلى المقهى الواقع إلى يمين المدخل الرئيسي. تلفت انتباهي لافتةٌ ضخمة معلقة فوق الممر المؤدي إلى قاعات المؤتمرات.

أعيدوا انتخاب أندرو مارشال

وعود قُطعت، وعود وُفيت.

أتجاوز الطابور الطويل لطلب القهوة وأجد طاولةً صغيرة تُوفّر لي رؤيةً جيدة للبهو.

بعد خمسٍ وأربعين دقيقة، ترسم ابتسامة على وجهي عندما أرى الحاكم أندرو مارشال يدخل من الباب الأمامي بخطواتٍ واثقة. هناك عددٌ لا بأس به من الأشخاص برفقته، ومن بينهم اثنان أتعرف عليهما من الفترة القصيرة التي عملتُ فيها لديه. تظهر الاستطلاعات المُبكرة أنه سيفوز في إعادة انتخابه بفارقٍ كبير، واسمه يُطرح بالفعل كمرشحٍ مُحتمل للرئاسة.

أترك سترتي على الطاولة حتى لا يأخذ أحدٌ مكاني، وأتوجه نحوهم. يلمحني عندما أكون على بُعد قرابة عشرة أقدام، وأرى ملامح التعرّف عليّ ظاهرة على وجهه، رغم أنني أبدو مختلفة عما كنت عليه قبل ست سنوات.

ينفصل عن مجموعته ويقترب منّي. يسأل: «ميا؟».

- نعم، أيها الحاكم. إنها أنا.

يسأل: «كيف حالك؟». يمكنني ملاحظة رغبته في إظهار بعض الود، ربما يعانقني أو يصافحني، لكن يبدو أن كلا الخيارين غير مناسبين في ظل هذه الظروف، فينتهي به الأمر بوضع يديه في جيوبه.

- أنا بخير. تابعت مسيرتك المهنية. لا يمكنني أن أكون أكثر فخرًا. يهز كتفيه بتواضع: «تلقيت نصائح جيدة في وقت مبكر، أعتقد أنها ساعدتني بشكل كبير».

أتنفس بعمق وأسأل: «هل يمكنني التحدث معك على انفراد للحظة؟». تظهر إحدى مساعديه بجانبه.

- آسفة، لكن الحاكم مارشال لديه جدول مزدحم. من المقرر أن يُلقى كلمة في حفل غداء خلال دقائق قليلة.

تضع يدها على ذراعه وتحاول سحبه بعيدًا، لكنه يوقفها.

- مارجريت، لا بأس. لديّ بضع دقائق.

أشير إلى المقهى، فيتبعني إلى الطاولة التي حجزتها. حالما نجلس، يسأل: «هل أنت في ورطة؟ هل هذا سبب وجودك هنا؟».

أمنحه ابتسامة مترددة: «ربما قليلًا. أنا بخير. في الوقت الحالي». ينحني أندرو للأمام، مستندًا بمرفقيه على الطاولة، ويخفض صوته حتى يكاد يكون همسًا: «أنا مدين لك ونحن نعلم ذلك جيدًا. كيف يمكنني المساعدة؟».

أهز رأسي وأقول: «لست مستعدة لطلب تلك الخدمة بعد، فقط أردت التأكد أنها لا تزال قائمة وأنت لا تزال مستعدًا لتقديمها».

نحديق إلى بعضنا بعضًا بينما يحاول أن يقرأ ما بداخلي، لكنني لا أفصح عن أي شيء.

- إذا كان في مقدوري مساعدتك، فسأفعل.

أومئ برأسي، مدركًا أن هذا أفضل ما يمكنني الحصول عليه من أندرو مارشال النزيه.

- هذا ما كنت بحاجة إلى سماعه. والآن، كفانا حديثاً عني وعن مشكلاتي.
كيف حالكَ أنت؟

يتكئ على كرسيه، وعينه لا تفارقان عيني: «أنا بخير. أحاول الموازنة بين العمل وحملة إعادة الانتخاب، لذا فهي فترة مليئة بالانشغالات. لكن عليّ أن أسألك، يا ميا، هل أنت بخير؟ سعيدة؟».

يا إلهي، لو كان يعلم.

- هناك بعض العقبات التي ما زالت بحاجة إلى التغلب عليها، لكنني أقترّب من تجاوزها.

أخيراً، ترتسم على وجهه ابتسامة، رغم أنها أصغر ممّا تمنيت. يُلقي نظرة على ساعته، مشيراً إلى أن وقتنا قد انتهى.

أقول، مُسهلةً عليه المغادرة: «عليك أن تذهب».

يقف أندرو ويخرج بطاقة من جيبه ثم يناولني إياها. أتأملها بينما يقول: «هاتفي الخاص. أخبريني فقط بما يجب أن أفعله».

ثم يرحل.

أجلس مجدداً على الكرسي وأراقبه وهو يبتعد. أمسك البطاقة أمامي وأعيد قراءتها.

يجذب انتباهي صوت صرير عالٍ قادم من الرجل الذي يسحب الكرسي الذي تركه أندرو للتو. إنه جورج، ولكن بدلاً من زي شركة «يو بي إس» المعتاد، يرتدي الآن بذلة داكنة.

يجلس على الكرسي، ويلتقط لمحة من المفاجأة التي ارتسمت على وجهي قبل أن أخفيها.

- البذلة تليق بك.

يبتسم قائلاً: «من المُفترض أن تكوني في أتلانتا».

- أنا في طريقي إلى هناك. كنت بحاجة إلى المرور على بعض الأماكن أولاً.

يسأل بصوتٍ ناعم، وقلق واضح: «ماذا تفعلين؟ أنتِ تلعبين بالنار. أندرو مارشال لن يفعل أي شيءٍ يُلوث سمعته، نعرف ذلك جيدًا».

لا تفارق عيناى وجه جورج.

- لا أعلم عمّا تتحدث. مررتُ فقط على المدينة وفكرت أنه سيكون من اللطيف التواصل مع بعض الأصدقاء القدامى.

يعبس جورج: «يمكنك الكذب على الجميع، لكن لا تكذبي عليّ. ليس بعد كل هذا الوقت».

- إذًا، لا تسألني أسئلة تعرف أنني لا أستطيع الإجابة عنها.

يُمرر جورج يده على فمه ثم يقول: «يعتقد السيد سميث أنك بحاجة إلى مزيدٍ من التحفيز».

أطلق زفرةً عميقة محملة بالإحباط: «هل سترسل صورةً أخرى لي إلى المحققين وأنا واقفة في شارع عام؟».

يقول: «ليس أنا. أنا مجرد رسول. المجموعة التالية من الصور ستزيد من صعوبة إخراجك من هذا المأزق. إنه لا يمزح».

أومئ برأسي ببطء، وأنا أفكر في كلماته.

- هل هناك رسائل أخرى تحتاج إلى إيصالها؟

تتجدد زوايا عينيه بينما يفكر بجدية فيما يريد قوله: «هناك رسالة واحدة مني. توجهي إلى أتلانتا. لا يزال بإمكانك الوصول إلى البنك والدخول إلى صندوق الأمانات بحلول ظهر الغد. أعطيه ما يريد. لا أرغب في تنفيذ ما سيطلبه مني إذا لم تفعل ذلك. أرجوك، يا لوكا».

يصيبني هذا الكلام بالدهشة قليلًا؛ إنها المرة الأولى التي يكون فيها صريحًا معي بهذا الشكل.

كل ما أقوله هو: «أشكركَ على التحذير».

أظلُّ جالسَةً بينما ينهض من مقعده.

- أخبرني رجلِك أنه أصبح مهملاً. رأيتَه يدخل من مدخل الخدمة مرتديًا زيَّ الصيانة.

دائمًا ما يشير إلى ديفون بـ «رجلي». لعب ديفون وجورج لعبة القط والفأر لسنوات، محاولين اكتشاف هوية الآخر الحقيقية، لكنني لا أعتقد أن أيًا منهما نجح. على الأقل أعلم أن ديفون لم ينجح.

أقول له: «كنت أتمنى أن نحظى بذلك المشروب».

يضحك ويقول: «توجهي إلى أتلانتا، وربما يمكننا ذلك. (وعندما يكون على وشك المغادرة، يلتفت ويضيف): حظًا سعيدًا».

أهزُّ كتفي وأمنحه ابتسامة: «لن أحتاج إليه».

تلازمه ضحكته وهو يغادر المقهى.

أظلُّ جالسة في مكاني لمدة عشر دقائق أخرى، أعيد تحليل حديثنا مرارًا وتكرارًا.

يغمرنني شعورٌ قوي بالرغبة في الهروب.

لكن الهروب يعني أنني سأظلُّ أنظر خلفي ليس فقط خوفًا من السيد سميث، بل أيضًا هربًا من الشرطة لبقية حياتي.

أخيرًا، أنهض وأتوجه نحو المصاعد. أضغط على زر الطابق الثامن بمجرد دخولي. أسير في الردهة حتى أصل إلى الباب المؤدي للدَّرج. أصعد وأهبط مستخدمةً المصعد والسلالم ثلاث مرات أخرى حتى أستقر في الطابق الخامس وأتأكد من عدم وجود أي شخص يتبعني.

بناءً على معرفتي بديفون، أثق تمامًا أنه اخترق كاميرات المراقبة لهذا الطابق لتعرض لمشاهد مكررة قبل أن يدخل الفندق.

أطرق باب الغرفة رقم 515.

يفتح ديفون الباب قائلاً: «تعبير الدهشة الذي ارتسم على وجهك عندما جلس جورج كان إضافةً موفقة».

أردُّ عليه: «أخبرني في فورت وورث أن «الأعين في كل مكان»، لكنني لم أكن أعلم ما إذا كان هو مَنْ يراقبني أم شخصٌ آخر، لذا شعرت بقليل من المفاجأة عندما جلس. (أجلس على الكرسي بجانبه) أخبرني أنك بدأت تفقد حذرك. رآك تدخل من مدخل الخدمة».

يرفع ديفون زاوية شفته العلوية بابتسامةٍ ساخرة: «هل يعتقد أنني دخلت المبنى بالصدفة في اللحظة التي وصلت فيها؟ (ثم يدير عينيه ويُضيف): إنه لا يلاحظني إلا عندما أريد أنا ذلك».

يضع ديفون شاشة وطابعة على مكتب غرفة الفندق، فأتأمل الصور المعروضة على الشاشة. أظهر أنا وأندرو في الإطار، لكن التركيز ليس علينا، بل على جورج. بينما كنت أتبادل الحديث مع أندرو، كان جورج في البهو، جالسًا على كرسيٍّ ذي جناحين، ممسكًا بجريدةٍ في يديه، لكنه في الحقيقة كان يراقبني.

- أعتقد أن جورج حصل على التسجيل الصوتي أيضًا. هل تمكّن من سماع كل ما دار بيني وبين أندرو؟
يضغط ديفون على بضعة أزرار ويعيد تشغيل المحادثة التي جرت بيني وبين أندرو.

- نعم، الرجل العجوز الذي كان يرتدي قبعة تايتنز. أعتقد أن الميكروفون كان مخبأً في عصاه، لأنه سلّمها لجورج على الرصيف خارج الفندق بعد أن غادر الطاولة.
أتأمل الشاشة، وبالفعل، أسند عصاه إلى طاولته موجّهاً إياها نحوي بزاوية.

- لم أكن متأكدةً من ردة فعل أندرو عندما يراني، لكن النتيجة كانت أفضل ممّا تمنيت.
جازفت بمجيئي إلى هنا، لكن كان واضحًا قبل ست سنوات أنه شعر بأنه مدينٌ لي، لذلك كنت واثقة من أن هذا الشعور سيعاوده. كنت بحاجة فقط إلى أن يُعبّر عن ذلك بصراحة، ولم يُخيب ظني. وأنا متأكدة أيضًا أن السيد سميث سيفسر الأمر بالطريقة التي أريدها. لن يظن أن أندرو سيساعدني فقط لطيفة قلبه، بل سيعتقد أنه مضطّرٌّ إلى ذلك لأن لديّ شيئًا ضده.

لطالما اعتقد السيد سميث أنني حصلت على معلوماتٍ حساسة عن أندرو مارشال واحتفظتُ بها لنفسِي. ولهذا السبب، من السهل عليه أن يصدق أنني

فعلت الشيء نفسه مع المعلومات المتعلقة بفيكتور كونولي. يظنُّ أنني استرجعتها من إيمي هولدر واحتفظت بها لنفسني بدلاً من تسليمها له. يبدو أن استئجار صندوق الأمانات هو ما جعل ولائي محلَّ شك. وحكم الإدانة يعني أن الشيء الوحيد الذي يمنعه من دفعي إلى أقرب مُسطح مائي هو محتويات صندوق بحجم 7x5 بوصات مُغلق خلف باب خزانة بنكية.

أسأل: «هل يكتفي كونولي بالانتظار أم يجب أن نقلق بشأنه؟». بضع نقراتٍ على لوحة المفاتيح، وتتغير الشاشة.

- حتى الآن، يكتفي بالجلوس والانتظار، لكنني أراقبه من كُتب.

أدقُّ إلى صورة الرجل المَعْنَى. من خلال بحثي الخاصة، أعلم أنه يبلغ من العمر سبعة وستين عامًا، لكنه يبدو أكبر سنًّا في الصور التي جمعها ديفون. ما تبقى له من شعره تحوَّل بالكامل إلى اللون الأبيض، وسنوات طويلة من التعرُّض للشمس لم تكن رحيمة ببشرته. لكن رغم مظهره الذي يُوحى بأنه مجرد رجل مُسن، لا شكَّ أنه خطر للغاية.

تمثل أعمال كونولي مزيجًا من الأعمال المشروعة وغير المشروعة، كما هو متوقع. إنه بحاجة إلى إظهار قُدرته على تحمُّل تكلفة السيارات الفاخرة والطائرات الخاصة والمنازل المنتشرة في جميع أنحاء البلاد. لكن الدخل الكبير الذي يُصرِّح عنه في إقراراته الضريبية لا يُقارن بما يجنيه من الوسائل غير المشروعة.

لهذا السبب، يبذل السيد سميث قصارى جهده لضمان بقاء فيكتور كونولي عميلًا راضيًا.

ولا أريد أن يجعلني السيد سميث كبش فداء لكونولي إذا بدأ يشعر بعدم الرضا.

ولهذا السبب، تحوَّلتُ أنا وديفون إلى الهجوم الآن.

علمت أن السيد سميث يمتلك المزيد من الأدلة ضدي، لكنني لم أرغب في انتظار اللحظة التي أواجه فيها هؤلاء المحققين لأكتشف ما هي. لذلك، أُجبره على كشفها الآن. يعتقد أنه سيُرهبني من خلال مشاركة ما تبقى لديه من أدلة

مع الشرطة، لكنني سعيدة بأن أدفعه لكشفها الآن بينما لا يزال بإمكانني فعل شيء حيالها. بينما لا تزال لدي فرصة للهرب إذا لزم الأمر.

أسأل: «كم من الوقت سيستغرق تحديد هوية السيد سميث؟».

كانت للرحلة الجانبية إلى أوكسفورد ثلاثة أهداف. أولاً، أردت أن أبدو غير متزنة قليلاً. أردت أن يشعر السيد سميث بأنني فقدت السيطرة ليقلق بشأن وجهتي التالية. من الصعب التنبؤ بالخطوة التالية لشخص يتصرف بشكل غير متوقع.

ثانياً، كنا بحاجة إلى معرفة كيفية تواصل العملاء معه. علمت أن المدرب ميتش لن يكون لديه سوى شخص واحد يلجأ إليه عندما أطرق بابه. مرحباً، كينج هارفيست.

وأخيراً، لم نتمكن من معرفة هوية السيد سميث الحقيقية، وهو ما نحتاج إليه بشدة في هذه المرحلة. من خلال اكتشاف موقع المُعجبين واسم المستخدم الخاص بالسيد سميث، يعمل ديفون على اختراق النظام ببطء، على أمل العثور على شيء يقودنا إليه.

- أقترّب.

هذا كل ما يقوله، ولا ألح عليه للحصول على المزيد.

يخرج الأوراق المكتوبة بخط اليد التي تركتها له تحت علبة التوينكيز بالأمس.

- ليس ذنبك أنه قتل جيمس وتلك المرأة.

أومئ برأسي رغم أنني كان يجب أن أتوقع أنه سيصل إلى هذا الحد، وكان يجب أن أقول لها المزيد في تلك الليلة قبل أن تغادر. كان يجب أن أحذرهما بطريقة ما.

- ألا تزال تعتقد أنه ينبغي علينا الانسحاب؟

ياخذ نفساً عميقاً ثم يزفره ببطء بينما يتفحص وجهي بعينه.

- أفضل الانسحاب وإعادة التقييم على أن نستمر في طريق يؤدي بك إما إلى السجن وإما إلى الموت.

أهزُ رأسي قبل أن يكمل حديثه: «لن يحميني الانسحاب الآن من أيٍّ من هذين الخيارين».

يصدر الحاسوب صوتًا من خلفه، مقاطعًا ما كان على وشك قوله. يظهر تنبيهٌ على الشاشة، ليكشف أنه تمكّن أخيرًا من اختراق نظام شرطة أتلانتا.

يقول: «سأفتح الملف الخاص بإيمي هولدر ونرى ما لديهم».

تمتلئ الشاشة ببضع صور، ويُضيف ديفون: «وفقًا لتواريخ هذه الإدخالات، تم تحميل هذه الصور قبل شهرٍ من وصولك إلى ليك فوربينج، لذا لا بدَّ أنها الأدلة التي استندوا إليها في إصدار مذكرة استجواب الشاهد الرئيسي».

نقترب كلانا من الشاشة لنلقي نظرةً أفضل.

يقول وهو يشير إلى إحدى الصور: «تلك الصورة التي تسحبين فيها إيمي من السيارة ليست أفضل لحظاتكِ».

أجيب: «لم يكن بوسعي فعل شيء آخر».

يواصل النقر للتنقّل بين الصور.

- أجدتِ حقًا إبعاد نفسك عن الكاميرا. هل كنتِ تعرفين أين كان ظلك حينها؟

نادرًا ما يكون جورج الشخص الذي يتبعني في أثناء المهام، إلا إذا كانت مهمة بالغة الأهمية، كما حدث عندما كنتُ بمفردي لأول مرة في مهمة المدرب ميتش. أن يكون ظلّي يعني الكثير من الوقت الضائع، وأنا متأكدة أن لديه أمورًا أكثر أهمية للقيام بها. غالبًا ما أتمكن من تحديد مَنْ يراقبني، لكن في بعض الأحيان، مثل تلك الليلة، لم أستطع. كان الظلام حالكًا لدرجة أنني لم أتمكن من رؤية أي شيء أبعد من ثلاثة أقدام.

أهزُ رأسي وأقول: «لا. أعني، في معظم هذه المواقف، استطعتُ تخمين مكان وجودهم جيدًا... أين سأكون لو كنت أنا من يراقب».

- حسنًا، ها نحن ذا. أُضيفت صورٌ جديدة للتو إلى ملفها، لنرى ما أرسله سميث. لا بدَّ أنك أثرتِ غضبه حقًا. لم يُضيع أي وقت.

توحي الملاحظة المرفقة بالصور بأنها أُرسِلت من مُحقّقٍ في قسم آخر،
عثر بالصدفة على هذا الدليل الحيوي في أثناء تحقيقه في قضيةٍ أخرى.
وعلى الرغم من أن ديفون يمكنه محوها من خادمهم الآن، فإن السيد سميث
سيعيد إرسالها لاحقًا. من الأفضل تركها في مكانها.

ببضع نقرات على لوحة المفاتيح، نتمكن من رؤية أحدث دليلٍ ضدي.
إنه مقطع فيديو.

يضغط ديفون على زر التشغيل، وها أنا ذا أظهر هناك.

الفصل الحادي والعشرون

اليوم الحالي

في وقتٍ متأخر بعد الظهر، أصل إلى موقف سيارات النُّزل. أرى رايان يذرع المكان ذهابًا وإيابًا أمام نافذة غرفتنا المفتوحة، واضعًا الهاتف على أذنه. يُنهي مكالمته ويخرج فورًا حالما أصف السيارة.

قبل أن أتمكن من إطفاء المحرك، يصل رايان عند باب السيارة.
- ظلت أحاول الاتصال بك.

أستطيع أن أرى انزعاجه لأنني تجاهلته طوال اليوم.

أقول له وأنا أميل نحوه لأقبله قبل أن يتمكن من الرد: «أرسلت إليك رسالة نصية أنني اتصلت بمكتب النُّزل في وقتٍ سابق وحجزتُ لنا ليلةً إضافيةً. (نبقى متعانقين لبضع دقائق كافية لتبديد أي قلق بشأن وجود مشكلةٍ بيننا) أسفة، استغرق الأمر مَّما توقعت».

توجَّب علينا اتخاذ قرارات ووضع خطط بمجرد مشاهدتنا الفيديو. لا بدَّ لي من الاعتراف بأن السيد سميث كاد أن يُغلق باب زنزانتي بالمفتاح. يتبعني رايان إلى داخل الغرفة ويراقبني بينما أخرج ملابس جديدة من حقيبتي.

- تحدثتُ مع راتشيل في وقتٍ سابق. ستصل أتلانتا بعد ظهر الغد. أملتُ أن نستيقظ مبكرًا ونتوجه إلى هناك حتى يكون لديكما بعض الوقت للتحضير قبل المقابلة يوم الجمعة. يبدو أن الرحلة تستغرق قرابة أربع إلى خمس ساعات.

- حسنًا.

أتحرك نحو حقيبتَي والتقط ملابس جديدة: «سأذهب لأغتسل».

يسألني: «جائعة؟».

- أتضور جوعًا.

- يوجد مطعم بيتزا بجانب محطة الوقود المجاورة. سأذهب لأحضر لنا بعض الطعام بينما تستحمين.

يقترُب مني ويمنحني قُبلة سريعة، ثم يغادر الغرفة.

أنقل أشيائي إلى الحَمَّام وأبحث في حقيبة أدوات التجميل عن مُسكن أدفيل. فقد عاد الصداع الذي أصابني هذا الصباح. أستطيع أن أعرف أن الزجاجة فارغة قبل حتى أن أخرجها.

أتردد للحظة فيما إذا كنت سأتصل برايان وأطلب منه أن يحضر لي المُسكن، أو أتوجه بنفسِي إلى آلة البيع الذاتي في ردهة المصعد، حيث أعلم أنه توجد مجموعة من العبوات الفردية مثل التي اشتريتها هذا الصباح. ينبض رأسي بشدة، لذا أختار الذهاب إلى آلة البيع الذاتي، لأن البيتزا قد تستغرق بعض الوقت.

لا أزال مرتديّة ملابسِي، لذا كل ما عليّ فعله هو ارتداء حذائي. أقترُب من وجهتي عندما أتوقف لسماعي حفيفَ محادثةٍ قادمة من المساحة المفتوحة حيث توجد آلات البيع الذاتية. قد يكون أيًا من الضيوف المقيمين هنا، لكن حدسي يخبرني أن أتوخى الحذر.

أقترُب بحذر. أستاذ إلى الجدار الطوبي خلفي، أبطئ من وتيرة تنفسي وأغلق عينيّ. أسمح لحواسي الأخرى بتولّي المهمة، على أمل أن أتمكن من تحديد ما يجعلني أشعر بهذا القلق. شهيقٌ عميق، وزفيرٌ بطيء.

أسمع صوتين، كليهما لرجل. أحدهما أعمق بكثيرٍ من الآخر.

أسترخي في مكاني، وأفتح حواسي للأصوات التي لا تبعد سوى بضعة أقدام. تصلني كلمات متفرقة، وسرعان ما ألتقط تلك التي تصيب الهدف: أتلانتا وإيمي هولدر.

أسحبُ هاتفي من جيبِي الخلفي وأرسل رسالة نصيَّة إلى رايان.

ابق في المطعم حتى أخبرك بالعودة. من فضلك لا تطرح أي أسئلة.

أضغطُ على زر الإرسال.

ثم أسمع الرنين المألوف القادم من اتجاه آلات البيع نفسه. ما. هذا. بحق الجحيم.

تستمرُّ أصوات الحديث الخافتة بينما أراقب النقاط الصغيرة تتحرَّك على الشاشة في أثناء كتابة رايان لرده. هاتفي على الوضع الصامت، لذا لا يصدرُ أي صوتٍ عند وصول الرسالة.

رايان: حسنًا، أخبريني بما تريدني مني أن أفعله.

- تبًّا، يبدو أنها شعرت بشيءٍ ما.

يملاً صوت رايان المكان، فأتجمَّد في مكاني. لقد اقتربا مني قليلاً.

ثم يأتي صوتٌ آخر أتعرفُ عليه فوراً.

- هل أخبرتك ما خطبها؟

جورج.

إنه يتحدث إلى جورج.

- لا، لم تقل شيئاً. لكنني بحاجة إلى العودة. سأخبرك عندما نصل إلى أتلانتا.

يسأل جورج بلهجة مشوبة بالقلق: «وماذا لو لم تصل في الوقت المناسب غداً؟».

أخذ نفساً عميقاً، لا، لا، لا يمكن.

يردُّ رايان: «سأبلغك بما سأفعله. لا أحبذُ كشف المعلومات بهذه الصورة». يجيبه جورج: «سأنتظر منك إشارة. (ثم يُضيف): تفضل، أحضرتُ لك هذا، لكنني لم أتمكن من تسليمه لك قبل مغادرتك المدينة».

أترجع بهدوءٍ بضع خطوات، ثم أسرع على طول جانب المبنى عائداً إلى غرفتنا.

يهتزُّ هاتفِي في يدي، يُنبهني لمكالمة واردة بينما أفتح الباب. تظهر صورة رايان على الشاشة.

لا أجيب حتى أدخل الغرفة.

- مرحباً.

- مرحباً، ما الأمر؟ هل أنت بخير؟

- نعم، أنا بخير. أخفتُ نفسي قليلاً.

يبدو صوتي مرتبكاً، لكنني آمل أن يتماشى مع ما أخبرته به، وليس بسبب ما اكتشفته للتو.

يقول: «أنا عائدُ الآن. انتظري، سأكون عندك خلال لحظات». وينتهي المكالمة.

أخلع حذائي وبنطالي الجينز، ثم أتوجه إلى الحمام. أشغل ماء الدش وألفُ نفسي بإحدى المناشف البيضاء الرفيعة. أمنح نفسي لحظةً لأخذ عدة أنفاسٍ عميقة في محاولةٍ لتهدئة نبضات قلبي المتسارعة.

ثم أسمع صوت الباب يُفتح.

- إيفي!

أطل برأسي من الحمام: «أنا هنا».

يكون بجانبِي في ثوانٍ، وذراعه تطوقاني بقوة. أضطر إلى إجبار ذراعيَّ على فعل الشيء نفسه.

- ماذا حدث؟

لو لم أعرف مع مَنْ كان يتحدث للتو، لتأثرتُ بقلقه.

أغلق عينيَّ وأعد حتى الرقم خمسة. شهيقٌ عميق، وزفيرٌ بطيء.

- لا شيء، أقسم لك. سمعت صوتاً في الخارج. تبين أنه أحدُ عمال النظافة أحدث ضجيجاً بالخارج.

أفتح عينيَّ لأرى انعكاس عناقنا القوي في مرآة الحمام خلفه. وألاحظ الأوراق الملفوفة كأنبوب مدسوسة في جيب بنطاله الخلفي. لا شك أن هذا ما أعطاه إياه جورج. مكتبة سر من قراً

أراقب صورتنا تختفي تدريجياً على المرأة مع انتشار بخار الماء في المكان الصغير. أعدُ الثواني بين قطرات الماء وهي تتساقط من الصنبور.

لأنني بحاجة إلى فصل نفسي عن هذه اللحظة. أحتاج إلى التركيز على شيء آخر غير الرغبة في الرد على ما سمعته للتو. أحتاج إلى وضع مسافة بيني وبينه، حتى لو كانت في ذهني فقط.

يقترّب فم رايان من أذني ويسأل: «هل أنت بخير؟». تصرفاته مثالية، كما يجب أن تكون، وأجد نفسي أعيد ذهنياً استعراض كل لحظة قضيناها معاً، بدءاً من تلك اللحظة الأولى في موقف السيارات عندما تعطلت إطارات سيارتي، أمعن النظر فيها بدقة متزايدة مع يقيني بتورطه. أومئ برأسي، غير واثقة من قدرتي على الحديث.

لقد التقى بجورج. وتحدث معه بالألفة نفسها التي قد أتحدث بها معه. مرت عليّ لحظات شعرتُ فيها أن رايان كان على وشك أن يهمس لي بكل سرّاً احتفظ به طوال حياته. حتى إنه تحدث بصراحة عن أعماله في تكساس في أثناء وجودنا في السيارة. وكثيراً ما أوشكتُ على الاعتراف له بكل شيء. لكنه كان يخدعني، بينما كنت مستعدة للمخاطرة بكل شيء من أجله.

يعميني الحزن، يُغطي أفكارِي، ويسيطر على كل ما بداخلي. يصعد بيديه حتى يصل إلى وجهي. يسحبني قليلاً إلى الخلف لينظر في عينيَّ. يبحث بعينه في عينيَّ، بينما أبحث أنا في عينيه.

يهمس: «ليس من عادتك أن تصابي بالفزع». وهو مُحق.

هل كان يراقبني كما كنتُ أراقبه؟ هل وصلته ورقة مكتوب عليها: تحبُّ البطاطا الحلوة المقلية وتضع ملعقتين من السكر في قهوتها؟

- كنت أعاني صداً رهيباً طوال اليوم. ثم سمعت ضجيجاً عالياً وأثر عليّ بشدة. (أنظر باتجاه الدش) من الأفضل أن أدخل قبل أن تنفد المياه الساخنة.

يُمرر يديه على ظهري مرة أخرى، ثم يبتعد قليلاً.

- أعطيت البائع عشرين دولاراً إضافية لتوصيل البيتزا إلينا، لذا يجب أن تكون هنا بحلول الوقت الذي تخرجين فيه.

لا أستطيع أن أوصد الباب بعد أن يغلقه خلفه، لأن هذا ليس شيئاً ستفعله حبيبته. أخطو تحت الماء الساخن، وهو الصدمة التي أحتاج إليها. مثل لكمية على الوجه. يزيل الضباب من عقلي لكنه لا يفعل شيئاً للحزن الذي استقرَّ في عروقي. أنا مُحطمة.

أمنح نفسي خمس دقائق لأحزن على ضياع احتمالية وجودنا معاً. خمس دقائق لأرثي ما كان يمكن أن يكون بيننا. خمس دقائق لأدمر فكرة أنني قد أكون تلك الفتاة التي تعيش في منزلٍ مثالي مع شابٍ مثالي في شارعٍ مثالي. وأتذكر أن هذا ليس عالمي.

أنا مجرد شبح مرّ في هذا العالم لبعض الوقت.

عندما أعود إلى الغرفة الرئيسية بملابس جديدة وشعرٍ مُبلل، أجد رايان يُفرغ الطاولة الصغيرة لنتناول عليها الطعام. كنت جائعة قبل نصف ساعة، لكن الآن مجرد التفكير في الطعام يجعلني أشعر بالغثيان.

لكنني أجلس إلى الطاولة وأجبر نفسي على تناول شريحة من البيتزا. أملاً الصمت بأحاديث عابرة وتافهة، لأن هذا ما ستفعله حبيبته.

يقول بعد أن أخذ الصناديق الفارغة إلى سلة المهملات في الخارج: «أخشى ألا يكون لديك وقت كافٍ مع راتشيل للاستعداد ليوم الجمعة». ألاحظ أن الأوراق لم تعد في جيبه الخلفي، وآمل أنها لم تُلَقَّ في القمامة أيضاً.

أجيب: «سنحظى أنا وراتشيل بوقتٍ كافٍ. أعدك. (ثم أستلقي على السرير، وأدثر نفسي بالأغطية) الجو باردٌ هنا. هل يمكنك تخفيف برودة الهواء قليلاً؟».

يتجه رايان إلى جهاز التكييف تحت النافذة ليضبط درجة الحرارة. يتجول في الغرفة لبضع دقائق ثم يتوجه إلى الحمام. لا يمضي وقتٌ طويل قبل أن ينزلق إلى الفراش بجانب. أسمح له بجذبي نحوه. لا يتحدث ولا يضغط عليّ من أجل أي شيءٍ آخر. نحن متلاصقان من الرأس إلى القدمين، وأشعر بنبضات قلبه الثابتة حيث يضغط صدره على ظهري. تمرُّ لحظات قليلة أشعر فيها أنه على وشك قول شيءٍ ما، لكن الكلمات لا تجد طريقها للخروج.

أُعيد تشغيل المحادثة بين رايان وجورج في ذهني مرارًا وتكرارًا.

- تبدين مُشتتة. هل تريدين التحدث عمّا يشغلك؟

يُشعرنني سؤاله الهامس بالقرب من أذني بالحميمية، كأننا نخوض حقًا هذا الأمر معًا.

- أنا متعبةٌ فقط.

لا يضغط للحصول على إجابة، بل يُمرر أصابعه خلال شعري بالطريقة التي يعرف أنني أحبها. يستغرق الأمر وقتًا قبل أن ينام أيُّ منّا.

الفصل الثاني والعشرون

اليوم الحالي

أستيقظ قبل شروق الشمس.

استغرقت وقتًا طويلاً حتى أتمكّن من النوم الليلة الماضية، وعندما نمْتُ أخيراً، كان نومي مضطرباً. ينام رايان دوماً بعمق في الساعة الأخيرة قبل أن يستيقظ لبدء يومه، لذا هذه أفضل فرصة للبحث عن الأوراق التي كانت بحوزته عندما عاد من لقائه مع جورج.

خَفْتُ قبضته عليّ خلال الليل، ممّا يسهل عليّ التسلّل من الفراش دون أن أوقظه. أزحف على الأرض بهدوء، متوجّهةً نحو حقائبه. لديه حقيبةٌ كبيرة تحتوي على ملابسه وأحذيته وأدوات نظافته الشخصية، وحقيبة لابتوب لأغراض عمله. فتشّطُ هذه الحقيبة عدة مرات، بحثتُ في الملفات على حاسوبه، وراجعتُ تاريخ تصفّحه للإنترنت، لكن بخلاف الأشياء التي وجدتُها سابقاً لصالح السيد سميث، فهو حذِرٌ جدّاً بشأن ما يتركه متناثراً حوله.

أدرك الآن أنه كان يعرف أنني سأفتش أغراضه، لذا لم أجد سوى ما أُرادني أن أجده. كم أنا غبية!

لكن الأوراق التي أعطاها إياها جورج يجب أن تكون هنا في مكانٍ ما، إلا إذا كان قد قرأها ثم تخلّص منها مع علب البيتزا.

يعمل جهاز التكييف تحت النافذة من جديد، ليُغطي على صوت فتح حقيبته. أُخرج الحاسوب المحمول أولاً لأنه يحتل مساحةً كبيرة. هناك مفكرةٌ صفراءُ يستخدمها لتدوين الملاحظات في أثناء حديثه مع العملاء، وكتيبٌ ذو سلكٍ حلزوني يحتوي على نشرةٍ لصندوقٍ استثماريٍ مُشترك سمعتهُ يُروّج له في بعض المكالمات التي أجراها منذ أن بدأنا رحلتنا.

أجد مجموعةً من الأوراق مخبأةً في الجيب الداخلي. أبدأ بتصفّحها، ورقة تلو الأخرى، يتعلق معظمها بأعمال الخدمات المالية. أتهياً لإمكانية أن الأوراق التي أبحث عنها ليست هنا، حتى ألاحظ أن الحواف في الأوراق الأخيرة تبدأ بالالتفاف، كأنها تستعيدُ شكلها السابق.

هذه هي الأوراق التي كانت ملفوفة.

عندما أنشرها أمامي، لا يستغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى أدرك ما هي.

تدوي أجراسُ الإنذار في رأسي.

هذه هي الدفعة الأخيرة من المعلومات التي تركتها للسيد سميث. سلمني ديفون إياها داخل مجلة «بيبول»، ثم راجعتها لتحديد ما أريد تسليمه. المُلاحظة الصغيرة المكتوبة بخط اليد بالحبر الأزرق في الزاوية السفلى من الصفحة الأخيرة، حيث أخبره بأنني سأتحقّق من الصندوق في اليوم التالي، تؤكد لي أن هذه هي النسخة الأصلية، وليست نسخة منسوخة، لأن كل ما كان معي في حقيبتي حينها هو قلم حبرٍ أزرق.

لا ينبغي أن تكون هذه الأوراق هنا.

أستدير لأتأمل شكل رايان النائب، ويبدأ اللغز في رأسي بإعادة ترتيب نفسه. حتى لو افترضت أن رايان يحتل مرتبةً أعلى مني، فلا ينبغي أن تكون هذه الأوراق بحوزته. خاصةً النسخ الأصلية. ولا أن يسلمها له جورج، الذي يبدو أنه التقطها من صندوق البريد وأحضرها مباشرةً له إلى هنا.

كانت فكرة أن السيد سميث يريد هذه الصفقة لنفسه هي السيناريو الأكثر احتمالاً، لكن ماذا لو كان الأمر أكبر من ذلك؟ لا يوجد خطرٌ من أن أفسد عملية استحواذٍ عدائية على عملٍ يمتلكه بالفعل. ولا يوجد سببٌ لإبقائي في مهمة ليست حقيقيةً.

يتسارع عقلي، يتعثر بين النظريات والتكهنات والشكوك، بينما يهمس جهاز التكيف بهدوء ورايان يغط في نوم عميق.

أكد لي اللقاء بين رايان وجورج أمس بعض الأمور. يعرف جورج مكاننا لأن رايان أخبره، والطريقة التي تفاعلا بها تعكس قرباً لا يتشكل إلا على مر الزمن.

قضيتُ سنوات أحاول أن أضع وجهاً للسيد سميث. والآن، وأنا أنظر إلى رايان الذي يبعد عني مسافة ثلاثة أقدام فقط، يصعب عليّ تصديق أنه قد يكون رئيسي الذي تعلّمتُ كُرهه.

لا، لا، هذا ليس صحيحاً. إنه صغيرٌ جداً. التواريخ لا تتطابق.

بينما أعيد كل شيء إلى الحقيبة بالطريقة نفسها التي وجدته بها، أستعرض ذهنياً كل محادثة أجريتها مع السيد سميث.

أول مرة تحدثت معه كانت قبل ثماني سنوات. في ذلك الوقت، كان رايان لا يزال في جامعة لوزيانا وليس له أي صلة بكارولينا الشمالية.

حوّلني السيد سميث إلى مات، الذي تعاملتُ معه بشكلٍ حصري على مدار العامين التاليين. لم أتحدث إلى السيد سميث مرة أخرى إلا بعد عملية أندرو مارشال قبل ست سنوات.

ست سنوات مضت.

أُصيب جده رايان بالسرطان قبل ست سنوات. تولّى رايان إدارة أعمال النقل، بكل جوانبها القانونية وغير القانونية، نيابةً عن جده، حتى يتمكّن الأخير من البقاء في المنزل لرعاية زوجته، وفي النهاية، استلم رايان إدارة العمل بالكامل بعد وفاة جده بفترة قصيرة.

هل هذا كل ما استلمه؟

لا.

لا.

سيذهب رايان معي إلى أتلانتا، حيث سألتقي مجموعةً من رجال الشرطة. هل يمكن أن يُعرّض نفسه لهذا الموقف؟

ثم أعود بذاكرتي إلى منزل آل برنارد. أرى تلك الغرفة الصغيرة حيث أجبنا على كل سؤال طُرح علينا. حيث علم ذلك المحقق أنني إيفي بورتر من بروكود، ألاباما، لأن رايان أخبرهم. إيفي انتقلت إلى هنا من بروكود، ألاباما، قبل بضعة أشهر. لم تكن تعرف جيمس. لا، لا، لا.

ثم أتذكر صباح الإثنين في المرأب. حيث أخرني رايان، وتجاهلتُ رسالة الطوارئ من ديفون. لأن رايان لم يكن مستعدًا لتركي بعد. أذكر تفكيري حينها: لو لم أتأخر مع رايان في المرأب، لرأيتُ رسالة ديفون فور وصولها. ربما تكون كُففتني تلك الدقائق القليلة فرصة للهروب النظيف.

لكن مهلاً. لا. رد السيد سميث على ميتش في ذلك المنتدى بعد مغادرتنا لأوكسفورد. كان رايان يقود السيارة حينها. أتذكر تلك اللحظة عندما رأيتُ الرسالة. كنت جالسة في المقعد الأمامي لسيارتي. كان رايان قد ملأها بالوقود وذهب إلى المتجر لشراء المزيد من الوجبات الخفيفة. كان في المتجر بينما كنت أتابع المحادثة بين السيد سميث وميتش.

تعود لي ذكرى اللقاء بين رايان وجورج، أُعيد مشاهدتها من منظورٍ مختلف. لا تزال الألفة بينهما واضحة، الألفة نفسها التي كنت أشعر بها مع جورج. لكن هذه المرة، يبدو أن رايان هو مَنْ يتخذ القرارات. يرجع جورج إليه، وهو مَنْ يسلمه الأوراق.

هذا العمل كان اختبارًا. اختبارٌ لولائي.

تَبَّأ، سيعرف رايان فورًا أنني عدلت المعلومات المتعلقة بأعماله قبل تسليمها. لديه دليلٌ قاطع على أنني لم أنفذ المهمة التي أرسلت من أجلها، وأنتني كنت قلقة بشأن فقدان عمله لصالح السيد سميث.

كنت أعلم أنني سأكون تحت المراقبة الدقيقة.

وما أفضل طريقةٍ لمراقبتي من أن أكون معه في المكان نفسه؟ لا.

لن أفكر في ذلك الآن. ليس بعد.

من السهل القفز إلى الاستنتاجات، لكن من الخطر بناءها على افتراضات.

أزحف عائدةً إلى جانبي من السرير، وألتقط هاتفِي من الطاولة الجانبية وأفتح تطبيق إنستجرام.

أتصفح حسابي حتى أجد منشورًا من «ذا سكيم» يلخص أهم خمس أخبار لهذا اليوم، وأعلق: هذا خبرٌ عاجل! مثيرٌ جدًّا بالنسبة لي! #على_الطريق_مرة_أخرى #فرد_واحد.

من المُحتمل ألا يرى ديفون هذا التعليق لبضع ساعات، لكنني بحاجة إلى أن يعرف أنني سأرحل وأترك رايان خلفي.

حالما يظهر تعليقي، ألتقط حقيبتِي ومفاتيحي، متخليّةً عن كل شيءٍ آخر. كنت قد خططتُ بالفعل للتوقُّف عند متجر النيّات الحسنة في أثناء مغادرتي للمدينة للحصول على ما أحتاج إليه للمضي قدمًا، لذا سأضطر فقط إلى إضافة بعض العناصر إلى قائمة مُشترياتِي.

يتردّد صوت فتح باب النُّزل في أرجاء الغرفة، لكن لحسن الحظ، لا يتحرك رايان. خلال دقائق، أكون في سيارتي وأغادر موقف السيارات. عندما أصل إلى الطريق السريع، أتخلص من الهاتف الذي كنت أستخدمه باسم إيفي بورتر في ليك فوربينج، وبفضل صندوق ديفون الأسود الصغير، إذا كان هناك جهاز تتبّع في سيارتي، فهو لن يقدم أي معلومات الآن. في السابق، أردت أن يعرف السيد سميث وجهتي، لكن ليس بعد الآن.

بعد ساعتين من القيادة، أتوقف لشراء هاتفٍ مُسبق الدفع وأتصل بديفون. أقول عندما تبدأ المكالمة: «مرحبًا». يسأل: «ماذا حدث؟».

أشرح له ما جرى، ونبقى صامتَيْن لبضع دقائق. أقول أخيرًا، دون أن أرغب في التلفُّظ بما أعتقدُه حول هُوية رايان الحقيقيّة: «أنت تعرف ما أفكر فيه».

- أفكر في الشيء نفسه، لكن دون افتراضات...

أقول قبل أن يُكمل: «نحن نتعامل فقط مع الحقائق». لطالما كان هذا شعارنا.

لا أزال في موقف سيارات المتجر الذي اشتريْتُ منه الهاتف، أذرع المكان ذهابًا وإيابًا بجانب سيارتي مرارًا وتكرارًا. أحاول إقناع نفسي أن السبب هو شعوري بالتبُّس، لكن في الحقيقة، الخوف هو ما يحركني.

يقول ديفون: «عدتُ إلى ليك فوربينج. سأتولى الجزء الخاص بي، وأنتِ اعنني بجزئكِ. (قبل أن أنهي المكالمة، يُضيف): أوشكت على اختراق لوحة الرسائل. احتفظي بهذا الهاتف حتى أتمكن من الوصول إليك إذا احتجت إليك، حيث أفترض أنك لا تستطيعين الوصول إلى حسابكِ على إنستجرام. فأخطار استخدامه منخفضة».

لستُ متأكدة من المعايير التي يستخدمها ديفون لقياس الأخطار مُقابل الفائدة في مثل هذه الحالات، لكنني أثق به بما يكفي لعدم التشكيك في منطقهِ.

- حسنًا. (أتوقَّف لحظة، ثم أضيف): إذا بدا أن الأمور لن تنتهي كما نأمل صباح الغد، اهرب فورًا. اترك ما تفعله واختفِ.

- إل، أنتِ تعرفين أنني لن أتخلّى عنكِ.

- بين السيد سميث والشرطة، كلانا يعرف أن فرص خروجي من هذا المأزق ضعيفةٌ جدًّا. وهناك أشخاصٌ آخرون يجب أخذهم بعين الاعتبار. هيدز، على سبيل المثال، ستحتاج إليك.

- وينطبق الأمر نفسه عليكِ. لم يفت الأوان بعد للانسحاب. انهضي فقط وغادري.

أقول: «سأتواصل معك عندما أنتهي اليوم». ثم أنهي المكالمة. بدا هذا الحديث بأكمله كأنه وداع، لكنني لم أستطع النطق بها فعليًّا.

أصل عند مُنتصف الظهيرة عندما أمرُّ بلافته «مرحبًا بكم في إيدن». كانت رحلةٌ طويلة توقفتُ خلالها فقط لشراء هاتف مُسبق الدفع للاتصال بديفون، وفي وينستون-سالم لشراء بعض الملابس من متجر النيّات الحسنة.

تتجول عيناوي في المدينة التي كانت يومًا بيتي. تتدفق الذكريات بسرعة كبيرة لدرجة أنني أكاد أغرق فيها. مطعم الوجبات السريعة الذي ترددتُ

عليه مع أصدقائي، ومتجر الأقمشة الذي قضيتُ فيه ساعاتٍ مع أُمِّي نتفحص البضائع الجديدة كل أسبوع، لا يزالا قائمين، لكن تلك المباني نالت منها السنون والإهمال. أنعطف إلى الطريق الذي يمرُّ أمام مدرستي الثانوية، ويُصبح التنفُّس شبه مستحيل عندما أرى المسار المتآكل عبر العُشب بين الباب الجانبي وموقف السيارات، ذاك المسار الذي سلَّكته آلاف المرات.

آخر مرَّةٍ لي هنا تبدو كأنها منذ عمرٍ مضى.

ومع ذلك، تلوح في ذاكرتي كأنها وقعت بالأمس.

ورغم أن كل شيء يبدو مألوفًا، فإنني لا أزال غريبة هنا. لا يوجد أحدٌ يمكنني الاتصال به أو زيارته.

أدير السيارة لمنعطفٍ آخر، لأجد نفسي في شارعٍ القديم. أقود إلى مُتنزه المقطورات وأترجِّل دون أن أطفئ المحرك. أتأمل كل واحدة من المنازل المتنقلة الصغيرة المترصَّة في هذا المكان، وأقارن بين ما بدت عليه في الماضي وما هي عليه الآن، مُسترجعةً ذكريات من سكن كل واحدة منها. أترك المنزل الأوسط على الجانب الأيسر ليكون آخر ما أتفحصه.

أشعر بالخجل عندما أفكر في مدى إحراج أُمِّي لو رأت هذا المكان في حالته الحالية. على الرغم من أنه لم يكن جذابًا حتى عندما كنَّا نسكنه، فإنها حرصت دائمًا على أن يكون مرتبًا ونظيفًا، وكانت تزرع الزهور في الأحواض الضيقة قُرب الدرجات. أما الآن، فقد امتلأت بالأعشاب الضارَّة، وتغطي قطعة قماش زرقاء بعض الأضرار في السقف، وشاحنة معطلة موضوعة على كُتل من الحجارة بجوار الباب.

يؤلمني تذكُّر الفتاة التي كنتُ عليها يومًا، الفتاة التي اعتبرت هذا المكان منزلًا. تلك الفتاة كانت سعيدة هنا، سعيدة حقًا. حتى عندما مرضت أُمِّي، اعتقدت تلك الفتاة الصغيرة الساذجة أنها قادرة على الاعتناء بها، وأنها يمكن إنقاذها من الموت.

لكن تلك الفتاة الصغيرة تعلَّمت الكثير في تلك المقطورة. تعلَّمت أنها مهما بذلت من جُهد، قد لا يكون ذلك كافيًا في بعض الأحيان. تعلَّمت أن الشخص الوحيد الذي يمكنك الوثوق به حقًا، والاعتماد عليه بشكلٍ كامل، هو نفسك.

تراقبني امرأة من خلف ستارة في المقطورة الأقرب إليّ، لتذكرني أنني لم أقُد كل هذه المسافة لاسترجاع ذكريات الماضي. هناك سببٌ واحد لعودتي إلى إيدن.

حالما أعود إلى سيارتي، أستدير وأعود إلى الطريق الرئيسي، وأتوقف في محطة شيتز للتزوّد بالوقود وتغيير ملابسني بسرعة في الحَمّام. ثم لا يستغرق الأمر سوى بضع دقائق للوصول إلى المنطقة الأحدث في البلدة، حيثُ تصطف المتاجر في صفٍّ طويل خلف نوافذ زجاجيّة كبيرة.

أركن سيارتي بالقرب من مكتب الدكتور براون في نهاية صف المتاجر، وأتوجه نحو الباب.

تسألني موظفة الاستقبال عندما أقترّب من مكتبها: «هل يمكنني مساعدتك؟».

- نعم، أرسلني قسم إدارة الممتلكات. نحن نفحص قواطع الكهرباء في جميع الوحدات. وقعت مشكلة كهربائية في متجر الحيوانات الأليفة الليلة الماضية، لكن لحسن الحظ تمكّن شخصٌ من السيطرة عليها قبل أن تتسبب في حريق. لن يستغرق الأمر سوى بضع دقائق.

كنت محظوظة بما يكفي للعثور على قميص زيّ رسمي وبنطال كاكي في متجر النّيّات الحسنة ممّا ساعدني في أن أبدو بالشكل المناسب.

تقول وهي تشير لي بالمرور: «آه! بالطبع، أخبريني إذا احتجتِ إلى أي شيء».

أمنحها ابتسامةً واسعة ثم أتجه نحو الجزء الخلفي من المكتب. لحسن الحظ، جميع الموظفين مشغولون مع المرضى في غرف الفحص، لذا لا يلاحظني أحدٌ عندما أ تسلل إلى داخل غرفة الميكانيكا. أتجاوز صندوق الكهرباء وأتوجه مباشرةً إلى الخادم الرئيسي، وأدخل محرك الأقراص الذي أخرجته من حقيبتني ثم أنفذ الخطوات التي كتبها ديفون، لضمان رفع الملفات بنجاح.

أخرج من الغرفة في غضون خمس دقائق. وعندما أعود إلى منطقة الاستقبال، أومئ للفتاة الجالسة على المكتب.

- كل شيء على ما يرام، استمتعي بيومك.

أغادر. إيدن للمرة الأخيرة بعد عشر دقائق.

أتصل بديفون وأقول في اللحظة التي يجيب فيها: «أنجزت المهمة».

يقول ديفون: «أرسل إليك لقطة شاشة الآن. رهاننا على المدرب ميتش

أتى بثماره. نعرف الآن مَنْ هو سميث».

تتسارع نبضات قلبي، فأوقف السيارة على جانب الطريق وأنا أنتظر

تحميل الصورة. وها هو يظهر أمامي. رغم أن الشاشة صغيرة، فإن وجهه

المألوف هو كل ما أراه. أحرق إليه أطول ممّا ينبغي.

أعيد الهاتف إلى أذني وأقول: «نحن نتعامل مع الحقائق الآن».

- نعم، نفعل. (يتوقف لثانية ثم يقول): لا يجب أن يُغير هذا أي شيء،

يا إل.

أبتلع رiqي بصعوبة: «أعلم. أجر اتصالاتك. أريد تولّي أمر الشرطة أولاً. ثم

سأهتم بمسألة البنك. إذا لم أستطع التخلّص من الشرطة، فلن يكون للباقي

أهمية، لذا هم الأولوية الآن».

- حسناً. تذكرني ما قلته لك. لم يُفْت أوان الانسحاب أبداً، كل ما عليك فعله

هو المغادرة.

أومئ برأسي رغم أنه لا يستطيع رؤيتي.

- وأنت تتولّى الأمور في لك فوربينج؟

- أتممت كل شيء. دخلت إلى المنزل دون أي مشكلة. سأبلغ الشرطة في

الصباح الباكر. وعندما تمرّين بالنهر التالي، تخلّصي من هذا الهاتف.

لا تحتفظي به معك عندما تلتقين الشرطة.

- سأفعل. سأشتري هاتفاً آخر عندما أصل إلى أتلانتا، لذا المرة التالية

التي ستسمع فيها مني ستكون بعد أن أنتهي من الحديث مع المُحقّقين.

وإذا لم أستطع الاتصال، ستعرف...

- لا، لا داعي للحديث عن هذا السيناريو الآن. سأنتظر مكالمتك.

ثم يُنهي ديفون المكالمة.

أحرق إلى الصورة لبضع دقائق أخرى قبل حذفها.

الاسم المستعار: ريجينا هيل-منذ ستة أشهر

هذه هي المرة الأولى التي أشعر فيها بالملل في أثناء أدائي لمهمة. أنا في ديكاتور، جورجيا، وكل ما حصلتُ عليه هو هويتي الجديدة، ورقم عضوية للنادي الريفي، واسم إيمي هولدر، بالإضافة إلى مجموعة من التعليمات:

تملك إيمي هولدر معلوماتٍ حساسة للغاية تتعلق بفيكتور كونولي وأعمال عائلة كونولي. وهي تُهدد باستخدام هذه المعلومات ضد فيكتور مقابل المال. لا أستطيع أن أؤكد لك بما فيه الكفاية مدى أهمية استعادة هذه المعلومات قبل أن تتمكن من تنفيذ تهديداتها. وثقت بك لتوِّلي هذه المهمة، والسرية أمرٌ بالغ الأهمية. لا نريد أنا ولا أنتِ مواجهة غضب رجلٍ مثل فيكتور كونولي. عليكِ مراقبة إيمي هولدر ومعرفة كل شيءٍ عنها. لا تتدخلِي حتى أخبركِ بذلك، ولكن كوني مستعدة للتصرّف في أي لحظة.

كالمُعتاد، تدفع إيمي الأبواب الزجاجية المُزدوجة للبار في تمام الساعة 5:25 مساءً. على مدى الأسبوعين الماضيين، كانت تبقى في المنزل حتى قرابة الخامسة مساءً، ثم تقود مسافة بسيطة تبلغ ميلين إلى هذا النادي الريفي، حيث تُغرق نفسها في مشروب الفودكا مارتيني حتى وقت الإغلاق.

يبلغ طول إيمي خمسة أقدام وسبع بوصات، ذات بنية رياضية وشعرٍ أشقر عسلي يصل إلى أسفل كتفَيها. مكياجها خفيف، ولا ترتدي أي مجوهرات، وهي تتمتع بتعبيرٍ دائم على وجهها يوحي بالجديّة والبرود.

بحلول الوقت الذي تجلس فيه على مقعدها المفضل، يُقدم لها الساقى، الذي يحمل شارة اسم مكتوب عليها «موريس» ويرتدي قميصًا مكوّياً يحمل شعار النادي، أول مشروبٍ من بين العديد من المشروبات، مبتسمًا بحرارة ومُرحّبًا بها بلهجةٍ مبتهجة. من الواضح أن ديفون اكتسب مزيدًا من الثقة والارتياح في لعب دورٍ فعّال على مدار السنوات القليلة الماضية.

يسألها: «هل تودين رؤية القائمة، يا آنسة هولدر؟».

تجيب: «ربما لاحقًا».

يردُّ وهو يبتعد: «بالطبع، أخبريني فقط عندما تكونين جاهزة».

يتكرر هذا الحوار أيضًا بشكلٍ ثابت: السؤال نفسه، والإجابة نفسها. هي لن تطلب رؤية القائمة، وهو لن يطرح سؤاله مرة أخرى، ولكن كل ما يتطلّب الأمر هو إيماءة طفيفة، وسيملاً كأسها في غضون ثوانٍ.

ترددتُ على هذا البار خلال الأيام الأحد عشر الماضية، ولكنها الليلة الثالثة على التوالي التي أقرر فيها الجلوس طوال الوقت، دون محاولة الاختباء بعد الآن. إنها تحتسي مشروبها وتتجاهل الجميع من حولها. إذا كان لديها هاتف، فلم تُخرجه ولا مرة واحدة لتنظر فيه. لا يوجد شخصٌ واحد هنا، وأنا من بينهم، لم يلقِ نظرةً على هاتفه ولو لمرة واحدة، حتى لو كان فقط للتحقق من الوقت.

لكن إيمي لا تفعل ذلك.

ستجلس إيمي في البار وتحتسي ما بين أربعة إلى ستة أكواب من المارتيني، ثم تأخذ حقيبتها وتقود المسافة القصيرة إلى منزلها، حيث تتمايل سيارتها أحياناً ذهاباً وإياباً على طول الخط الأصفر طوال الطريق. تعيش في منزلٍ من المنازل المتلاصقة ذات الطابقين، تزداد قيمته عن المُعتاد بفضل موقعه. ستستيقظ في صباح اليوم التالي وتُعيد الروتين نفسه من جديد.

وبما أنه لا توجد طريقة لدخول منزلها دون أن أفقد مراقبتها، فإن البقاء في هذا النادي هو خيارى الوحيد.

من مكاني في الجهة الأخرى من الغرفة، أراقب المجموعات وهي تأتي وتذهب تمامًا كما أفعل كل ليلة. يمتلئ البار بالأعضاء العائدين من جولات الجولف والتنس، سواء للاحتفال أو لمواساة بعضهم بعد خسارة اللعبة. أما المطعم فيستقبل العائلات الباحثة عن عشاء خارج المنزل. كلتا المنطقتين تعجّان بالضوضاء والفوضى.

بدأ الجلوس هنا والانتظار يُرهقني.

عادةً ما أحصل على بعض الوقت قبل بدء المهمة، ولكن خلال أربع وعشرين ساعة من تلقّي التعليمات من السيد سميث، كنت أعبرُ حدود مدينة «يكاتور». وبسبب وصولي السريع، افترضتُ أنني سأبدأ في تنفيذ المهمة فوراً، لكن طُلب مني عكس ذلك تمامًا. والآن، مرَّ أسبوعان وكل ما قمتُ به هو مراقبتها وهي تحتسي عشاءها.

هذا لا يعني أنني لا أفهم ما يجري هنا.

السبب في أنني لا أزال في وضع الانتظار هو أن هناك شخصًا آخر يعمل وراء الكواليس محاولًا إبرام صفقةٍ معها أن تُعيد المعلومات بمحض إرادتها. ولا يرجع ذلك إلى طيبة قلبهم معها، بل لأن هذه هي الطريقة الأفضل لضمان استعادة كل ما أخذته.

الشيء الوحيد الذي يحمي إيمي في الوقت الحالي هو احتفاظها بمواد الابتزاز. وبغضّ النظر عمّا إذا كانت ستُسلمها طواعية أو سأضطر إلى أخذها منها، فإن اللحظة التي ستفقد فيها هذه المواد، ستواجه غضب السيد سميث وعائلة كونولي بالكامل.

وكما نُبّهت بعد عملية تايت، لا أتوهم أنني أعمل بمفردي هنا. إيمي هولدر أصبحت الأولوية المطلقة للسيد سميث، لذا لن يُترك أي شيء للصدفة.

أتحرك نحو البار، وأختار مقعدًا يبعد ثلاثة مقاعد عن مقعدها، تاركةً مساحة واسعة بيننا، وأشير للساقى لطلب كأسٍ أخرى من النبيذ. يضع ديفون الكأس أمامي ويسأل: «هل تودين رؤية القائمة؟».

أقول بابتسامة: «لا، شكرًا». ثم يتحرك لمساعدة مجموعة أخرى على الجانب الآخر من البار. على الرغم من أنني لست متأكدة مما إذا كنت سأحتاج إليه في هذه المهمة، فإنني وصلت إلى مرحلة لا أُرغب فيها بتنفيذ أي مهمة من دونه. أصبحنا نُشكل فريقًا لا ينفصل.

تقول إيمي: «أنتِ جديدة هنا».

أخذ لحظةً لألقي نظرة حولي، لأتأكد إذا كانت تتحدث إليّ. وعندما يتضح أنها تقصدني، أجيب: «نعم، انتقلتُ إلى المدينة للتو». أدير مقعدي لمواجهتها، مهيئةً نفسي لإمكانية بدء محادثةٍ معها.

تفحصني من أعلى إلى أسفل، ثم تعود إلى كأس المارتيني الخاصة بها.

- أعرف ما تبحثين عنه، لكنكِ لن تجديه هنا.

تحرك إصبعها في مشروبها ثم ترفعه إلى شفيتها، لتمتص السائل منه.

- لن تجديه! أخبري جماعتك!

لا أستطيع إلا أن أراجع قليلًا بعد غضبها المفاجئ.

ترفع إيمي كأسها إلى شفيتها وتأخذ جرعةً عميقة، تُنهي ما تبقى في الكأس، ثم تُلوح بالكأس الفارغة في الهواء.

- لن تجديه أبدًا، أبدًا!

يعلو صوتها بما يكفي لجذب انتباه عدّة رؤوس نحوها.

تستدير نحوي، وتمنحني ابتسامةً عريضة كاشفة عن أسنانها، ثم تعود لمواجهة البار.

تهمس بصوتٍ مُرتفع: «اختفى».

تعرفت على الرجل الذي أُرسل لمراقبتي في أثناء مراقبتي لها قبل بضعة أيام. رجلٌ مُسنٌ يجلس في الزاوية الخلفية من الغرفة، يرتدي ملابس تُوحي بأنه أنهى للتو جولة من الجولف. أعلم أن هناك احتمالاً كبيراً أنه يُرسل تحديثات فورية إلى السيد سميث حول ما يحدث الآن، لذا يجب أن أتصرف بحذرٍ شديد، حيث تلقيت تعليماتٍ بعدم التعامل معها. لا أريد أن أُستبعد من هذه المهمة.

أقول: «أعتقد أنك تخلطين بيني وبين شخص آخر. لا أعرف عما تتحدثين». ثم أعود لمواجهة البار وأرتشف من كأس النبيذ أمامي. سيغضب السيد سميث إذا تسببت في انهيارها.

أراقبها من زاوية عيني، وألاحظ أن كتفيها تهدلتا، كأنها تشعر بالإحباط مني. أراقبها لبضع ثوانٍ، ثم يضيء وجهها بابتسامة عندما يصل كوكيتل آخر أمامها.

تصرخُ بسعادة: «موريس! بطلي!».

يتلاشى اهتمام الحشد بها، ويعلو الضجيج مجدداً مع استئناف المحادثات من حولنا.

أدير مقعدي قليلاً في اتجاهها حتى أتمكن من مراقبتها بسهولة أكبر. تلاحظ أنني استدرت نحوها، فتفعل الشيء نفسه.

- جئت إلى النادي أول مرة يوم الإثنين قبل الماضي في الساعة السادسة وسبعة عشر دقيقة مساءً. كنت ترتدين تنورة تنس زرقاء فاتحة وبلوزة بيضاء دون أكمام. شعرك كان مربوطاً للخلف. طلبت فودكا بالتوت البري. في الليلة التالية، وصلت هنا في الخامسة وخمس وأربعين دقيقة مساءً، مرتدية فستاناً مزهراً. احتسيت كأسين من الشاردونيه.

تلوّح بعصا الشراب البلاستيكية نحوي وهي تسرد بدقة وقت وصولي في كل زيارة لي هنا، بما في ذلك ما تناولته من طعام وشراب وما ارتديته، ويرتفع صوتها مع كل جملة.

- وفي كل ليلة، تتبعني سيارتك اللكزس الزرقاء الداكنة إلى المنزل. بل إنها تذكر حتى رقم لوحة السيارة.

ألقي نظرة سريعة حول الغرفة، وألاحظ أننا جذبنا انتباه الجمهور مرة أخرى. يحدق إلينا ظلّي من الزاوية الخلفية بشكلٍ علني. واجهت موقفاً كهذا مع امرأة ثملة أخرى، جيني كينجستون. تجتاح ذاكرتي صورتها وهي مستلقية على الأرض والدم يتجمّع حول رأسها، إلى جانب السؤال الذي طرحه عليّ رئيسي بعد ذلك: ماذا كنت ستفعلن لو لم تسقط من تلقاء نفسها؟ إنه سؤال يطاردني منذ ثماني سنوات.

عليّ محاولة إنقاذ الموقف.

- أنا جديدة في المدينة، وهذا المكان بدا لي الأفضل للتعرف على الناس.
- أفهمك. أعلم أنهم يريدون استعادته، لكننا نعلم أن تسليمه يعني موتي.
ألقي نظرة حول البار، باحثة عن أي كاميرات أو ميكروفونات لأحدد مدى ما يمكن أن يسمعه السيد سميث عمّا حدث بيننا الليلة. لا يوجد شيء واضح، لكن لا يمكنني استبعاد وجود أيّ منها، لذا أواصل التظاهر: «لست متأكدة عمّا تتحدثين عنه، لكن إذا كنت بحاجة إلى مساعدة، يمكنني...».

- أنت لست هنا لمساعدتي. لا أحد يمكنه مساعدتي. لكن لم يكن لديّ خيار. كنت سأموت لو لم آخذها. (لا تمنحني فرصة للرد، بل تقول):
ابتعدي عني فقط، كفاك.

ثم تعود لاحتساء مشروبها.

أبقى في البار حتى أنتهي من احتساء كأس النبيذ وأدفع حسابي، ثم أنزلق من على المقعد وأغادر البار.

عند وصولي إلى سيارتي، أقود بشكل تلقائيّ إلى الشقة الصغيرة التي أعدت لي. لا شك أن السيد سميث علم بالفعل بالمشهد الذي أحدثناه في البار. لا أعتقد أن ما حدث الليلة سيكون كافياً ليقرر سحبي من المهمة، لكنه بالتأكيد سيقبني من كتب أكثر من أي وقت مضى الآن.

يستغرق الأمر مني ثلاثة أيام قبل أن أخطو خطوتي التالية. أختبئ في الجهة المُقابلة لمنزلها، في انتظار عودتها إلى المنزل. وصلتني مجموعة التعليمات الثانية في صباح اليوم التالي لمواجهة إيمي لي في النادي الريفي. كنتُ على حق؛ السيد سميث لم يكن راضياً عني.

قدمتُ الجدول الزمني بسبب عجزك عن اتباع التعليمات البسيطة. استخدمني كل الوسائل الممكنة لتحديد موقع أي جهاز رقمي واسترجاعه، سواء كان هاتفًا محمولًا، حاسوبًا،

جهازًا لوجيًا، قرصًا صلبًا، وما إلى ذلك... عليك أن تأخذي منها أي شيء يمكنه تخزين المعلومات الرقمية. لا حاجة إلى أن أذكر بمدى حساسية هذه المعلومات وكيفية التعامل معها.

تخليًا عن أي محاولة للتحلّي بالحرز، والتحذير هنا واضح؛ المعلومات التي أستخدمها لا يجوز لغيره الاطلاع عليها، وإلا سأجد نفسي في الموقف نفسه الذي وجدت فيه إيمي هولدر نفسها. لا يُسمح لي بالتودد إليها، أو الاقتراب منها، أو إطالة الأمور. يجب أن آخذ كل شيء منها فورًا.

تُضيء مصابيح سيارة إيمي ساحة المنزل وهي تدخل في ممرها الضيق، بالكاد تتفادى عجلة سيارتها اليمنى سلة القمامة. يبدو أن الليلة كانت من تلك الليالي التي تحتسي فيها خمسة أكواب من المارتيني على الأقل. ينطفئ المحرك، لكن باب السائق لا يفتح.

تمرُّ الدقائق دون أن تخرج إيمي من السيارة. أنتظر حتى تمضي عشر دقائق قبل أن أغادر مكان اختبائي وأسير ببطء نحو الممر حيث توقفت سيارتها. عندما أقترب بما يكفي، أرى جسدها المترخي متكئًا على عجلة القيادة.

أفتح باب السائق وأمسك بها قبل أن تسقط على الرصيف. أبحث في حقيبتها عن المفاتيح وأضعها في جيبِي. أُمسك بإيمي من تحت ذراعيها وأجرُّها من السيارة وأصعد بها الممر. تفقد حذاءها الأول، ثم الثاني. تجتاحني رغبة في رفع إصبعي الوسطى لكاميرا المراقبة التي أعلم أنها موجهة نحوي، لكنني أقاوم تلك الرغبة وأحاول إدارة ظهري ناحية الشارع قدر الامكان. أتحرك ببطء وثبات حتى نصل إلى الباب الأمامي. وعندما أفتح الباب، يستقبلنا الصمت المريح.

لا أتوقف حتى أضعها على الأريكة. حالما تستلقي، أعود إلى الخارج لألتقط حذاءها وحقيبتها، وأستغل اللحظة لتفتيش سيارتها. إنها نظيفة وفارغة تمامًا كيوم استلامها من المعرض.

أبدأ في التجوّل في منزلها، لأنه في هذه المرحلة، لا أستبعد أن يكون السيد سميث قد كلّف أحدهم بمراقبة المنزل من خلال النوافذ للتأكد من أنني أؤدي مهمتي. المنزل مُرتّب ونظيف مثل سيارتها. لا يوجد أي أثر لأجهزة تقنية هنا. هناك هاتف أرضي، لكن لا يوجد هاتف محمول أو حاسوب أو جهاز لوحي من أي نوع. ولا توجد شواحن تدل على وجود هذه الأجهزة في مكان آخر. هناك تلفاز واحد، ولكن القنوات التي يستقبلها تأتي فقط من الهوائي المثبت على السطح. أتحقق من جميع الأماكن التي قد تخفي فيها شيئاً، لكن يبدو أن المنزل لم يدخله شيء منذ عام 1980.

أبحث حتى عن دفاتر ملاحظات أو أوراق قديمة، في حال استخدامها للطرق التقليدية. لا شيء.

أجلس على كرسيّ وأراقبها وهي نائمة لبعض الوقت قبل أن أقرر إنهاء الليلة ومغادرة منزلها.

انتقلت إيمي إلى فندق في وسط مدينة أتلانتا في اليوم التالي لتفتيشي لمنزلها. كان ذلك قبل أربعة أيام. الآن، أنا في سيارتي أراقبها وهي تترنح خارجة من بار في الزاوية كما تفعل عادةً عندما تتناول أربعة أكواب على الأقل من المارتيني.

أتلقي تعليمات جديدة يومياً تقريباً، حيث إن سلوك إيمي يتغير بسرعة كبيرة. آخر تعليمات تلقيتها تشير إلى أن السيد سميث قد فقد صبره تماماً.

تخرج إيمي عن السيطرة. أحضرها فوراً. لا مجال للتفاوض.

أحضرها فوراً. هذا أمرٌ جديد عليّ. وأين أحضرها بالضبط؟ هل أقبض عليها وأنتظر أن يأتي أحدهم إليّ؟ أم أضعها في صندوق السيارة؟ يتصرّف السيد سميث بشكلٍ غير متزن تماماً مثلها. إنه في حالةٍ من الذعر، ولا يسعني إلا أن أتساءل عن مدى الضغط الذي يتعرّض له من فيكتور كونولي لحل هذه المسألة.

أخرج من السيارة بسرعةٍ وأعبر الشارع، محافظَةً على مسافة معقولة خلفها.

تخطو إيمي إلى الشارع حالما يتحول ضوءُ عبور المُشاة إلى الأخضر. يتطاير معطفها الأحمر الفاقع خلفها بينما تصطدم بالناس الذين لا يفسحون لها الطريق بسرعةٍ كافية. تكاد تتعثر على الرصيف عندما تصل إلى الجانب الآخر. إنها تجذب الأنظار إليها بشكلٍ مُحرج.

تتجاهل مجموعة السياح أمامها، وتندفع عبر الرصيف باتجاه فندقها. تتوقف إيمي هناك، فأحيد إلى اليمين لأبتعد عن الشارع دون أن أقرب منها كثيرًا.

وقفت في منتصف الطريق المخصص للمُشاة، فيصطدم بها المارّة وهم يحاولون المرور، تدور حول نفسها حتى تتوقف وتواجهني. تتعلق عيناها بعينيّ. تبدو علامات التعرّف عليّ واضحةً على وجهها.

ترفع يدها وتشير بإصبعها نحوي: «أنت. ماذا تفعلين هنا؟ ظننت أنني قلت لك ابتعدي عني».

أترجع بضع خطوات، متجهة نحو الزاوية، لكن قبل أن أتمكن من الهروب، تقترب مني إيمي صارخة: «عودي وأخبري ذلك الحقير سميث أن يذهب إلى الجحيم. هو ليس ذكيًا كما يعتقد. كان يخدع الناس لسنوات، ولديّ كل التفاصيل! لديّ معلوماتٌ عنه أكثر ممّا يتخيل!». يتسع العبوس على وجهها، ثم ترفع إصبعها الوسطى لي قبل أن تستدير وتتوجه بخطى ثابتة إلى بهو الفندق، كأنها لم تفقد أعصابها للتو في الشارع.

ترتسم أثار الصدمة ممّا قالته للتو عن السيد سميث على وجهي، لكنني سرعان ما أُعيد ملامحي إلى ذلك القناع الخالي من التعبير الذي قضيت سنواتٍ في إتقانه، لأنني أعلم أنني مراقبة الآن. أتفحص الشارع، باحثة عن الرجل المُسن الذي زرعه السيد سميث هنا. ستكون هذه هي المرة الأولى التي يسمع فيها أن المعلومات الحساسة التي سرقتها إيمي لم تكن تخصّ عميلًا فحسب. ولا شك أنه سيكون غاضبًا بشدة عندما يعلم ذلك. فهو بالكاد يثق بي فيما يتعلق بما أخذته من معلومات عن فيكتور كونولي، لذا من المستحيل

أنه يكون قد أرسلني إلى هذه المهمة لو علم أن هناك احتمالاً بأن أُستعيد معلومات تخصُّه هو.

آخر شيءٍ يريده هو أن أُستعيد شيئاً يمكن استخدامه ضده. شيئاً يمكنني استخدامه ضده.

أمضيتُ سنواتٍ أبحث عن معلوماتٍ عنه. أي شيءٍ على الإطلاق يمكن أن يدلني على هويته الحقيقيّة. لديه كل الحق في القلق بشأن ما سأفعله إذا حصلتُ على معلومات تخصه.

افعلي كل ما يلزم لإنقاذ نفسك وإنجاز المهمة. ترسخت هذه النصيحة التي قدمها لي السيد سميث في بداية مشواري في ذهني. إنها النصيحة التي أسمح لها بتوجيهي في كل مُهمة.

هذه المهمة لم تنتهِ بعد.

اتَّبعتها إلى الداخل، ملتزمة بالخطة التي وضعتها. استغرق الأمر بضع دقائق للوصول إلى الباب الذي يؤدي إلى قسم خدمة الغرف. أجد حقيبة في إحدى خزائن الإمدادات تحتوي على زيٍّ خادمة الفندق. أبادل ملابسني بسرعة، ثم أرفع شعري الداكن في كعكة مُحكمة. أبحث في الحقيبة، لأجد الميكروفون وسماعة الأذن في الأسفل. حالما أثبت الميكروفون داخل ياقة الزيِّ وأضع سماعة الأذن في أذني، أكون جاهزة للانطلاق.

عادةً ما يعارض ديفون استخدام هذا النوع من التقنيات لأنه يمكن التقاط ترددتها بسهولة إذا اقترب أحدهم مني، ولكن ليس لدينا خيارٌ آخر.

- أنا جاهزة.

أسمع ديفون في سماعة الأذن يقول: «يمكنك البدء. خذي حذرك».

دخل المبنى بالأمس لاختراق نظامهم، وهو الآن يدير العملية من شاحنة متوقفة على الرصيف. سيبقي عيناً على تحركاتي والأخرى على نظام المراقبة بالفندق. تعتمدُ الخطة على تعطيل الكاميرات عندما تكون المنطقة التي أحتاج إلى عبورها خالية، ثم سُعيد تشغيلها بعد تجاوزي لها. سأتنقل في الفندق على مراحل، متجنباً الظهور في الكاميرات التي تملأ رأسي.

تصطفُ عربات التنظيف جانبًا، في انتظار نوبة العمل الليلية لإعادة تزويدها بالمستلزمات، حيث نُظفت جميع الغرف قبل ساعات. ألتقط أقرب عربية، وأضع حقيبتَي السوءاء في المساحة المخصصة للملاءات المتسخة، ثم أستدعي المصعد.

- المصعد فارغ. سأنتظر حتى تخلو الردهة قبل أن أفتح الأبواب.

أقول: «مفهوم».

تنتفتح الأبواب وأدفع العربية إلى الداخل، وأضغط على زرّ الطابق الخامس. عندما تنفتح أبواب المصعد، أُحرك العربية إلى الردهة.

يقول ديفون: «انتظري هناك. خرجت إيمي للتو من المصعد الرئيسي وهي في طريقها إلى غرفتها. نحتاج إلى أن تظهر على الكاميرا، لذا لن أوقفها حتى تدخل غرفتها».

أنظر إلى ساعتِي.

- لماذا تستغرق كل هذا الوقت؟ كان من المفترض أن تكون داخل غرفتها بالفعل.

أنقل نظري بين طرفي الردهة، وأنا أدعو ألا يقرر أحدُ الخروج من غرفته الآن. لا أريد أن يذكر أي شخص وجود خادمةٍ تدفع عربية تنظيف في هذا الطابق في هذا الوقت من اليوم.

- تقف عند باب غرفتها. تحاول للمرة الخامسة إدخال بطاقة المفتاح في الفتحة المخصصة لها.

أتمتم: «يا إلهي».

- حسنًا، دخلت. بإمكانكِ التحرك الآن.

أتحرك فورًا، أدفع العربية عبر الردهة ثم أستدير باتجاه غرفة إيمي عندما أصل إلى الردهة الرئيسية.

أتوقف فجأة أمام بابها، وأطرق على الباب مناديه: «خدمة الغرف!».

لم تمضِ أقل من دقيقة قبل أن تفتح إيمي الباب. لا أمنحها فرصةً لقول أي شيء، بل أدفع العربية داخل الغرفة، ممّا يضطرها إلى التراجع، ثم أترك الباب يُغلق خلفي.

الفصل الثالث والعشرون

اليوم الحالي

أصل إلى فندق وستين في وسط مدينة أتلانتا في الوقت المحدد تمامًا. تنتظرني راتشيل في البهو، رغم أنني أستطيع أن ألاحظ أنها غير راضية لأنني وصلت في اللحظة الأخيرة.

نظرًا إلى عدم حضوري للموعد المحجوز لي في فندق كاندلر، وتجاوزي للموعد النهائي المحدد لي في البنك، كان عليّ أن أضبط وقت وصولي بدقة. تقول بينما أقترّب منها: «لم أكن متأكدة من قدومك».

ألمح الشخص الواقف على بُعد أقدام قليلة خلفها. أقول لها: «وعدتك أنني سأكون هنا».

يسأل رايان وهو يقترب منّا: «هل يمكنني التحدث معك؟».

تقول راتشيل: «اتصل بي وأخبرني أنك تركتني». لا يفوتني نبرة صوتها أو رفع حاجبها، لكنني أتجاهل ذلك.

أنظر إلى راتشيل: «يبدأ موعدنا بعد دقائق قليلة، أليس كذلك؟».

تنظر راتشيل إلى ساعتها ثم تشير لي لأتبعها إلى المصعد.

- رايان، دعنا نتجاوز هذا الأمر أولاً ثم سنحل الباقي، حسناً؟

تظن أننا نخوض مشادة بسيطة بين عاشقين. لا أصحح لها ذلك.

يجلس رايان على كرسيٍّ في البهو ويشاهدنا حتى تُغلق أبواب المصعد. عندما نصل إلى طابقنا، أدفع رايان عن ذهني وأركز على المهمة التي تنتظرني.

أسأل راتشيل: «كيف تمكنتِ من تحقيق ذلك؟». أنا مندهشة حقاً من قدرتها على نقل اللقاء من مركز الشرطة إلى إحدى قاعات الاجتماعات في هذا الفندق. إنها بارعة، ولا بدّ أن أعترف بذلك.

- لم نكن على علم بوجود مذكرة استجواب، وسافرنا كل هذه المسافة للإجابة على أسئلتهم. نوجد هنا بحُسن نية لوضع حدٍّ لسوء الفهم هذا، وبالتالي كان الذهاب إلى مركز الشرطة طلباً مبالغاً فيه.

أشعر بالامتنان لأنها تقف في صفّي في هذه المسألة، ولكن بعدما شاهدت الفيديو الذي تلقته الشرطة، أعلم أنهم ربما وافقوا على طلبها حتى لا يتسببوا في خوفي ومن ثم احتمالية عدم حضوري.

تقول بينما نسير في ممرٍّ حيث تقع قاعات الاجتماعات: «تذكري، لا تجيبي على أي شيءٍ إلا إذا أعطيتكِ الإذن. ولا تُقدمي أيّ معلوماتٍ إضافية».

أومئ برأسي بينما تراقبني. نتوقف أمام بابٍ يحمل لافتة «الغرفة 3».

- كنت أيضاً سأخبركِ بالأ تظهري مشاعرك، لكن يبدو أنكِ أتقنتِ ذلك.

يجعلني ذلك أبتسم قليلاً، لأنها.. يا إلهي، لو تعلم فقط الحقيقة.

تفتح الباب وأتبعها إلى الداخل. توقعت رؤية غرفة تقليدية بها مائدة طويلة وكراسي مصفوفة، لكن ما وجدته كان أكثر حميمية ودفئاً. إنها غرفة صغيرة تحتوي على كرسيين كبيرين وأريكة تحيط بطاولة قهوة، بجوار جدار من النوافذ الشاهقة الممتدة من الأرض إلى السقف، مع إطلالة رائعة على أفق أتلانتا.

تقول وهي تتجه نحو وسط الغرفة: «المهم هنا أننا نتعاون وليس لدينا ما نخفيه. (تلاحظ اندهاشي من تصميم المكان وتُضيف): أحببتُ الإطلالة. كيف يمكن أن يحدث شيءٌ سيئٌ في مكانٍ ينبض بالدفء والترحيب كهذا؟».

هناك إبريق قهوةٍ ساخن وصحن من الكعك بالتوت البري يتوسط طاولة القهوة.

تقول راتشيل وهي تشير إلى الكرسي على يسار الأريكة: «اجلسي على هذا الكرسي. وسأجلس على هذا. أما المحققون فيمكنهم التكدُّس معًا على الأريكة بيننا».

أستقر في مقعدي بينما تضع حقيبتها بجوار الطاولة.
- لن أخفي عليك، أشعر بأنني غير مستعدة تمامًا. لم نحظْ بلحظةٍ
لنتحدث عن ذلك اليوم وكيف سنتعامل مع هذا الأمر.
أميل للخلف في مقعدي واضعة ساقًا فوق الأخرى وأنا أقول: «أريدك أن
تثقي بي وتتبعين توجيهاتي».

تراقبني راتشيل من الطرف الآخر لطاولة القهوة، وأدرك تمامًا أن لديها
الكثير من الأسئلة، لكن لحسن الحظ لم تطرح أيًا منها. قبل أن يسود أي
صمت مُخرج، نسمع طرْقًا على الباب.

تقول راتشيل وهي تنهض لتفتح الباب: «حان دورك». تتنحى جانبًا
ليتمكن رجلٌ وامرأة من دخول الغرفة. أبقى في مكاني، لأدعهما يقتربان مني
لتقديم أنفسهما والمصافحة.

يقول الرجل عندما يقفا أمامي: «أنا المحقق كروفتون وهذه المحققة
ويست».

من موقعها أمام الكرسي الآخر، تشير راتشيل نحو الأريكة وتدعوها
للجلوس. تنظر المحققة ويست إلى الأريكة، ثم إلى راتشيل، وأخيرًا إليّ. تدرك
أنها لن تكون قادرة على النظر إلينا نحن الاثنين في الوقت نفسه.

يترددان لبضع ثوانٍ، لكنهم في النهاية يجلسان على الأريكة. يستغرق
الأمر دقيقة أخرى أو قرابة ذلك قبل أن يجدا وضعا مريحًا ويستعدا للبدء.

المحققة ويست امرأةٌ بيضاء نحيلة، ترتدي ما يبدو أنه زيُّها المعتاد منذ
عقد من الزمن: قميصٌ أبيض، سترةٌ سوداء، وسروالٌ أسود. الخاتم الذهبي
البسيط في بنصرها اليسرى هو قطعة المجوهرات الوحيدة التي ترتديها.
تخبرني الخوط حول فمها بأنها تحب تدخين السجائر.

أما المحقق كروفتون فهو عكسها تمامًا. رجلٌ أسود طويل القامة، ونظرًا
إلى حجمه الكبير، يبدو كأنه كان لاعب خط دفاع في شبابه. قميصه مُزخرف

بنقشة بيزلي زرقاء، وحزام بنطاله البيج المشدود بإحكام يشي بفقدانه لبعض الوزن مؤخراً حول خصره. تتدلَّى سلسلة ذهبية بسيطة تحمل صليباً حول عنقه. وبلمحة سريعة على جواربه قبل أن يجلس، ألاحظ أنه يتمتع بحسّ فكاخي؛ إذ زُينت جواربه بقطط تمتطي أحادي القرن على خلفية وردية شاحبة.

ثم أفكر، هل هذا تمثيل حقيقي لشخصياتهما؟
أم أنهما مثلي؟ يختبئان خلف قناع.

لأنني تعمدتُ ارتداء ملابس معينة هذا الصباح، أسعى لعرض الصورة التي أريدهم أن يروني بها. قميص أبيض بسيط مع بنطال جينز. يخلو وجهي من المكياج وشعري مربوط في ذيل حصان. أبدو أصغر من سني بخمس سنواتٍ على الأقل.

تسأل راتشيل: «هل يمكنني أن أقدم لكما بعض القهوة؟ أو الكعك؟». يُرَبِّت المحقق كروفتون على بطنه قائلاً: «ليس لي، تلقيتُ تعليمات صارمة بإنقاص عشرين رطلاً، وما زال أمامي خمسة أرطال للوصول إلى هدفي». تسحب المحققة ويست دفترًا صغيرًا من حقيبتها وتفتحه. تقول متجاهلةً عرض المشروبات: «دعونا نبدأ». بينما يسحب المحقق كروفتون جهاز تسجيل صغيرًا ويضغط على الزر الأحمر الدائري في الأعلى. بصوت عميق وخشن، تقول المحققة ويست: «المحققان ويست وكروفتون يستجوبان الشاهدة الرئيسية، إيفيلين بورتر، في قضية وفاة إيمي هولدر». تُضيف التاريخ والموقع والوقت قبل أن تنظر إليّ، فتلتقي نظراتنا.

ترفع راتشيل يدها وتقول: «أودُ تسجيل أن وفاة إيمي هولدر صُنِّفت على أنها حادثة. ونحن هنا نتعاون مع المسؤولين لتبرئة موكلتي، إيفيلين بورتر، من أي مسؤولية تتعلق بما حدث للسيدة هولدر».

تقول المحققة ويست: «سُجِّلَت ملاحظتك. (ثم تلتفت نحوي وتسأل): لماذا كنتَ تعيشين تحت هُوية ريجينا هيل في ديكاتور، جورجيا، في وقت وفاة إيمي هولدر؟».

حسنًا، يبدو أننا سندخل في الموضوع مباشرةً. الضغط على السيد سميث أجبره على إعطائهم كل ما يستطيع للإطاحة بي. أنظر إلى راتشيل، فتمنحني إيماءةً صغيرة، تذكرني بأن زمام الأمور في يدي وحدي.

أجيبُ بهدوء: «كنتُ في علاقة سامة للغاية واضطرتت إلى الانتقال لأضع مسافة بيني وبين شريكي السابق. لم يكن راضيًا عن رحيلي، وخشيت أن يلاحقني. لجأتُ إلى الشرطة، لكن الشيء الوحيد الذي قدموه لي هو إصدار أمرٍ بعدم التعرُّض، ونحن جميعًا نعلم مدى عدم فاعلية تلك الأوامر. لذا استخدمتُ اسمًا مستعارًا على أمل ألا يجدني».

يجعلهم هذا الجواب يتريثان قليلًا. ترفع راتشيل حاجبها الأيسر قليلًا، كأنها منبهرة بالإجابة.

تسأل المحققة ويست: «أين كنتِ تعيشين عندما حدث ذلك؟».

- في بروكود، ألاباما.

بذل رئيسي جهدًا كبيرًا لتحويللي إلى إيفيلين بورتز، المقيمة طوال حياتها في بروكود، ألاباما، لذا سأستفيد من ذلك.

يقول المحقق كروفتون بصوتٍ هادئ: «سنحتاج إلى الاتصال والتحقُّق من هذه القصة مع قسم شرطة بروكود».

أومئ برأسي وأقول: «بالطبع. اسم صديقي السابق هو جاستن بيرنز. يعمل شقيقه في الشرطة هناك. اسمه النقيب راي بيرنز».

تسجل المحققة ويست المعلومات في دفتر ملاحظاتها. إذا تحقَّقوا من الأمر، سيكتشفون بالفعل أن هناك نقيبًا يُدعى راي بيرنز، ولديه أخ يُدعى جاستن، قريبٌ من عمري. جاستن لديه سجلٌ أيضًا، يتضمن بضع قضايا قيادة تحت تأثير الكحول وقضية إزعاج للسكان عندما استدعى الجيران الشرطة بسبب شجارٍ وقع بينه وبين صديقه في الفناء الأمامي.

إذا لم يجدوا سجلًا للشجار الذي وقع بيني وبينه، فلن يفترضوا أنه لم يحدث... بل سيفترضون أن شقيق جاستن تمكَّن من إخفاء تلك الحادثة من سجله.

الكذبة الأولى تفوز.

أنا مستعدة لكل شيء.

يبدو أن المحققة ويست هي المسؤولة عن طرح الأسئلة، وعلى الرغم من أن إجاباتي حتى الآن أضعفت من حماسها قليلاً، فإنها تستمر في الضغط: «كيف تعرفتِ على إيمي هولدر؟».

- كنا أعضاء في نادي أوك كريك الريفي.

تضع علامة في دفتر ملاحظاتها، كأنها تتبع قائمة من الأسئلة مُعدة مسبقاً.

- لم يكن هناك حفل تأبين أو جنازة لإيمي هولدر. كانت طفلةً وحيدة، ولم تكن متزوجة، كما لم يكن لديها أطفال. هل تعلمين إن كانت لها أي عائلة أو أصدقاء مقربين؟

تميل راتشيل بتوتر إلى الأمام على كرسيها: «نحن لسنا هنا للإجابة على أسئلةٍ تتعلّق بحياة الأنسة هولدر. قيل لنا أن لديكم أدلة مُحددة للغاية تشير إلى وجود موكلتي في مسرح الحادثة. هل يمكننا الانتقال مباشرةً إلى تلك الأدلة، من فضلكم؟».

تقلب المحققة ويست الأوراق بين يديها. تقول لراتشيل: «سنصل إلى ذلك، يا آنسة موراي. (ثم تعود لتحقق بي) متى كانت آخر مرةٍ رأيتَ فيها إيمي هولدر؟».

ها نحن ذا. تعلمت منذ زمنٍ طويل أن ألتزم بالحقيقة قدر الإمكان. أجيب: «انتقلتُ من ديكاتور في أوائل سبتمبر، وأعلم أنني رأيتها قبل أن أرحل، لكن لا يمكنني تحديد التاريخ». في الواقع، يمكنك قول الحقيقة إذا صغتها بالطريقة الصحيحة وباستخدام النبذة المناسبة. سيفهمون عبارة لا يمكنني تحديد التاريخ على أنني لا أتذكره بسبب النبذة التي استخدمتها، بدلاً من الحقيقة، التي هي لا أستطيع تحديد التاريخ لأنه سيورطني.

تقول المحققة ويست بنبرةٍ جافة: «في الساعة السادسة واثنيتي عشرة دقيقة مساءً من السابع والعشرين من أغسطس، دخلت إيمي هولدر إلى فندق أمريكيان. وبعد سبع وعشرين دقيقة، احترقت غرفتها. هل سبق لك الوجود في ذلك الفندق؟».

أجيب: «تناولتُ الطعام في المطعم الموجود داخل الفندق». وهذا صحيح. يخرج المحقق كروفتون جهاز آيباد ويضعه في وسط طاولة القهوة، فأميل أنا وراتشيل لنرى ما يعرض على الشاشة. يضغط على زر التشغيل بينما تقول المحققة ويست: «هذا تسجيل الكاميرا الأمنية الذي يُظهر دخول السيدة هولدر إلى الفندق قبل وفاتها».

نشاهد جميعاً الفيديو المشوش لإيمي وهي تدفع عائلة مكونة من أربعة أفراد في أثناء عبورها الشارع، ثم تصطدم برجلٍ كان ينظر إلى هاتفه بدلاً من الانتباه إلى طريقه، ممّا يجعلها تدور حول نفسها. سهّل ذلك المعطف الأحمر تمييزها، خاصةً عندما تلوح بذراعيها وتشير لي بإصبعها الوسطى. من هذه الزاوية، أظهر في الخلفية بشكلٍ غير واضح إلى حدٍّ ما.

ينتهي عرض الفيديو، وتلتفت المحققة ويست إلَيَّ. الشاشة مُتجمدة، وأنا بالكاد أظهر في زاوية الإطار. تسأل المحققة: «هل يساعدكِ هذا في تذكُّر شيءٍ ما، يا آنسة بورتر؟».

قبل أن تتاح لي الفرصة لقول أي شيء، تجيب راتشيل نيابةً عني: «هل تُلَمِّحون إلى أن هذا الشكل الضبابي في الخلف هو موكلتي؟ نصف النساء البيض في ولاية جورجيا لديهنَّ شعر بُني. يمكن أن تكون أي واحدةٍ منهن. (ثم تميل إلى الأمام وتضغط على الزرّ لإعادة تشغيل الفيديو) ما أراه هو امرأة تبدو في حالة سُكر. عُرِفَت الآنسة هولدر بكونها مدخنة، وماتت في حريقٍ ناتج عن التدخين في سريرها في أثناء سُكرها. إذا كان لديكم أي شيءٍ يشير إلى أن السيدة بورتر لها علاقةٌ بوفاة إيمي هولدر، وبالطبع صورة حقيقيّة تشبه موكلتي بأي شكلٍ من الأشكال، فنودُ رؤيتها».

مكتبة

t.me/soramnqraa

حسنًا، يا راتشيل، أبهرتني حقًا.

يسحب المحقق كروفتون الشاشة إلى الفيديو التالي.

- هذا فيديو صوّره شاهد عيان.

وسط مدينة أتلانتا ليس مكانًا مزدحمًا بشكلٍ خاص خلال أيام الأسبوع، رغم أنه يمكن أن يصبح مكتظًا في عطلات نهاية الأسبوع. تتبّع ديفون كل مقطع فيديو سُجِّل في ذلك اليوم، من كاميرات المراقبة إلى مقاطع الفيديو

على وسائل التواصل الاجتماعي، التي حُدد موقعها في تلك المنطقة أو بالقرب منها. علمنا بوجود هذا الفيديو منذ أقل من ثمانٍ وأربعين ساعة، لذا أعتقد أنني أعمل أنا وشاهد العيان مع الرئيس نفسه.

تتطابق زاوية هذا الفيديو تمامًا مع غرفة إيمي، حيث أُلْتَقَطَ من المبنى المقابل في الجهة الأخرى من الشارع، ممَّا يوفر رؤية مستقيمة وواضحة، على عكس شهود العيان الحقيقيين على الأرض الذين اضطروا إلى توجيه كاميراتهم إلى الأعلى، ولم يلتقطوا سوى جزء ضئيل من الغرفة المعنيَّة عندما بدأ الدخان يتصاعد من نافذة الشرفة.

يبدأ الفيديو بتحريك الكاميرا ببطءٍ على المبنى حتى تتوقف عند أبواب الشرفة المفتوحة لغرفة إيمي. حازر الشرفة عبارة عن هيكلٍ صلب، لذا لا يظهر سوى الجزء العلوي من الغرفة، ولا يظهر السرير بالكامل في الإطار. يوجد صوتٌ في الفيديو، لكن اعتقدت أنا وديفون أنه أضيف لاحقًا حتى لا يبدو الأمر غريبًا أن هذا الفيديو التقطني في تلك اللحظة تحديدًا.

يزيد المحقق كروفتون من مستوى الصوت، ونسمع صوت الرجل يقول: «تنبيه: خادمةٌ مثيرة! ربما سنحصل على خدمة تنظيف الغرفة الليلة».

ثم أظهر على الشاشة، مرتديَّة زيٍّ موظفي النظافة الخاص بالفندق. أقف داخل الغرفة بشكلٍ واضح تمامًا من خلال أبواب الشرفة المفتوحة. أوجه نظري نحو السرير، الذي لو لم يحجبه حازر الشرفة لكان مرئيًّا. والصورة هنا واضحة تمامًا، على عكس ما شاهدناه في الفيديو السابق.

أتذكر تلك اللحظة بكل تفاصيلها. حين أخرجتُ علبة الثقاب من حقيبتي للتو، وكنت على وشك إشعال عودٍ منها. كانت اللحظة التي تسبق اندلاع الحريق في السرير. تمرُّ ثوانٍ قليلة، وتنبض الذكرى بالحياة على الشاشة الصغيرة، ثم تختفي صورتني تدريجيًّا مع انتشار سُحبٍ كثيفة من الدخان الأسود التي تبتلع الغرفة بأكملها.

الفصل الرابع والعشرون

اليوم الحالي

أبقى هادئة دون أن أظهر أي مشاعر، وهو أمر سهل لأن هذه ليست المرة الأولى التي أشاهد فيها هذا الفيديو.

حسنًا، ها نحن ذا.

كلا المُحقّقين ينظران إليّ بترقّب.

أقول بعد بضع ثوانٍ من الصمت: «هذه لوكا مارينو».

يتبادل المحققان النظرات، ثم يوجهان أنظارهما نحوي مجددًا.

يسأل المحقق كروفتون: «لوكا مارينو؟».

أجيب بثقة: «نعم، لوكا مارينو هي المرأة الموجودة في هذا الفيديو».

قضيتُ سنوات وسنوات في حماية هوية لوكا مارينو، والتأكد من أنني أستطيع العودة إلى تلك الفتاة. اشتريتُ بالفعل الأرض لبناء المنزل الذي حلمتُ به مع أمي. وأعددت خططًا لتنسيق الحديقة التي كانت ستحبها. لكن عندما تعرض ذلك الاسم للتهديد، أدركتُ أنه مجرد اسم. قضيتُ سنواتٍ في حماية فكرة لوكا مارينو، لكنني لم أعد تلك الفتاة الساذجة. وعلى الرغم من أن اتخاذ القرار بالتخلّي عنها كان صعبًا، فإن الحقيقة هي أنها رحلت منذ

فترة طويلة. لم أعد بحاجة إلى أن أكون لوكا مارينو لأحافظ على ذكرى أُمي حية، أو لأفعل الأشياء التي رغبتُ أُمي أن أفعلها.

جميع الأنظار موجهة نحوي، بما في ذلك نظرات راتشيل.

تسأل المحققة ويست: «دعيني أفهم هذا جيدًا. هل تقولين إن تلك المرأة ليست أنت؟».

يرتفع حاجباي وينفتح فمي دهشةً. ثم أميل برأسي وأمنحهم نظرةً مُتسائلة: «المرأة في تلك الغرفة الفندقية هي لوكا مارينو. لا أعرف كيف يمكنني قول ذلك بطريقة أوضح».

يمكنهم توصيلي بجهاز كشف الكذب وسأجتازه بكل سهولة.

تتدخل راتشيل قائلة: «تشير موكلتي إلى امرأةٍ أقامت مؤخرًا في ليك فوربينج، لوزيانا. تعرّضت لحادث سيارة منذ أسبوع ولم تنجُ منه».

أومئ برأسي وأضيف: «عاشت لوكا هنا عندما ماتت إيمي. كانت تعرف إيمي».

تسأل المحققة ويست، وهي تسحب حاسوبها المحمول، وربما تبحث عن معلوماتٍ حول لوكا مارينو: «هل تعرفين صلتها بإيمي هولدر؟».

تقول راتشيل: «مرة أخرى؛ لسنا هنا للإجابة على أسئلةٍ تتعلق بمعارف السيدة هولدر».

أرفع يدي وأقول: «لا بأس، يا راتشيل. يمكنني الإجابة على هذا. (يجب أن أصيغ الكلام بعناية) تورطت إيمي مع بعض الأشخاص السيئين، ولوكا كانت جزءًا من تلك الدائرة. هذا كلُّ ما يمكنني قوله».

مرة أخرى، يعتمد الأمر كله على نبرة الصوت.

يقدمون لي بعض الصور الإضافية، صورًا كنت أعلم مسبقًا أنهم يملكونها، بما في ذلك الصورة التي تظهرني وأنا أسحب إيمي من سيارتها إلى منزلها. أنظر إلى الصور وأهزُّ كتفي: «المرأة الموجودة في كل هذه الصور هي لوكا مارينو».

تنشغل المحققة ويست بالمعلومات التي ظهرت على شاشتها. يقترب منها المحقق كروفتون قليلًا ويهمس: «التشابه مُذهل».

أتوقع أنهما وجدا صورتها، فأميل جانبًا وألقي نظرة على شاشتها. نعم، إنها الصورة من منشور والدة جيمس على فيسبوك عن ذلك الحساء السخيف. شعرها مربوطٌ إلى الخلف، دون مكياج، ترتدي بنطالَ جينز وقميصًا بسيطًا. يمكننا أن نكون توأمتين. يبدو أن السيد سميث سيندم على عثوره على هذا التطابق المثالي.

في هذه اللحظة، يجب أن تكون المحققة ويست قد بدأت في الاطلاع على السجلات التي أنشأها ديفون، والتي ستظهر أن لوكا مارينو استأجرت شقة في وسط مدينة أتلانتا خلال الفترة التي وقعت فيها وفاة إيمي. ولتعزيز المصادقية، ستكون هناك أيضًا بعض مُخالفات وقوف سيارة في الممنوع مُسجلة باسمها في الشارع القريب من منزل إيمي، مما يثبت وجودها في تلك المنطقة.

عندما افترقنا، أنا وديفون، في ناشفيل، قُدت سيارتي إلى كارولينا الشمالية، بينما عاد ديفون إلى لوزيانا. وعندما يتصل هؤلاء المحققون بشرطة ليك فوربينج ويسألون عن لوكا مارينو وفترة وجودها هناك، سيُخبرونهم عن الملف المليء بالصور والمعلومات حول إيمي هولدر، والذي اكتشفوه في حقيبة منسيّة في غرفة جيمس. تلك الحقيبة التي وضعها ديفون هناك. كما أنه اتصل بالشرطة، متظاهرًا بأنه أحد المتطوعين من الكنيسة، ليلبغهم بوجود غرضٍ شخصيٍّ إضافي يعود للوكا مارينو يجب إضافته إلى المتعلقات التي جمعوها، لضمان أن تكون في حوزتهم.

تسألني المحققة ويست: «لماذا تبعك لوكا مارينو إلى لوزيانا؟».

أكتفي برفع كتفيّ وأقول: «هذا ليس شيئًا يمكنني الإجابة عليه».

لستُ هنا لأحلّ جريمتهم، بل فقط لأضمن أنهم ينظرون في الاتجاه الذي أريده.

بذل رئيسي جهدًا كبيرًا في العثور على امرأة تُشبهني تمامًا، بحيث تتمكن من انتحال هويتي وجعلها ملكًا لها. نشر صورها في كل مكان على وسائل التواصل الاجتماعي، وحرص أن تصبح حديث المدينة. أحكم الخطة جيدًا، مغطيًا جميع الثغرات. ثم أنهى حياتها.

حال قتلها دون قدرتهم على استجوابها، لذا لا يوجد أحد يمكنه الطعن فيما أقوله للمحققين اليوم.

اعتقد السيد سميث أنه يصعب عليّ العودة إلى هويتي الحقيقية، لكنني بالأمس وضعت المسمار الأخير في هذا النعش، إن جاز التعبير. بفضل الزيّ الذي حصلتُ عليه من متجر النيات الحسنة وزيارتي الأخيرة لمدينة إيدن، أصبحت سجلات أسنان المرأة مطابقة لسجلات في عيادة طبيب أسنان في إيدن، كارولينا الشمالية، تحت اسم لوكا مارينو، ممّا أكمل عملية تحديد هويتها.

إذا كنت سأفقد هوية لوكا مارينو إلى الأبد، فلا بدّ أن يستحق الأمر التضحية. ينشغل المحققان في النظر إلى شاشة الحاسوب، بينما تراقبني راتشيل من الجهة المقابلة للطاولة. أنظر إليها مباشرةً.

وأخيرًا، تقول: «أيها المحققان، قطعنا كل هذه المسافة، ومع ذلك لا يوجد أي شيء يربط موكلتي بوفاة إيمي هولدر. ما لم يكن هناك شيء آخر...».

يرد المحقق كروفتون: «سنتحقق من هذه المعلومات الجديدة. ولكن للتأكد من أننا نغطي كل ما نحتاج إليه منك، هل يمكنك إخبارنا أين كنت في ليلة السابع والعشرين من أغسطس؟». يبدو أنهما ليسا مستعدين لإنهاء هذا التحقيق بعد.

أسترخي في مقعدي. هادئة. مُتحكمة في الوضع.

- راجعتُ تقويمي بعد أن علمت من الشرطة في ليك فوربينج أن هناك مذكرة استجوابٍ بحقي، حتى أتمكن من معرفة مكاني وقت وفاة إيمي. ذهبت إلى منزل صديق لتناول العشاء في تلك الليلة. رُزق هو وزوجته بطفل، ودعوني لرؤيته.

الكذبة الوحيدة في إجابتي كانت تاريخ العشاء. أُقيم ذلك العشاء في الأسبوع السابق للحادثة.

تمسك المحققة ويست بقلمها فوق دفتر ملاحظاتها، مستعدةً للكتابة.

- هل يمكنك إعطاؤنا اسم ورقم الشخص الذي تناول العشاء معه في تلك الليلة؟

أجيبُ بكل هدوء: «نعم، بالطبع. اسمه تايرون نيكولز».

يرفع المحقق كروفتون رأسه بسرعةٍ ويقول: «تايرون نيكولز لاعب فريق فالكونز؟».

أبتسم وأقول: «نعم، إنه صديقٌ قديم».

وهذه حقيقةٌ أخرى.

أرفع هاتفي وأقول: «أخبرته أنني لديّ موعدٌ معكم هذا الصباح. وأخبرني أن أتصل به إذا كنتما بحاجةٍ إلى التحقق من أي شيء. هل تودَّان أن أتصل به الآن؟ فهو يُفضل عدم إعطاء رقمه الخاص لأي أحدٍ قدر الإمكان».

ينتهر المحقق كروفتون الفرصة للتحدُّث إلى أحد أشهر لاعبي فريق أتلانتا فالكونز.

أقرر الاتصال به عبر فيس تايم لأن رؤيته شخصياً تزيد من المصادقية. يظهر تايرون على الشاشة، جالساً على كرسيه في مكتبه المنزلي. ثمة مطبوعات مؤطرة مُعلقة خلفه على الجدار، ومقالات، وقمصان تروي قصة مشواره في كرة القدم من أيام دراسته الثانوية في وسط فلوريدا، مروراً بسنواته في جامعة مسيسيبي تحت إشراف المُدرب ميتش كاميرون، وصولاً إلى صعوده إلى دوري كرة القدم الأمريكية. قطع شوطاً طويلاً منذ أن كان ذلك الفتى ذا الثمانية عشر عاماً الذي كان أكبر أحلامه هو الحصول على منحة دراسية كاملة للعب كرة القدم الجامعية، على أمل أن يتمكن يوماً ما من توفير حياةٍ أفضل لعائلته.

يقول بصوته الجهوري القوي: «مرحباً، يا فتاة».

- مرحباً، يا تايرون. هل لديك دقيقة لتتحدث إلى هؤلاء المحققين؟

أقولها بينما أدير عينيّ بشكلٍ يُظهر استيائي الزائف.

- بالتأكيد، أعطني إياهم.

أعطي المحقق كروفتون هاتفي، الذي يبدو متحمساً بشكلٍ واضح.

- نعم، مرحباً، يا سيد نيكولز. أنا المحقق كروفتون من شرطة أتلانتا. نحتاج إلى التحقق من مكان الأنسة بورتر في ليلة السابع والعشرين من أغسطس. تقول إنها كانت في منزلك تلك الليلة.

أسترخي في مقعدي وألاحظ أن راتشيل تراقبني مرة أخرى. أبتسم لها ابتسامة صغيرة.

يجيب تايرون بثقة: «بالطبع. كانت هنا تلك الليلة. كان ذلك خلال أسبوع مباراتنا على أرضنا ضد فرق ساينتس. خلال الموسم، ليالي الثلاثاء هي الليالي الوحيدة التي أوجد فيها في المنزل لتناول العشاء، لذلك كان ذلك أنسب وقت لتزورنا وترى ابننا».

يبدو المحقق كروفتون راضيًا، لكن المحققة ويست لم تتأثر بشهرة تايرون ولديها سؤال آخر.

- في أي وقت وصلت الآنسة بورتر وغادرت منزلك تلك الليلة؟

يجيب تايرون بثقة: «صحبته بعد أن غادرت مركز التدريب، والذي كان حوالي الساعة الخامسة. بقيت حتى وقت متأخر نظرًا إلى أننا لم نلتق منذ فترة. فتحت هي وزوجتي زجاجة نبيذ قرابة الساعة التاسعة أو العاشرة، أعتقد؟ (يضحك بصوت عالٍ) وبعد ذلك، بالطبع، كان لا بد أن تُخرجنا جهاز الكاريوكي. يا إلهي، هاتان الفتاتان تعتقدان حقًا أنهما يمكنهما الغناء».

الأمر محكم تمامًا.

يقول المحقق كروفتون: «شكرًا لك. حصلنا على كل ما نحتاج إليه. نحن نقدر تعاونك».

يُجيب تايرون: «بالتأكيد، في أي وقت».

يُعيد المحقق كروفتون الهاتف إليّ، فأبتسم وأنا أنظر إلى تايرون على الشاشة.

- شكرًا على توضيح الأمر.

يضحك تايرون قائلاً: «لا مشكلة. ستأتين على العشاء بما أنك في المدينة، أليس كذلك؟ لن تصدقي كم كبر جايدن».

أُجيب: «بالطبع! سأتصل بك عندما أنتهي لنرتب الأمر».

أنهي المكالمة وأحول انتباهي نحو المحققين. ينظران إليّ، ثم يتبادلان النظرات فيما بينهما، كأنهما يتواصلان بصمت، يحاولان استيعاب ما حدث.

تُغلق المحققة ويست دفتر ملاحظاتها وتقول: «أعتقد أن هذا يُغطي كل ما لدينا لهذا اليوم. إذا كانت لدينا أي أسئلة أخرى للسيدة بورتير، سنتواصل معكم».

لم يستغرق الأمر سوى بضع ثوانٍ حتى يجمعا أغراضهما ويغادرا غرفة الاجتماع.

لا أزال، أنا وراتشيل، نجلس أمام بعضنا.

تقول راتشيل: «لم تعرفي مَنْ هي لوكا مارينو عندما ظهرت لأول مرة مع جيمس في حفل الديرابي، أليس كذلك؟».

أهزُّ رأسي وأقول: «إذا كنتِ تتذكرين جيدًا، ذكرتُ أنه جاء بصحبة امرأة. لم أعلق على ما إذا كنتِ أعرفها أم لا».

لهذا السبب أحاول قول الحقيقة قدر الإمكان.

تنهض راتشيل من كرسيها مُعدلة تنورتها: «حسنًا، يبدو أنكِ رتبتي كل شيءٍ بشكلٍ مثالي».

أكتفي برفع كتفيّ وأقول: «أنا فقط مرتاحةٌ لأن الأمر انتهى». لكنه لم ينتهِ. ليس بالنسبة لي. صحيح أنني تخلصتُ من أحد التهديدات التي تواجهني، لكن يبقى التهديد الآخر هو الأخطر.

تلتقطُ حقيبتها وتتوجه نحو الباب لكنها لا تفتحه.

- نعم، وأنا أيضًا. لا أودُ التفكير في أن لكِ أي علاقةٍ بموت تلك المرأة. أنظر إليها مباشرةً وأقول: «إذا كان هناك شيءٌ واحد يمكنكِ تصديقه، فهو أن لوكا مارينو هي المرأة التي كانت معها في الغرفة ذلك اليوم».

نتبادل النظرات لبضع ثوانٍ، ثم تنسحب من الغرفة دون أن تضيف كلمةً أخرى.

بينما تغادر راتشيل دون أي قلق، أواجه أنا وضْعًا مختلفًا تمامًا. لن تكون مغادرتي بسلاسة وصولي.

أُخرج الهاتف الجديد النظيف من حقيبتي وأتصل بديفون عندما أكون في الردهة.

أقول فور إجابته: «سويتُ أموري مع الشرطة».

- جيد. الآن دعينا نتعامل مع المشكلة الأخرى.

- كان رايان هنا عندما وصلت. أحتاج إلى إخفائه من المشهد. هل يمكنك المساعدة في ذلك؟

أسمع صوت النقر المألوف، ممّا يعني أنه يطرقُ بحماسٍ على لوحة المفاتيح.

- ما الذي يرتديه اليوم؟

تتكوّن صورة رايان في ذهني.

- جينز. قميص أزرق بأزرارٍ من نوع أوكسفورد.

- حسنًا، سأتصل بأمن الفندق وأبلغهم عن تصرّفاتِه المشبوهة. لن يدوم ذلك طويلًا، لكنه سيمنحكِ على الأرجح الوقت الكافي لمغادرة المبنى. حوّلِي المكالمة إلى سماعة البلوتوث. أريد أن أكون على الخط معكِ.

أُخرج سماعة الصغيرة بلون البشرة صممها ديفون من حقيبتِي وأقوم بتوصيلها مع الهاتف. أفك شعري من ربطة ذيل الحصان وأضع السماعة داخل أذني اليمنى. بفضل لونها المتطابق مع لون بشرتي، وكونها مخفية خلف شعري، سيكون من الصعب ملاحظتها.

أضع الهاتف في جيب بنطالي الخلفي وأتجه نحو الردهة. حقيقة أن ديفون أصرَّ على إبقاء الخط مفتوحًا في أثناء دخولي إلى عرين الأسد تؤثر فيَّ بشدة. إنه يُعرض نفسه للخطر الآن من أجلي.

- في حال لم أتمكن من قولها لاحقًا، شكرًا على كل شيء. شكرًا لكونك صديقي.

يتنحّج قائلاً: «لن نتحدث عن هذا الهراء الآن. ركزي على المهمة. غادري إذا احتجّتِ إلى ذلك. لا يزال بإمكانكِ الانسحاب».

أدفع القضيب المعدني المثبت على الباب في نهاية الردهة الذي يؤدي إلى الدّرج. الغرفة الخرسانية رطبة ومُظلمة، وصوتي يتردد على الجدران.

- أنا في طريقي للنزول.

عندما أصل إلى مستوى البهو، أدفع الباب ببطء وألقى نظرة خاطفة في اللحظة المناسبة لأرى اثنين من حراس أمن الفندق بالزي الرسمي يقتربان من رايان. يتقدمان نحوه، يتحدثان بكلمات لا أستطيع سماعها بينما يتلفت هو حوله في المساحة الكبيرة. يشيران إليه ليتبعهم، لكنه يجادلهم، ولا يزال يولي اهتماماً أكبر للمساعد بدلاً من الرجال أمامه. يمسه من كل جانب، ويبدو للحظة أنه سيقاوم قبل أن يستسلم في قبضتهما. وعندما يرافقانه إلى الخارج، يُلقى نظرة أخيرة إلى الخلف.

حالما يختفي عن الأنظار، أتسلل بهدوء إلى البهو هامسة: «أتجه نحو المخرج».

- أنا متصل بكاميرات الشوارع، سأراك فور خروجك من الأبواب. أقرب مخرج هو باب يؤدي إلى الشارع الجانبي. أكون على بُعد خطوات قليلة منه عندما أسمع صوتاً يقول: «مرحباً، يا لوكا».

أستدير على الفور وأتجمد في مكاني عندما أرى مَنْ يكون.

- من الغريب رؤيتك هنا، يا جورج.

يقول ديفون في أذني: «أخرجيه إلى الشارع. لا أستطيع رؤيتك وأنت بالداخل».

يقول جورج: «لا ينبغي أن تتفاجئي، خاصة بعدما تجاهلت موعدنا بالأمس». أشير برأسي نحو الباب لأوضح له أننا سنتحدث في الخارج. يرد بإيماءة، كأنه موافق على ذلك.

يقول ديفون لي: «رأيتك. ابدئي بالسير شمالاً نحو التقاطع».

على الرغم من أنني لا أستطيع رؤية الكاميرات، فإنني أشعر ببعض الراحة لوجود شخص آخر في العالم يراقبني، حتى لو لم يكن بوسعه فعل الكثير من أجلي الآن.

أقول بصوتٍ حاولت أن أبقيه قوياً وثابتاً: «أنت الخطة البديلة إذا فشل المحققون، أليس كذلك؟».

يضحك جورج قائلاً: «كنت من المفترض أن أكون الخطة الرئيسة. لو أنك أعطيت ما يريده، لما اضطررت إلى التعامل مع هؤلاء المحققين».

أكتفي بهز كتفيّ وألثقت نحوه وهو يسير بجانبني: «حتى المرة القادمة التي أغضبه فيها. سيسحب تلك البطاقة مرة أخرى. أعني، جرائم القتل لا تسقط بالتقادم».

يقول بهدوء: «ربما كان عليك التفكير في ذلك قبل أن تُشعلي ذلك العود». يهمس ديفون في أذني: «غادرَ رايان الفندق».

أخذ نفساً عميقاً وأخرجه ببطء. ثم أكرر العملية مرة أخرى.

- أشعر بندم كبير، وسأضطر إلى التعايش مع ما اقترفته. (ثم أنظر مباشرة في عينيه وأقول): لست مجبراً على فعل ذلك.

نقف على بُعد بضعة أقدام من ممر المشاة، وهو يحرق بي، وعيناه تتفحصان ملامحي. يقول بصوت مليء بالتردد: «لا أريد أن أفعل ذلك. لكن عليّ الحصول على ما في صندوق الأمانات. يعلم كلانا أن هذا هو الخيار الوحيد الآن. يداي مقيدتان، يا لوكا. لم تتركي لي أي خيار آخر». أهمس: «وماذا بعد؟».

يضع يديه على وركيه ويخطو بعيداً عني، وعيناه تمسحان الشوارع. ثم يستدير نحوي ويقول: «ربما سأكون مشتتاً في أثناء فحص ما في الصندوق. وربما لن ألاحظ اختفاءك».

يريدني أن أعتقد أنه سيسمح لي بالرحيل. وربما يفعل ذلك الآن، لكن لن يمر وقتٌ طويل قبل أن أراه يراقبني من خلفي.

يومض الضوء معلناً أنه بإمكاننا عبور الشارع، ونمشي بصمتٍ عبر المبنين التاليين حتى نقف أمام البنك.

يقول ديفون في أذني: «إذا كنتِ ستنسحبين، فهذا هو الوقت المناسب. بمجرد دخولك، لا يوجد رجوع».

يصعد جورج الدّرج المؤدي إلى مدخل البنك بينما أبقى متجمدة في مكاني.

يسأل: «هل ستأتين؟».

أهز رأسي لأتخلّص من التردد، ثم أتبعه. لم يكن الانسحاب يوماً خياراً لي.

الاسم المستعار: ريجينا هيل-قبل ستة أشهر

تلسع رائحة الكبريت أنفي مع اشتعال عود الثقاب. أمسكه بثباتٍ لبضع ثوانٍ لتأكد من بقاءه مشتعلًا، ثم ألقه على السرير. تمتد ألسنة اللهب وتنمو متغذية على الألياف الصناعية للغطاء، وتشتد عندما تلتهم المعطف الأحمر الفاقع.

أرمني آخر متعلقات إيمي في الحقيبة السوداء، وألقي نظرةً أخيرة على الغرفة لتأكد من أنني أخذتُ كل شيء، ثم أضع الحقيبة مرة أخرى في عربة التنظيف. تتصاعد ألسنة اللهب، ويملاً الدخان الأسود الكثيف الغرفة. تلك إشارتي للرحيل.

أفتح باب غرفة الفندق وأدفع العربة إلى الردهة، متجهة مباشرةً إلى المصعد الخاص بالخدمة الذي ينتظرني. بمجرد وصولي إلى الطابق الأرضي، يكون ديفون في انتظاري. أخرج الحقيبة، ثم أسلمه العربة. لا تتبادل الكلمات ونحن نفترق؛ يتجه هو عبر موقف السيارات للخروج من الجانب الآخر من المبنى، بينما أتجه أنا عبر المطابخ إلى الباب المُفضي إلى زقاق ضيق بجانب الفندق.

أفتح سيارتي وأغوص في مقعد السائق. يداي ترتجفان وأنا أخرج هاتفي وأدخل الرقم الذي أحتفظ به لحالات الطوارئ.

يردُّ السيد سميث مع أول رنة: «ماذا حدث بحق الجحيم؟».

يبدو أنه سمع بالفعل عن الحريق.

أخرج نفساً مرتجفاً، آمله أن يسمع توترتي: «عندما دخلت غرفتها، كانت مستلقيةً بالفعل على السرير. كانت ثملةً بشدة وتدلّت سيجارة مشتعلة من فمها. اقتربتُ منها ممسكةً بحقنةٍ تحتوي على الروهيبينول، لكنها أصبحت عنيفة عندما اقتربتُ من السرير. سقطتُ السيجارة من فمها على الغطاء. كانت هناك زجاجة نبيذ فارغة بجانبها، لكن يبدو أن محتوياتها قد تسربت إلى الفراش، لأن السرير بأكمله اشتعل بالنيران في غضون ثوانٍ. حاولتُ الامساك بها، لكن... طالتها النيران بالفعل. ملابسها... (يختنق صوتي وأصدر أنيناً مرتجفاً) كان الأمر مروّعاً. وسريعاً جداً. أُحيطت... بالكامل بالنيران».

أبدو مذعورة. خائفة. صوتي يرتجف.

يبقى صامتاً على الطرف الآخر للحظة. ثم يسأل أخيراً: «هل كان هناك أي شيء مفيد في غرفتها؟».

أجيب بسرعة: «لا أعلم. كنت سأبحث بعد أن أسيطر عليها، لكن اضطررتُ إلى المغادرة فور انطلاق جرس إنذار الحريق. لم أتمكن من استعادة أي شيء».

يسأل بحدّة: «لم تأخذي أي شيء معكِ؟».

- لا. لا شيء.

أخفيتُ الحقيبة السوداء تحت سترتي، لذا لا يوجد سبب يجعل أي شخص يعتقد أنني كنت أحملها معي.

أنتظر ردّاً أو سؤالاً آخر، لكن لا يوجد سوى الصمت. يقول أخيراً: «أفهم أنها وجهت تهديداً لك على الرصيف أمام الفندق. تهديدٌ يتعلق بي».

أجيبه بسرعة: «كانت ثملة تماماً. تنصرّف بجنون». لكنني لا أنكر ما قالته.

- سيكون من الملائم جداً أن تحسلي على شيء يمكن استخدامه ضدي، ثم تدّعين أنك لم تفعلي.

تحمل نبرة صوته برودة لم أعدها من قبل.

بصوتٍ مرتجف، أجيب: «لا أعرف ما الذي كانت تملكه ضدك. لم أجد أيَّ شيءٍ في منزلها، أو في سيارتها، أو في تلك الغرفة الفندقية. إذا كان بحوزتها شيءٌ هناك، فقد تحوّل إلى رماد الآن».

يسود الصمت، صمتٌ طويل كأنه يدوم إلى الأبد.

بعد ما يبدو كأنه أبدية، يقول: «سنتواصل». ثم يُنهي المكالمة.

أضع رأسي على عجلة القيادة وأخذ نفساً عميقاً. ينبض قلبي بسرعة. ترتجف يداي وأنا أحاول إدارة المفتاح. يستغرق الأمر بضع دقائق، لكنني في النهاية أنجح في تشغيل السيارة، وأبدأ في التحرك بينما تصل المزيد من سيارات الإطفاء.

بعد مَبْنَيْنِ، أجد موقفاً أمام بنك ويلز فارجو وأتوجه إلى الداخل.

الفصل الخامس والعشرون

اليوم الحالي

بمجرد دخولنا البنك، نتوجه إلى المكتب حيث سأوقع لتسجيل دخولي إلى الخزنة.

تسأل الموظفة: «مرحبًا، كيف يمكنني مساعدتك؟».

أبتسم لها ابتسامة غير حقيقية: «مرحبًا، أحتاج إلى الدخول إلى صندوق الأمانات الخاص بي».

- بالطبع! رقم الصندوق والاسم؟

- ريجينا هيل. رقم الصندوق 3291.

أُخرج بطاقة الهوية التي استخدمتها في هويتي السابقة والمفتاح الصغير الذي احتفظت به مُخبأً لأشهر. تفتح دفتر السجلات على صفحة صندوقي وأوقع تحت آخر دخول -والوحيد- الذي قمتُ به لهذا الصندوق. يوم فتحته أول مرة.

أسمع ديفون يهمس في أذني: «لديكِ رفقةٌ في الخارج. وصل للتو. يقف بالقرب من الدَّرَج».

أُخرج زفرةً عميقة ببطء بينما أتبع أنا وجورج موظفة البنك عبر الخزانة إلى غرفةٍ خاصة، حيث تكسو الجدران أبواب نحاسية صغيرة، وتتوسط

الغرفة طاولة كبيرة. تدخل الموظفة مفتاحها في إحدى الفتحات، بينما أدخل أنا مفتاحي في الفتحة الأخرى. ندير المفتاحين في الوقت نفسه.

عندما يفتح الباب، تقول الموظفة: «يمكنك وضع الدرج على الطاولة وأخذ كل الوقت الذي تحتاجين إليه». ثم تغادر، مُغلقة الباب خلفها. يسود الصمت إلا من صوت عقارب الساعة على الجدار. تك... تك... تك. أشعر كأن الغرفة تضيق عليّ.

يمد جورج يده داخل الصندوق ويسحب الدُرَج، لا تزال محتوياته مخفية تحت الغطاء المُغلق. يضعه على الطاولة.

ينظر إليّ. تمر خمس ثوان. ثم عشر. يعلم كلانا أنه لا عودة إلى ما كانت عليه الأمور بعد هذه اللحظة. أَسْتَطِيع رؤية لمحة من الحزن وربما حتى قليل من الندم في نظرتي، لكنني أرفض أن أظهر أيًا من مشاعري. وأخيرًا، يعيد تركيزه على الصندوق أمامه. ببطء، يرفع الغطاء.

الشيء الوحيد الموجود داخل الدرج هو بجعة صغيرة مطوية مصنوعة من الورق الأبيض.

تعبّر نظرة من الحيرة على وجهه لثانية واحدة، ثم ثانيتين. تتحوّل الحيرة إلى غضب، غضب شديد لدرجة أنه يكاد يسحب الهواء من الغرفة. تضيق عيناه ويتقارب حاجباه بسرعة. يتشنّج فكه.

تك... تك... تك.

أقول كأنني أحاول إسكات صوت الساعة: «أعتقد أنه لم تعد هناك حاجة إلى أن أناذك بجورج بعد الآن».

يُمسك البجعة من أحد جناحيها الصغيرين ويديرها حول نفسها، ثم يبدأ ببطء في فتحها، متأكدًا أن الورقة فارغة. لا شك أن الصندوق لا يحتوي على أي معلومات عنه أو عن فيكتور كونولي.

أعددت نفسي للعديد من ردود الفعل المختلفة، لكن التركيز المستمر على الصندوق الفارغ لم يكن أحدها.

- اعتقدت أنك اخترت اسم السيد سميث إما لأنك من محبي فيلم ذا ماتريكس وإما لأنك تفتقر إلى الخيال، لكنك حرفيًا السيد سميث. السيد

كريستوفر سميث. فكرةٌ ذكية، في الحقيقة. اسمك بالفعل من أكثر الأسماء شيوعاً.

أشعر أنني أهذي.

يُطلق ضحكة، لكنها خاليةٌ من أي أثرٍ للمرح.

أخيراً يواجهني، والورقة المفتوحة لا تزال في يده. خطوة واحدة، ثم اثنتان. مع كل خطوةٍ يقترب مني، أتحرك أنا خطوةٍ إلى الخلف.

تنزلق الورقة من يده وتطفو نحو الأرض.

خطوة أخرى للأمام.

وخطوة أخرى للخلف.

- متى اكتشفتِ الأمر؟

- أتقصد اكتشافي أن رئيسي وموصل الطرود هما الشخص نفسه؟

اكتشفتُ اسمك الحقيقي؟ بعد ظهر يوم أمس.

يهزُّ رأسه باتجاه صندوق الأمانات المفتوح.

- لكن انتظرنِي هذا منذ وقتٍ طويل.

أومئ برأسي موافقةً.

- رغم أنني معجبٌ بقدرتكِ على اكتشاف ما فشل فيه الكثيرون من قبل،

فإن معرفتكِ باسمي لا تغير شيئاً على الإطلاق. (هناك نبرةٌ حادةٌ في

صوته توحى بأنه يبذل قصارى جهده للبقاء متحكماً) أين المعلومات

التي سرقته إيمي هولدر مني؟ غادرتِ الفندق فور اشتعال غرفتها،

وهذه كانت وجهتكِ الأولى. لا تكذبي عليّ مرةً أخرى وتدّعي أنك لم

تحتفظي بها لنفسك.

ينظر إلى مئات الصناديق الأخرى المصفوفة على الجدران، ويمكنني رؤية

ما يفكر فيه: أنه ربما لديّ أكثر من صندوق، وقد لا تزال المعلومات قريبة.

أجيب وأنا أشير إلى الجانب الآخر من الغرفة: «أوه، استعدتُ ما أخذته

إيمي، لكنني لم أتركه هنا. كنتُ أعلم أنك ستظن ذلك. كان هذا أحد الدروس

العديدة التي علمتني إياها: تصعب إدانتك إذا لم تكن بحوزتك المسروقات عند الإمساك بك.

تفصل بيننا بضع بوصاتٍ فقط الآن، وقد التصق ظهري بالجدار. المقابلض المعدنية للصناديق خلفي تضغط على جلدي، وأستغل الألم لأستجمع تركيزي. قد أكون تحت رحمته في هذه الغرفة، لكن هناك جمهورًا على الجانب الآخر من هذا الباب. لن يكون من السهل عليه الخروج من هنا من دوني، خصوصًا أن المرأة التي سمحت لنا بالدخول تنتظرنا لإغلاق الصندوق مرةً أخرى.

يقول بحدّة: «فشلت في إتمام مهمة لتحقيق مصلحتك الشخصية».

- أنت تفترض أنني فشلت. تلك المهمة كانت ناجحة، لكنك لا تعلم ماهية الهدف النهائي.

أعيد قول كلماته، ملقية إياها في وجهه. من النظرة التي يوجهها لي، أدرك أنه لو كنّا في أي مكانٍ آخر، لكنت ميتة الآن.

يعقد ذراعيه ويقول: «يبدو أننا متشابهين أكثر ممّا تودين الاعتراف به. بدلاً من إتمام المهمة التي كلفتك بها، استغللت الوضع لصالحك».

تُصيب كلماته الهدف، لكن لا يمكنني السماح له بالسيطرة على أفكارِي. أقول بثبات: «تعلمت الكثير منك على مر السنين. ولكن ربما أهم درس تعلمته هو: افعلي كل ما يلزم لإنقاذ نفسك وإنجاز المهمة. بذلتُ جهدًا كبيرًا لأعيش وفقًا لهذا المبدأ».

- قطعت شوطًا طويلًا منذ أيامك في ساحة المقطورات في كارولينا الشمالية. علقْتُ آمالًا كبيرة عليك، ولكنك خيبت أملِي بشكلٍ لا يُصدق.

- كنت أفضل أصولك، ونحن نعلم ذلك جيدًا. أنت لا تعرف شيئًا عن خيبات الأمل.

ينحني نحوي، مجبرًا إياي على إمالة رأسي للخلف لرؤية وجهه. يسألني: «منذ متى وأنت تخططين لخيانتي؟».

أجيب دون أن أكلف نفسي عناء تصحيحه: «أربع سنوات. نصف المدة التي خططت فيها لخيانتي».

أرى أنه يحاول استرجاع الأحداث، محاولاً تحديد ما حدث قبل أربع سنوات وجعلني أنقلب عليه.

أخيراً، يقول: «مهمة تاييت».

أومئ برأسي: «مهمة تاييت».

يتراجع إلى الخلف فاتحاً ذراعيه بتحدٍّ: «هل ستصلين إلى جوهر الأمر في النهاية؟ أعتقد أن هناك سبباً وراء هذه الحيلة الصغيرة».

- أخبرتك إيمي أنها تمتلك معلومات عن فيكتور كونولي والجرائم التي ارتكبتها عائلته، لكن ما امتلكته حقاً هو أدلة تُظهر أنك كنت تخدعهم منذ سنوات. خداع واحدةٍ من أكبر عائلات الجريمة على الساحل الشرقي ليست فكرةً جيدة. كانت تملك كلَّ شيء: تحويلات بنكية، وثائق، ومراسلات تُظهر أنك اختلست الأموال، تبيع أسرارهم، وتستغلُّ المعلومات لمصلحتك بدلاً من مصلحتهم. أوهمتهم بأنك تحميهم، بينما في الحقيقة أنت أكبر تهديدٍ لهم. ولكن امتلاك وسيلةٍ لابتزازك كان بلا فائدة ما دمت لم أعرف اسمك الحقيقي، يا كريستوفر.

يختفي كل أثرٍ للمرح من وجهه: «كُفّي عن هذا الهراء. ماذا تريدان، يا لوكا؟».

- لا شيء على الإطلاق. كما أنني أدعى الآن الآنسة بورتر. استنفدتُ كل الطاقة التي أملكها في التعامل معك. هذا مجرد تحذير ودِّي، بحُكم أننا نعرف بعضنا منذ زمن. ينتظرك بعض الأصدقاء القدامى في الخارج. لا ينبغي تركهم ينتظرون أكثر من ذلك. (أحدق إليه لثانيتين، ثم ثلاث، قبل أن أضيف): هل ظننت أنني لن أضع خطة طوارئ؟

يرفع حاجباً وهو يحدق بي. لقد كان دائماً بارعاً في استخدام الصمت كسلاح، وهذه اللحظة ليست استثناءً.

يقول، مقرباً وجهه من وجهي حتى بات على بُعد بضعة بوصات: «لن ينتهي هذا اليوم بالطريقة التي تعتقدينها. احرصني على مراقبة ظهرك في كل لحظة، لأنني أعدك بأنني سأكون هناك يوماً ما».

- سلبتني بالفعل الشيء الوحيد الذي اهتممتُ به. رحلت لوكا مارينو، ماتت ودُفنت. لم يتبقَّ لك شيءٌ لتهددني به.

يبتعد عني، وأحاول التماسُك بكل ما أوتي لي من قوة دون أن أنهار على الأرض. يفتح الباب بعنف، فيرتطم بالحائط.

قبل أن يغادر الخزانة، أقول: «لا تدع العواطف تتغلب عليك الآن. هذا مجرد عمل».

يُمسك هاتفه فور وصوله إلى ردهة البنك. تقترب مني المرأة التي أدخلتنا إلى الغرفة، لكنني أشير لها بأني لا أحتاج إلى شيء.

- لم نعد بحاجةٍ إلى الصندوق. المفتاح لا يزال فيه.

تجيب: «لا مشكلة، يا سيدة هيل، أحتاج فقط إلى أن توقّعي على مستندات الإغلاق....».

أتجاهلها وأتبعه خارج البنك، لأرى اللحظة التي يلمح فيها فيكتور كونولي وعدّة أفراد من عائلته ينتظرونه على الدّرجات الخارجية. يتردد لثوان ثم يُنهي مكالمته، ويضع هاتفه في جيبه الخلفي. يبدو أنه يقف بشكلٍ أكثر استقامة قبل أن يسير لمواجهة الرجل الذي سرق منه ملايين الدولارات. لم يلتفت نحوي ولو لمرة واحدة.

يرشدونه إلى المقعد الخلفي لسيارة دفع رباعي، بينما يومئ فيكتور كونولي باتجاهي قبل أن يصعد إلى المقعد الأمامي. كنّا قد أرسلنا جميع المعلومات التي جمعتها إيمي إلى غرفة فندقه الليلة الماضية مع وعدٍ بتسليم الرجل الذي خانته اليوم. أعتقد أن السيد سميث نجا من الكثير من المواقف الصعبة في الماضي، لكنني لا أعتقد أنه سينجو هذه المرة.

يقول ديفون في أذني: «تَبًّا، يا إل. أتمنى لو كنتُ زودتكِ بفيديو أيضًا، كنت سأحب رؤية وجهه عندما فتح ذلك الصندوق».

- أشعرُ كأنني سأتقيأ. (الآن بعدما انتهى الأمر، تتلاشى طاقتي المدفوعة بالأدرينالين سريعًا) من الصعب التوفيق بين جورج الذي عرفته وبين السيد سميث.

يرد ديفون: «إنها صدمةٌ عقليةٌ حقيقيةٌ. استقلي سيارةً أجرة. ستقلع رحلتك خلال ساعة ونصف».

أُرسل رسالة نصيَّة: وصلت للتو، قبل أن أُلقي هاتفِي على المقعد المجاور. يستغرق الطريق إلى وجهتي ثلاثين دقيقة، وأنا منهكة تمامًا. لست متأكدة إن كنت سأتمكن من قطع الأميال الأخيرة قبل أن يغلبني النعاس. لحسن الحظ، يظهر مدخل المنزل في الأفق بعد وقتٍ قصير. أنعطف وأتبع الطريق المُتعرج المكسو بالحصى.

الضوء الأمامي مُضاء، وهذا أمرٌ أقدره نظرًا إلى أن الظلام يعم المكان في الخارج. أسحب نفسي من السيارة، وأتجه بخطى مُثقلة نحو درجات الشرفة. أضغط على الجرس ولا أتركه حتى يُفتح الباب بعنف.

يقول ديفون وهو يفتح الباب: «ألا تبالغين قليلًا؟».

أقول وأنا أرتمي على الأريكة وأركل حذائي بعيدًا: «كانت أطول ثلاثة أيام في حياتي. سأنام لمدة ثلاثة أيام متواصلة».

يقول ديفون: «هناك غرفة نوم في نهاية الردهة». لكنه يرمي بطانية فوقِي، ويُطفئ المصباح الموضوع على الطاولة الجانبية لأنه يعلم أنني لن أتحرك من مكاني.

- أعتقد أن كل شيء سار على ما يرام؟

أجمع كل ما تبقى لديّ من طاقة لأرفع رأسي. إنها ترتدي بيجامةً بسيطة وشعرها يتطاير في كل اتجاه، ولا أستطيع إنكار شعوري الطفيف بالرضا لأنني أيقظتها بعد الأسبوع العسير الذي مررتُ به.

أقول بابتسامةٍ ضعيفة: «يبدو أنني لن أحاكم بتهمة قتلِك بعد كل شيء». تضحك إيمي هولدر، بينما تنغلق عيناها وأغرق في نومٍ عميق، كأنني أنفصل عن العالم تمامًا.

لوكا مارينو-قبل أربع سنوات

كانت عملية تاييت في فورت وورث، تكساس، هي المهمة الأولى التي أدركتُ فيها بشكلٍ قاطع أنني لست الشخص الوحيد الذي يعمل لصالح السيد سميث.

بما أن ديفون كان يراقب كاميرات الأمن لعدّة أيام قبل وصولي، تمكّن من الحصول على صور للأشخاص الآخرين الذين أرسلوا للغرض نفسه. عندما طلبتُ من ديفون تتبّع كل مَنْ حاول استعادة اللوحة من منزل عائلة تاييت، فعل ما بوسعه.

وهذا هو سبب وقوفي الآن على شارع رملي في بلدة صغيرة في فلوريدا، أحرق إلى أروع منزل شاطئي وردي. لا أستطيع رؤية المحيط من هنا، لكنني أستطيع سماعه.

المسار الأمامي ليس سوى مجموعة من الأحجار ذات الأشكال الغريبة مُرتبة بشكلٍ غير منتظم يقود إلى الشرفة. إذا كانت تُشبهني بأي شكل، فهي تعرف بالفعل أنني هنا.

عندما أقترّب بضع خطوات، يُفتح الباب.

أقول مبتسمةً بشدة: «مرحباً».

- هل يمكنني مساعدتك؟

- إيمي هولدر؟ هل يمكننا التحدّث لدقيقة؟

إنها في حالة تأهُّب، كما ينبغي. كما سأكون أنا لو كنتُ مكانها. الملاذ الآمن هو المكان الذي تحميه بأي ثمن ونادراً ما تقبل حضور غرباء دون سابق إنذار.

- يمكنك قول ما تريدين من هناك.

أومئ برأسي وأفكر في أفضل طريقة للتقدم.

- أحتاج إلى التحدث معكِ عن عملية تايت في فورت وورث.

رفع حاجبيها هو ردة الفعل الوحيدة التي أحصل عليها.

أضيف: «نعمل لدى صاحب العمل نفسه».

تعقد ذراعيها أمام صدرها: «عليكِ المغادرة».

اللعة. أستطيع رؤية ذلك في عينيها. إنها على وشك الهروب.

أرفع يديّ كما لو كنت أحاول منعها من الهروب: «كنت سأشعر تمامًا بما

تشعرين به لو ظهر شخصٌ عند باب منزلي بهذا الشكل. نحن بحاجة ماسة

إلى الحديث، لكنني سأترك لك اختيار الزمان والمكان. (أبحث في حقيبتي

وأخرج قلماً وإيصلاً من محطة الوقود التي توقفتُ فيها للتو، ثم أكتب

معلوماتي على ظهره. أنظر إليها مباشرة لأظهر صدقي وأقول): هذا رقمي.

وهذا اسمي الحقيقي، الاسم الذي يعرفه عددٌ قليل فقط من الناس. من المهم

أن نتحدث. سأكون في بنما سيتي بيتش حتى تتواصل معي».

أعود إلى الشارع، أضع الورقة في صندوق بريدها، وأغادر دون أن تنطق

بكلمة أخرى. أعلم أنني أخطر كثيراً بهذا التصرف، لكن ليس لدي خيار آخر.

تمر خمسة أيام قبل أن تتواصل معي.

تُعطيني إشعاراً قبل خمس عشرة دقيقة فقط للقاءها في سوق مزارعين

قريب من الشاطئ. إنه مكانٌ مزدحم وصاخب، وهو بالضبط المكان الذي

كنت سأقترحه لو كنتُ في مكانها.

تبدأ بالقول: «الوحيدة التي تحمل اسم لوكا مارينو وتُطابق عمرك وعرقك

هي التي ذكرت في نعي أنجلينا مارينو في إيدن، كارولينا الشمالية».

أومئ برأسي وأجيب: «وهذا كل ما سيجده أي شخص حتى أقرر غير

ذلك».

نسير بين الأكشاك، مُتفادين الأطفال الصغار، حتى نصل إلى منطقة

صغيرة مليئة بالطاولات الخشبية المخصصة للنزهات. هناك طاولة فارغة

في الزاوية الخلفية، فتجلس إلى جانب منها بينما أجلس أنا إلى الجانب الآخر.

- حسناً، تحدثي.

أدخل في صُلب الموضوع مباشرةً: «لديّ صديق يساعدني في المهام. تمكّن من اختراق النظام الأمني قبل أن أبدأ في عملية تاي. دخلتِ بعدي مباشرةً. أنتِ من أخذ النسخة المزيفة التي تركتها».

تصمتُ هنيهةً، ثم تقول أخيراً: «تلقيتِ توبيخاً شديداً لأنني سلمتُ نسخةً مزيفة ولم ألحظ ذلك».

أقول لكسر حدّة التوتر: «كانتِ تلك على الأرجح أبشع لوحة رأيَتها في حياتي. أفهم لماذا لم تتوقعي أن يعيد أحدُ رسمها».

تضحك ضحكة خافتة وقصيرة، لكنها تكسر التوتر، وهذا ما كنت أحتاج إليه.

تتلاشى ابتسامتي عندما أفكر فيما سأضطر إلى إخبارها به.

- هل علمتِ أننا لم نكن الوحيدين اللذين حاولا استعادة اللوحة؟

تومئ برأسها: «نعم، قيل لي إنه كان نوعاً من الاختبار السخيف. سيحصل الفائز على مكافأة».

أقول بهدوء: «أعتقد أنه كان أكثر من مجرد اختبار. تمكّن صديقي من تحديد هوية الجميع، وذهبتُ أبحث عنهم، كما فعلتِ معكِ».

- وماذا بعد؟

أتنحنح قبل أن أقول: «النتيجة أننا الوحيدتان المتبقيتان».

تجلس إيمي بشكلٍ أكثر استقامة: «ماذا تقصدين؟».

- أجرى السيد سميث عملية تصفية لفريقه، وكانت هذه طريقته في تحديد من سيحتفظ به ومن سيتخلص منه. ولا يمكنه ببساطة طردنا بعد كل ما رأيناه وفعلناه.

أسرد لها أسماء الآخرين وأسباب وفاتهم بينما تظل تُحدق إلى وجهي دون أن ترمش.

- أعتقد أنكِ نجوتِ لأنكِ تمكنتِ من حل اللغز بذهابكِ إلى غرفة الغسيل، حتى وإن خرجتِ بالنسخة المزيفة.

عندما طلبتُ من ديفون تحديد أماكن كل مَنْ ظهرُوا في الفيديو، كان ذلك بدافعٍ أنانيٍّ. تلك الحياة التي نعيشها منعزلة جداً، مليئة بالتنقل المُستمر

والكذب بشأن هويتك الحقيقية. لم أر الآخرين مجرد منافسين، بل رأيتهم أصدقاء محتملين. أشخاص آخرون يمكنهم فهم تحديات العيش والعمل بهذه الطريقة. مجموعة يمكننا أن نكون فيها على حقيقتنا وربما حتى نساعد بعضنا بعضاً، حتى لو كان ذلك فقط لتبادل الآراء عندما نواجه مهمة صعبة. كان ديفون أكثر تردداً في تتبع الآخرين، لكنني أقنعتة في النهاية. لم يكن أي منّا مستعداً لاكتشاف أن كل شخص باستثناء إيمي راح ضحية حادثة خطيرة أو مرض قاتل مفاجئ بعد وقت قصير من تلك المهمة.

لم تقل إيمي شيئاً حتى الآن.

- إنها مسألة وقتٍ فقط قبل أن نخفق في إحدى اختباراتنا. لولا صديقي، لما عرفتُ أن عليّ الذهاب إلى غرفة الغسيل. لقد أنقذ حياتي حرفياً. تنظر بعيداً عني متألمة الحشد.

أقول بحزم: «لن أجلس مكتوفة الأيدي في انتظار أن يتخلص مني». أخيراً، أحصل على ردة فعل منها. تعبس وهي تفكر في كلامي وما يعنيه. «إذاً، ما الذي تنوين فعله؟ ستستقيلين؟ جربتُ ذلك... لا يوجد شيء اسمه استقالة». يتحشرج صوتها، ومن الواضح أن هناك الكثير ممّا لا تقوله. أقول بجدية: «يجب عليه أن يرحل».

تبدأ في هزّ رأسها، وتبدو كأنها على وشك النهوض؛ لقد أخفتها. كل ما يمكنني فعله هو المضي قدماً. أقول: «فكرت في هذا الأمر لفترة طويلة. لكن لا يمكنني القيام به وحدي. إذا كنتِ مستعدة لمشاركتي، فسيتعين علينا أن نأخذ وقتنا. نجمع كل ما يمكننا الحصول عليه عنه. شيء نستخدمه ضده. بقدر فساد، تعلمين أنه بالتأكيد خان أحدهم. نحصل على التفاصيل، ثم نسلّمه لهم. نتركهم يتولون أمره».

تنظر إيمي بعيداً، وفكها مشدوداً بإحكام.

أواصل الحديث: «علينا أيضاً معرفة هويته الحقيقية. لا فائدة من إخبار أحدهم بخيانتة له ما لم نتمكن من تسليمه هويته أيضاً».

تبدأ في هزّ رأسها، وقد ألقى عليها الكثير من المعلومات دفعة واحدة، ولا تستوعب كل ما قلته بالسرعة التي أتكلّم بها.

أضيف: «سنحمي أنفسنا بأي ثمن. عندما يحين الوقت لقلب الطاولة عليه، يجب أن نتحكم في كل شيء حتى أدق التفاصيل».

تنهض وتخطو أولى خطواتها للابتعاد، فأطرح عليها سؤالاً: «هل لديك أي عائلة يمكنه استخدامها للوصول إليك؟ شخص يمكن أن تفعل أي شيء لحمايته؟».

تفكر لفترة طويلة فيما إذا تريد الإجابة على سؤالي أم لا.

- نعم، هناك شخص.

هذا كل ما تقوله، ولا أضغط للحصول على تفاصيل.

- إذاً، علينا أن نضمن حمايتهم.

أخيراً، تلتفت لتتأمل إليّ: «وماذا عنك؟».

- لا. ليس لدي أحد.

أراقبها بينما تفكر فيما تريد قوله.

تسأل: «هل سبق لك أن رفضت أي مهمة؟ هل رفضت يوماً القيام بشيء طلبه منك؟».

أهز رأسي: «لا، لم أفعل».

تتأمل بعيداً، وتضحك بمرارة: «ليست لديك فكرة عما سيفعله إذا اكتشف ما تخططين له».

أشعر ببعض القلق لأنها لم تقل ما نخطط له، لكنها لم تبتعد بعد. حتى الآن.

أقول أخيراً: «سيحاول تدميرنا، لكن إذا سبقناه بخطوة، قد يكون الأمر أشبه بتفجير مُحكم السيطرة. كما يحدث عندما يكون السبيل الوحيد للتخلص من قنبلة هي تفجيرها. سنسيطر على أكبر قدر ممكن، حتى عندما يحدث الانفجار، كما نعلم أنه سيحدث، ستكون العواقب أقل سوءاً».

تضحك مرة أخرى، كأنني ساذجة. وربما أكون كذلك.

بعد لحظة، تقول إيمي: «إذاً، أنت فعلاً ستفعلين ذلك».

- لا أعتقد أن لدينا خياراً آخر.

الفصل السادس والعشرون

في مجال عملي، ثمة خدعٌ قصيرة وخدعٌ طويلة، وقد انتهيتُ للتو من أطول خدعةٍ في حياتي. أشعر ببعض الارتباك الآن بعد أن انتهى كل شيء.

كنت أمزح قليلاً عندما قلت إنني سأنام لثلاثة أيام، لكنني بالفعل نمت معظم اليومين. تحرك ديفون وإيمي بحذرٍ حولي، يتأكدان من وجود الطعام بالقرب مني، دون أن يثقلًا عليَّ بالأسئلة التي أعرف أنهما يريدان طرحها. لأنها كانت مهمة طويلة بالنسبة لهم أيضاً.

يقول ديفون وهو يجلس على الكرسي بجانب الأريكة: «استيقظتِ أخيراً».

- بالكاد استيقظت. الأمر يشبه صداد الكحول، لكن دون متعة الحصول عليه.

يضحك ديفون. «إذاً، ألا يزال الوقت مبكراً جداً لإحضار الشمبانيا؟».

تدخل إيمي إلى الغرفة وتجلس على الكرسي بجانب ديفون قائلة: «ليس هناك وقتٌ مبكر للشمبانيا أبداً. (ثم تضيف): صباح الخير».

أرد بابتسامة: «إذا كنتِ تقولين ذلك». وبينما أفكر في مدى حاجتي إلى القهوة، تضع إيمي فنجاناً أمامي.

نظل صامتين للحظة، ثم تقول إيمي: «تمنيْتُ لو رأيت وجهه في خزانة البنك عندما فتح صندوق الأمانات».

يضحك ديفون ويقول: «قلت الشيء نفسه».

أهز كتفيّ وأقول: «تمنيت أن أرى نظرة دهشة تُسقط فكه عندما اكتشف أنني تفوقت عليه، لكن كل ما حصلتُ عليه كان حاجبًا مرفوعًا».

في النصف ساعة التالية، أشاركهما كل تفاصيل الاجتماع مع المُحقّقين، حيث لم يستمع ديفون إلى تلك المحادثة.

تقول إيمي: «يا إلهي، كنتِ محظوظة لأنه أرسل امرأة تشبهكِ تمامًا، وإلا لوقعتِ في ورطة. حتى مع حجة غياب تايرون، لكان من الصعب إقناعهم بأنها لم تكن أنتِ».

أهز كتفيّ وأقول: «كان بإمكاننا دائمًا إحياءكِ من الموت لو اقترب خطر السجن منّا كثيرًا. لست قاتلة في الحقيقة».

تضحك إيمي وتقول: «نعم، هذا صحيح أيضًا».

- من حُسن الحظ أن إيمي كانت بالفعل داخل سلة الغسيل قبل بدء التصوير. تفقدت ذلك المبنى قبل أن أحضر الجثة من المشرحة، وكانت الغرفة المقابلة لغرفتها فارغة. (عبس ديفون ثم أضاف): أكره عندما يتفوق عليّ أحد بهذه الطريقة».

أركل قدمه قائلة: «لا تقسُ على نفسك. أنقذت حياتنا مراتٍ عديدة أكثر ممّا نود الاعتراف به. لا يمكن أن تكون مثاليًا طوال الوقت».

اعتقدت أنني طلبت من ديفون كل ما أحتاج إليه، حتى طلبت منه أن يحضر لي جثة. جثة محددة للغاية. جثة حديثة الوفاة. بيضاء. أنثى. مجهولة الهوية لن يفتقدها أحد. يبلغ طولها حوالي خمسة أقدام وسبع بوصات، ذات شعرٍ أشقر طويل، ألبسناها ذلك المعطف الأحمر الذي لا يخطئه أحد.

لكي تنجح خطتنا، كان يجب أن تموت إيمي هولدر بطريقةٍ مثيرة ومدوية. عندما بدأنا في التحضير لهذا اليوم، اليوم الذي سنصبح فيه أحرارًا من السيد سميث، لم يعرف أي منّا كم سيستغرق الأمر للوصول إلى هذه اللحظة. ورغم أن التنفيذ استغرق وقتًا أطول ممّا كنّا نرغب فيه، فإن الخطة نفسها كانت بسيطة نسبيًا. بينما كنّا نعمل في مهامنا الخاصة، كنّا نبحث عن خيانتته لأيّ من عملائه. شيءٌ كبير بما يكفي لجعله يخاف على سلامته إذا كُشف.

والأهم من ذلك، كان علينا اكتشاف هويته الحقيقية.

لكن إيمي كانت محقة، لم تكن لدينا أي فكرة عما سيفعله عندما يبدأ في التشكيك في ولائنا.

كان علينا الكشف عن أي شيء قد يمتلكه ضدنا في وقت مبكر حتى نتمكن من تعديل خطتنا وفقاً لذلك. عثرت إيمي على دليل خيانة السيد سميث لعائلة كونولي، وكان ذلك كل ما نحتاج إليه. لذلك أصبحت إيمي هي الحمل الذي سيُضحى به. لعبت دور الموظفة الساخطة التي ستخرج عن السيطرة في إحدى المهام. وإذا احتفظ السيد سميث بشيء يمكن أن يسيطر عليها من خلاله، فسوف يُجبر على استخدامه.

ولم يخب ظننا.

استغرق الأمر وقتاً طويلاً من إيمي لتخبرني عن أختها هيدر. التحقتا بنظام الرعاية البديلة عندما كانتا صغيرتين، بعد أن توفيت والدتهما بجرعة زائدة ولم يظهر أي فردٍ من العائلة لرعايتهما. أُرسلت كل واحدةٍ منهما إلى عائلة مختلفة، وفقدتا الاتصال ببعضهما. عثرت إيمي على هيدر بعد أن بدأت العمل مع السيد سميث، باستخدام الموارد المتاحة لنا لأداء مهامنا. أدركنا تماماً أنه إذا تمكّنت إيمي من العثور على أختها، فربما يكون السيد سميث قد وجدها أيضاً.

وهنا وجه ضربته القاسية. امتلك السيد سميث أدلة جاهزة للاستخدام تؤدي إلى اعتقال هيدر بتهمة تعاطي وتوزيع المخدرات، ممّا سيؤدي إلى إلحاق ابناتها الصغيرة، سادي، بنظام الرعاية البديلة؛ كابوس إيمي وهيدر الأسوأ على الإطلاق.

نقل ديفون هيدر وسادي إلى ولايةٍ أخرى تحت أسماء مختلفة مباشرةً بعدما وجه السيد سميث تهديده الأول ضدّهما. كان هذا حلاً مؤقتاً، لكنه كان حلاً فعالاً في الوقت نفسه.

سيطرنا على ذلك الانفجار.

كما لم يضرنا انسجام هيدر وديفون معاً جيداً، ومنذ ذلك الحين أصبح ديفون حامياً قوياً لهما. لم يتمكّن أحد من الاقتراب منها أو من ابناتها.

أسأل إيمي الآن: «ماذا يعني هذا بالنسبة لهيذر وسادي؟ هل سيعودان إلى تولسا؟».

- إنها تحب فينيكس. لن أتفاجأ إذا قررت البقاء هناك. كانت البداية الجديدة مفيدة لهما. (تبتسم إيمي وتلفتت إلى ديفون) سمعت أنك قد تنتقل إلى فينيكس أيضًا.

يرد ديفون وهو يهز كتفيه، لكن فضحته ابتسامته: «ربما».

بعد أن أصبحت هيذر وسادي خارج دائرة الخطر المباشر، انتقلت إيمي إلى أتلانتا، حيث بدأت تتصرف بشكل متقلب وغير مستقر. لم يكن أمام السيد سميث سوى إرسال شخص لاستعادة ما كانت تملكه إيمي.

أكبر مخاطرة كنّا نتحملها هي افتراض أنني سأحصل على المهمة. خططنا لتمرّد إيمي ليتزامن مع انتهائي من مهمة أخرى، ممّا جعلني متاحة. وبصراحة، كنت واحدة من أفضل العاملين لديه. وضعنا خطة بديلة في حال لم يكلفني بالمهمة، لكن لحسن الحظ، كانت المهمة من نصيبي.

ورغم أن السيد سميث أرسل أشخاصًا لمراقبتي وأنا أراقب إيمي، فإنهم لم يلاحظوا النادل الذي قدم لإيمي مشروباتها، أو يدركوا أن ديفون لم يضع أي كحول في تلك المشروبات. لم يجدوا شيئًا غريبًا في أن كل مرة كانت تصرخ فيها إيمي عليّ، وتُسرب معلومات حساسة في اللحظة التي نحتاج إليها فيها، كانت دائمًا في مكانٍ عام للغاية؛ ممّا يضمن وصول تلك المعلومات إليه.

أو أن إيمي اختارت أتلانتا لتجتاز تلك العاصفة التي أثارته، وهي المدينة نفسها التي يعيش فيها أحد أقدم وأشهر أصدقائي، والذي لم يتردد في تزويدي بحجة غياب. أكّد لنا تايرون أن ليالي الثلاثاء هي الأنسب له.

أدت إيمي دورها بشكل مثالي. ظهرت في عشرات كاميرات المراقبة عندما غادرت الحانة وسارت عبر الشارع إلى ذلك الفندق، متعثرة طوال الطريق. لم يكن صعبًا تصديق أنها قد تهاونت في التعامل مع سيجارتها وهي في تلك الحالة. أخرجت إيمي من غرفة الفندق في عربة خدمة الغرف، ثم تولى ديفون الأمر حيث واصلت هروبها إلى موقف السيارات وإلى السيارة التي كنّا قد أعدناها هناك. ومنذ ذلك الحين، وهي تختبئ في هذا الكوخ.

أردت إثارة شكوك السيد سميث نحوي، لكنني لم أكن مستعدة لامتلاكه أدلة دامغة قد تورطني في جريمة قتلها. كانت تلك مفاجأة لنا جميعًا.

بعد أتلانتا، انتهت المرحلة الأولى من خطتنا. أصبح لدينا ما يكفي للإطاحة به. موت إيمي المزعوم ضمن سلامتها من أي انتقام لاحق. كل ما كنّا نحتاج إليه هو اسمه الحقيقي.

ثم جاء دوري. كنت بحاجة إلى دفعه لاستخدام ما يملكه ضدي. للتحكم في انفجاري الخاص.

علمنا أن هيدر وسادي كانتا نقطة ضعف لإيمي، لكننا لم نتأكد تمامًا من أين سيضربني. لذلك كان عليّ أن أستمّر في اللعب حتى يكشف عن أوراقه. محطة التوقّف كانت طريقتي الخاصة لإظهار عدم الاستقرار. علمت أن المدرب ميتش أفضل فرصة لديّ لاكتشاف هوية السيد سميث الحقيقية، وأخيرًا، بعد أن حصلنا على أدلة ضده، أصبح بإمكاننا استخدام هذه الورقة. كنت بحاجة إلى استفزاز ميتش، وكنت واثقة أن لقائي مع أندرو مارشال سيدفع السيد سميث إلى الجنون، لأنه اعتقد أن هناك احتمالًا ضئيلًا أنني أبقيه تحت سيطرتي.

وهكذا اشتعل فتيل القنبلة التي جهّزها لي. أو هكذا اعتقد.

تسأل إيمي، قاطعة سلسلة أفكار: «هل هناك أي أخبار عن مكان السيد سميث الآن؟».

يواصل ديفون النقر على لوحة مفاتيحه ويقول: «لا شيء مؤكد حتى الآن. ستتعامل معه عائلة كونولي بطريقتها الخاصة، ممّا يعني أنني لا أعتقد أننا سنجد أي أجزاء من جثته يمكن التعرف عليها».

يُفْشِرُ بدني من كلماته. رغم أن هذا أقل ما يستحقه السيد سميث بعد كل ما فعله، فإن ديفون يعلم أنني سأواجه صعوبة في كوني الشخص الذي سلّمه إلى مصيره.

لكن وصلت الأمور إلى مرحلة الاختيار بينه وبيننا.

أقول بهدوء: «أعترف الآن بعد أن انتهت كل شيء، مرت عليّ لحظات ظننت فيها أنه تفوق عليّ».

يصدر ديفون تأوّهًا ويقول: «نعم، قصة لوكا المزيفة أربكتني تمامًا. لم أتوقع إلى أين سينتهي بنا الأمر».

أقول: «لدينا تمكّنًا من إخراجها في الوقت المناسب».

تقترب إيمي وتضغط على ذراعي بلطف: «كنا سنفعل ذلك لو علمنا بما خطّط له. لكنها كانت آخر ضحاياها».

أومئ برأسي وأحاول أن أجد بعض الراحة في كلماتها: «هل اكتشفت مدى تورط رايان في الأمر؟».

ينظر ديفون من فوق حاسوبه المحمول. أجلت طرح هذا السؤال لأنني لم أكن متأكدًا من رغبتني في معرفة الإجابة. بعدما زرع ديفون المعلومات المتعلقة بإيمي في منزل والذي جيمس، طار إلى فيرجينيا، حيث كان يعيش السيد سميث. وبينما كان السيد سميث يتبعني إلى ذلك البنك، كان ديفون يخترق حاسوبه الشخصي. عندما عرف ديفون أين يبحث، انفتحت الأبواب أمامه واكتشف كل جانب من جوانب أعماله.

- اقتصر تورّطه على ما عرفناه بالفعل. استفاد السيد سميث من خدماته على مر السنين. ومع نمو أعمال رايان، زاد اهتمام سميث به. أعتقد أنه نوى الاستيلاء على أعمال رايان، كما أخبرك سابقًا. ممّا جمعته حتى الآن -وربما يستغرق الأمر بعض الوقت قبل أن أتمكن من مراجعة كل شيء- عرفه رايان من خلال معاملتهما السابقة، لكنه لم يكن على دراية كاملة بحجم شبكة سميث ونفوذه.

تجلس إيمي منتصبة في كرسيها، وعيناها تنتقلان بيني وبين ديفون.

- إذًا، لماذا أعطاه سميث معلومات عن أعماله الخاصة؟

يهزّ ديفون كتفيه: «لست متأكدًا تمامًا. أعتقد أن سميث كان لديه أسبابه لذلك، لكن ما لم نسأل رايان مباشرة، قد لا نعرف أبدًا».

أقول: «حسنًا، إذن يبدو أننا لن نعرف أبدًا».

تضحك إيمي قائلة: «حقًا؟ ألن تسأليه؟».

أحاول إخفاء العبوس الذي يسيطر على وجهي: «لا أستطيع سؤاله!». يقول ديفون وهو يعيد تركيزه على الحاسوب المحمول: «بالتأكيد يمكنك ذلك».

- ما الفائدة؟ المهمة انتهت. ومن الآن فصاعدًا، سألتزم بالطريق المستقيم. لا مزيد من الأنشطة غير القانونية بالنسبة لي. تُدحرج إيمي عينيها وتقول: «الالتزام بالطريق المستقيم لا يعني أن عليك أن تُنهي علاقتك به. أخلاقه رمادية، وأنتِ كذلك. بالإضافة إلى أنه وسيم جدًا وربما يكون رائعًا في الفراش».

- أعطيتها ثلاثة أشهر قبل أن تتصل بي وتقول (يقلد ديفون صوتي بنبرة مرتفعة): «ديفون، هناك مهمة...». ممّا يجعلني أضحك وأنا أدحرج عيني.

تقول إيمي: «أراهن على شهر واحد».

ألقي وسادة الأريكة باتجاه كليهما.

نبقى في الكوخ ثلاثة أيامٍ أخرى بينما يواصل ديفون تفحص باقي ملفات السيد سميث التي نسخها من حاسوبه. لكن فترة الابتعاد تلك عن العالم الحقيقي لا يمكن أن تستمر إلى الأبد.

يقول ديفون وهو يحمل حقيبةً على ظهره وحقيبةً أخرى في يده: «حسنًا، يا سيدات، سأغادر».

سيارته جاهزة بالفعل ومحملة بمعداته. هو أول من يغادر، ونبادل أنا وإيمي الأدوار في عناقه، لكنني الوحيدة التي تتبعه إلى الشرفة. أقول: «لقد فعلناها».

يبتسم ديفون ابتسامةً واسعة: «نعم، فعلناها. (ثم يتوقف قبل أن يُضيف): عندما تتجاوزين فكرة أنكِ انتهيتِ من هذه الحياة، أخبريني».

أجيب، رغم أن صوتي يفتقر إلى القناعة الكافية: «لقد انتهيتُ حقًا. ويمكننا الاجتماع للمرح! ليس بالضرورة أن يكون دائمًا من أجل العمل».

يسير ديفون نحو سيارته ضاحكًا: «بالطبع يمكننا. سأكون جاهزًا متى تكونين كذلك». ثم يُلقي أغراضه على المقعد الخلفي وينطلق.

تغادر إيمي بعدها. تسألني: «سترسلين إليّ رسالةً عندما تستقرين، أليس كذلك؟».

- نعم. سأراكِ خلال بضعة أسابيع.

أساعدها في حمل حقائبها إلى السيارة، ثم نرتمي في أحضان بعضنا لفترةٍ طويلة.

ثم تغادر هي أيضاً.

أبقى في الكوخ لفترةٍ أطول. توجد أمورٌ يجب فعلها، وخططٌ يجب وضعها، وقراراتٌ يجب التفكير فيها، لكن لمدة أسبوعٍ كامل، يسود الهدوء.

الاسم المستعار: إيفي بورتز - قبل أربعة أشهر

إنه يوم الخميس، ويصل رايان سَمَنر في الوقت المُحدد تمامًا. يتوقف عند مضخة الوقود الأبعد، كما يفعل دائمًا.

يبدو أكثر استرخاءً اليوم، استبدل قميصه المُعتاد بأحد القمصان الرياضية ذات الياقة المطبوع عليها شعار النادي المحلي. أتساءل ما الذي جعل هذا الخميس مختلفًا.

أرفع تنورتي قليلًا وأمرر يديَّ عبر خصلات شعري، متأكدةً من أنها تسقط على وجهي بالطريقة التي أريدها.

علمت منذ البداية أنها ستكون أخطر مهمةٍ لي. أرسلني السيد سميث إلى هنا ليحطم إرادتي.

أقرر لعب هذه المهمة وفقًا للقواعد. لن أتجاوز الحدود، ولن أتحرك قبل الأوان. سأدع الأمور تتكشف من حولي. سأنتظر حتى يوجه لي السيد سميث كل ما يملكه ضدي قبل أن أرد عليه.

أقول وأنا أتوجه نحو سيارته: «مرحبًا».

يبدو عليه الارتباك للحظة، لكنه يُخفيه بسرعة وسهولة. يرد بابتسامة واسعة: «مرحبًا». في الواقع، يبدو ألطف بكثير مما توقعت شخصيًا.

أميل برأسي باتجاه سيارتي، التي تقف على الجانب بإطارها الخلفي الأيسر المسطح تمامًا.

- هل يمكنك مساعدتي في ذلك؟ علمني والذي كيفية تغيير الإطارات منذ سنوات، ونظرياً، أذكر الأساسيات، لكن يبدو الأمر أكثر تحدياً عندما تواجهه في الواقع.

تتسع ابتسامته ويضيء وجهه بأكمله، وهو بالفعل وجهٌ جميل جداً.

يقول: «بالطبع، دعيني أنهي ما أفعله هنا وسأتوجه لمساعدتك».

أردُّ عليه بابتسامةٍ مشرقة بالقدر نفسه، ثم أعود إلى سيارتي.

يوقف سيارته بجانبني ويراقبني عندما يخرج منها. أستاذ إلى جانب السيارة، في وضع يكشف جسدي بشكلٍ مثالي. يتوجه رايان إلى صندوق سيارته ليُخرج الرافعة، ثم يجثو أمام الإطار المثقوب. أجلس بجانبه على الأرض، وألاحظ أن عينيه تتوقفان لبضع ثوانٍ على ساقَيَّ، كما أملت.

أعرف من خلال بحثي أنه يحب لعب الجولف والتنس، رغم أنه ليس متفوقاً في أيٍّ منهما. أعلم أنه درس في جامعة لوزيانا وكان رئيساً للنشاط الاجتماعي في أخويته الجامعية. أعلم أنه واعد فتاةً خلال سنواته الدراسية الثانية والثالثة، لكنها أنهت العلاقة قبل أن تغادر للدراسة في الخارج.

أقول وهو يفك أول صمولة من إطار سيارتي: «تبدو مألوفاً جداً».

يلقي نظرة عليّ ويقول: «كنت أفكر في الشيء نفسه».

- أتعرف كالي روجرز؟ كنّا صديقتين في جامعة لوزيانا.

أدرك من تعابير وجهه أنه يتذكر الاسم لكنه لا يستطيع تذكرها شخصياً. بحثت عن الفتيات اللواتي كنَّ في الجمعيات النسائية في الفترة نفسها التي كان فيها، الفتيات اللواتي تمَّ وسمهنَّ في منشورات أصدقاء أصدقائه ولكن لم تجمعهم بهنَّ علاقة مباشرة. ستكون أسماؤهنَّ مألوفة ولكن ليس بما يكفي ليتذكرهنَّ بوضوح أو يسألهنَّ عني.

يقول: «هل كانت صديقة لمارتي برايتون؟».

- نعم!

يقول وهو يعود إلى العمل: «أعتقد أنني قابلتها مرة أو مرتين عندما كانت بصُحبة مارتى».

بمجرد توضيح الروابط المشتركة بيننا، لم أعد غريبة وأصبح الحديث سلسًا. على الرغم من أن رايان انتهى من تغيير الإطار، فإنه يتباطأ في الرحيل. نحن الآن متكئان على السيارة، في مواجهة بعضنا. أقول بابتسامة: «يجب أن أشتري لك مشروبًا! أقل ما يمكنني فعله مقابل إنقاذك لي».

يميل نحو الأمام بضع بوصات، قائلاً: «سأدعك تشتري لي مشروبًا إذا سمحت لي بشراء العشاء لك».

رايان بارعٌ في حديثه.

- أشعر كأنني أعرفك بالفعل، لكننا لم نتعرف رسميًا.

أمد يدي نحوه لمسافة قصيرة، لأننا قريبان جدًا بالفعل: «أنا إيفي بورتر». يمسك بيدي قائلاً: «رايان سمنر».

أرد بابتسامة: «حسنًا، يا رايان، تبدو المشروبات والعشاء فكرة رائعة». يسأل: «هل تتبعيني؟».

- خلفك مباشرة.

نتوجه إلى مطعم صغير، ويصل رايان إلى باب السائق قبل أن أتمكن من فتحه. يمد يده ليساعدني على النزول من السيارة.

ندخل المطعم، حيث يطلب رايان أن نجلس في الشرفة الخارجية. لا يزال الجو باردًا في هذا الوقت من السنة رغم أننا في لوزيانا. لا توفر لي تنورتي القصيرة أي دفء، لكنني أشعر بالارتياح عندما أرى عدة دفايات موزعة في المنطقة. تمتد الأضواء المتلألئة بين الأشجار المحيطة بالشرفة، ممّا يضيف أجواء حاملة مثالية لموعد أول.

نطلب النبيذ والمقبلات، ويستمر حديثنا دون توقف. يميل نحوي وأميل نحوه.

يقول عندما يُقدّم الطبق الرئيسي: «أخبريني بالمزيد عن نفسك».

تمرّ في ذهني ذكريات عن أمي وتلك المقطورة الصغيرة التي كنّا نسميها منزلًا؛ المنزل الذي جعلته أمي مكانًا حقيقيًا. وللمرة الأولى، لا أرغب في قول

الكذبة الأولى. أريد أن أخبره كيف علّمتني أُمي الخياطة وكيف كنّا نفصل الفساتين لكل دمية محشوةً أملكها. كيف كنّا نقيم حفلات الشاي ونتصرف كأننا من العائلة المالكة. أردت أن أخبره عن خريطة العالم التي كانت معلقة على الحائط، وكيف كنّا نرمي سهمًا عليها ونتعلم بعدها كل شيء عن المكان الذي يسقط عليه السهم.

لكنني ألتزم بالخطة وأخبره أن والديّ تُوفّيّا في حادث سيارة وأنني أحاول فقط العثور على طريقي في الحياة. أضفي المزيد من الحقيقة إلى القصة أكثر ممّا ينبغي، وأكشف له عن نفسي أكثر ممّا كشفتُ لأي شخصٍ آخر من قبل.

تنزلق يده عبر الطاولة، وأجهز نفسي للإحساس الجيد الذي أعرف أنه سيأتي. وبالفعل، أشعر بذلك. إنه شعورٌ جميل... أكثر ممّا ينبغي.

لذلك أبتعد قليلًا. ليس بما يكفي ليشعر بالرفض، ولكن لأمنح نفسي فقط بعض المسافة. أبنّي جدارًا عقليًا حول مشاعري، طوبة تلو الأخرى. رايان سَمَنر مجرد مهمة. مهمة لن تدوم. إنه مفتونٌ بإيفي بورتر، شخصية من نسج خيالي.

حان الوقت لتذكّر مَنْ هي إيفي بورتر ولماذا هي هنا.
حان وقت للعودة إلى العمل.

إيفي بورتز-اليوم الحالي

يقف رايان في الفناء الأمامي، دافعاً جزّازة العشب ذهاباً وإياباً على عشب أخضر مثالي. تغرب الشمس، وتُلقي أشعتها الواهنة توهجاً ذهبياً على المنزل الأبيض المكون من طابقين، ممّا يجعله يتلأأ.

يلمحني في أثناء مروره للمرة الثانية، فيطفئ المحرك فوراً. يرتدي شورت كاكيا قديماً وقميصاً أزرق فاتحاً مهترئاً عند الحواف.

أقف على الرصيف أراقبه وهو يراقبني. لم يتحرك أي منّا لعدة دقائق. مرت ثلاثة أشهر منذ صباح ذلك اليوم في الفندق في أتلانتا.

يتقدم نحوي حتى نلتقي في منتصف الطريق. يُغطي العشب المقطوع ساقيه وحذاءه، ويداه ملطختان بالشحم.

أبحث في وجهه عن أي تغييرٍ طفيف منذ آخر مرة رأيته فيها. أقول: «أمل أنك لا تزال تريد التحدّث».

يسحب رايان قطعة قماش من جيبه الخلفي ويمسح يديه بها. وبعد لحظةٍ طويلة، أخيراً ينظر إليّ ويشير نحو المنزل. دون انتظار ليرى ما إذا كنت سأتبعه، يبدأ في السير نحو الجانب الخلفي للمنزل باتجاه الفناء الخلفي.

تتوقف عيناى عند الصفوف الثلاثة الطويلة من النباتات التي تفيض بالخضراوات في الزاوية الخلفية من الحديقة.

يعيد رايان ترتيب كُرسيين من نوع أديرونداك بحيث يواجهان بعضهما بدلاً من أن يكونا جنباً إلى جنب، مشيراً لي بالجلوس على أحدهما. أختار

الكرسي الذي يجعل ظهري مصوبًا نحو الحديقة. لا أستطيع النظر إلى تلك الحديقة الآن.

يأخذ رايان زجاجتين من البيرة من مُبرد قريب، ويمرر لي واحدةً منهما. يقول: «اعتقدت أنه سيكون من الأفضل التحدُّث بعيدًا عن أعين الجيران المتطفلة. على الرغم من أنه يجب أن أشكر، فإن السيدات العجائز في هذا الشارع ابتعدن عني بعد المشهد الذي وقع في الممر، وتوقفن عن محاولة إقناع حفيداتهنَّ بالاقتراب مني».

أقول بابتسامةٍ خفيفة وأنا أرتشف من البيرة: «أنا متاحةٌ في أي وقتٍ تحتاج فيه إلى تلطّيح سمعتك الجيدة».

يرد بابتسامةٍ مريرة: «لم تكن سمعتي نقية قط كما تظنين. يمكننا التوقُّف عن التظاهر في أي وقتٍ تكونين جاهزة».

أخذ نفسًا عميقًا وأزفره ببطء، في محاولةٍ لتهدئة أعصابي. أقول: «لست متأكدة من أين أبدأ. اعتدت... أظاهر لفترةٍ طويلة».

يميل رايان برأسه جانبًا بينما يتفحصني بعينه. رغم أنني أنا وديفون وإيمي ظللنا نتكهن كثيرًا، فإننا لا نعرف جانب رايان من القصة بالكامل، أو ما الذي يعرفه عني أو عن السيد سميث. الشيء الوحيد الذي نعرفه هو أن رايان تعامل مع السيد سميث بشكلٍ أو بآخر، ولكنه كان المالك الوحيد لأعماله في شرق تكساس منذ وفاة جده.

وأعرف أيضًا أن هناك أمورًا غير محسومةٍ بيننا، وأن رغبتني في رؤيته مرة أخرى لم تخفت مع مرور الوقت.

- يجب عليّ تركّ البدء بالحديث أولًا، بما أنك أخذتِ وقتك في المجيء والتحدُّث معي. (يضع زجاجة البيرة على الطاولة الجانبية الصغيرة، ثم يتراجع في كرسيه، مستندًا برأسه على يديه المتشابكة: ن) كنتِ شيئًا لم أكن مستعدًا له. هل كنت أعلم أنك تحاولين الحصول على معلومات عن العمل في جلينفيو عندما أصلحت إطار سيارتك المثقوب؟ لا. حتى قبل أن ألتقيكِ، شعرت أن هناك شيئًا غير طبيعي. أشياء تُحرِّك من أماكنها

في العمل وفي المنزل. أشياء تختفي. تفاقم الأمر بعد أن قابلتك، لكنني لم أربط ذلك بك. على الإطلاق.

يبتسم ابتسامةً جانبية ويهز كتفيه بطريقة توحى بأنه يعلم أنه يجب أن يشعر بالإحراج، لكنه لا يشعر بذلك.

- أخبرني أحد الزملاء الذين تعاملت معهم من حينٍ لآخر على مر السنين أنه سمع شائعاتٍ بأن شخصاً ما قد تسلَّل إلى عملي ويبيع معلومات عن شحناتي لمن يدفع أكثر.

أسأله: «زميل؟».

يهز رأسه ويقول: «لا مزيد من الحديث عني حتى أسمع شيئاً منك».

ثم يأخذ رشفةً كبيرة من زجاجته ويضعها مجدداً على الطاولة.

- كنت مجرد مهمة بالنسبة لي. واجهتُ مشكلاتٍ مع رئيسي في العمل، ولم يكن سعيداً بي. عندما كُلفتُ بمهمتك، لم أكن متأكدة إذا كانت مهمة حقيقية. ليس بالطريقة المعتادة. رئيسي... كان يحب أن يلعب ألعاباً. يختبرني ليتأكد من أنني ما زلتُ ودية له. وبالطبع، لم أكن متأكدة إذا كنتُ تلعب دوراً في هذه اللعبة أيضاً.

يُضيق رايان عينيه وهو يحاول فهم ما أقوله، لأنني لم أكن واضحةً بالقدر الكافي. يقول: «يبدو ذلك... سيئاً للغاية. يبدو رئيسك كأنه وغدا لا يُحتمل».

ضحكتي تفاجئنا نحن الاثنين.

- ليست لديك أدنى فكرة. (لم أتصور أن الصدق سيكون بهذه الصعوبة) إذا كان الزميل الذي حذرك من أن أحدهم يبيع تفاصيل شحنااتك هو الشخص نفسه الذي كنتُ تتحدَّثُ معه في ردهة النُّزل في تينيسي، إذن فقد التقيت رئيسي.

يميل رايان للأمام، وقد تلاشت تماماً ملامح الاسترخاء من وجهه: «لم أعلم أنك سمعتِ محادثتنا. هل هذا سبب فزعك ومغادرتك؟ ونعم، كان ذلك هو الرجل. لكنه كان رئيسك؟ (تتسع عيناه وهو يحاول فهم الأمر) أخبرني أنك من سرقَتِ الملفات مني».

- نعم، هذا يبدو منطقيًا. إثارة النزاع بين شخصين من هواياته المفضلة. (أو ربما يجب أن أقول كانت هوايته المفضلة) اعتقد أن هذا يُحقق أفضل النتائج. طرف يعمل ضد الآخر، ولا أحد يثق بالآخر. وهو يراقب الوضع من الزوايا الجانبية.

نتبادل النظرات، نتفحص بعضنا بعضًا، نقارن بين ما كنا نؤمن به وبين ما نكتشفه عن بعضنا الآن.

أسأله: «متى أخبرك أنني أنا من أخونك؟ ولماذا بقيتَ معي عندما اكتشفت ذلك؟».

فكرة أن رايان أبقاني بجواره بدت منطقية عندما اعتقدتُ أنه السيد سميث.

- أرسل إليَّ رسالة نصيَّة قبل أن نغادر مركز الشرطة مباشرةً. طلب مني مقابلته. قال إن لديه بعض المعلومات لي. ذهبتُ إليه عندما أوصلتك وأخبرتكَ أنني بحاجة إلى الذهاب إلى مكتبي. (يضحك، لكنها ضحكة خاوية. ينظر نحو الفناء الخلفي) عند النظر إلى الماضي، من السهل رؤية كيف تلاعب بي. أخبرني أن شخصًا ما تواصل معه، عارضًا شراكة لأنه كان يعلم أنه استعان بخدماتي من قبل، واعتقد أنه يرغب في التخلص من الوسيط. لكنه جعلني أصدق أنه في صفي، وأنه يحاول التأكد من عدم نجاح هذا الشخص. أخبرني أنك كنتِ تستغليني للوصول إلى معلوماتي المالية وسجلات عملائي وسجلات الشحنات. وقدم لي «أدلة» على ذلك. قال إنك على وشك مُقابلة جهة اتصالك في أتلانتا لتسليمهم بقية المعلومات التي جمعتها عني، وأنهم وعدوك بمساعدتك في التخلص من مشكلاتك مع الشرطة. وافقت على البقاء قريبًا منك، لأكتشف مَنْ كان وراء ذلك. مَنْ أرسلكِ لتنفيذ هذه المهمة القذرة. كنتُ غاضبًا جدًا. جلست في سيارتي في الممر وقرأت كل شيء أعطاني إياه.

ينظر رايان أخيرًا إليَّ مرة أخرى، يميل إلى الأمام في كرسيه واضعًا مرفقيه على ركبتيه. يقول بصوتٍ قويٍّ ولكنه هادئ: «لكنني شعرت بعد ذلك بارتباكٍ أكبر من أي وقتٍ مضى. كل شيء قدَّمه لي كدليل على ما زعم

أَنَّكَ سَرَقْتَهُ مِنِّي كَانَ مُعَذَّبًا. تواريخ الشحنات الكبيرة كانت بعد أسبوع مَمَّا
خططتُ له. الحمولة كانت أصغر. أسماء المشتريين تَغَيَّرَتْ. لم يعد هناك شيءٌ
منطقي. وكان ذلك كافياً لأشك فيما حاول إقناعي به. ثم دخلت المنزل. بحثت
عني. ووجدتني في الحَمَّام، وكنتِ محطمة... كنتِ تبكين بشدة لدرجة أنني
خشيت أن تتحطمي إلى مليون قطعة. كان شعوراً مشابهاً تماماً لما شعرتُ
به. علمتُ أن هناك جزءاً كبيراً من القصة مفقوداً. (يبتسم لي ابتسامة حزينة،
ويُضيف): نويتُ الانتظار، لأرى إلى أين ستأخذنا الأمور».

ينظر إليَّ بحدّة لدرجة أنني أضطر إلى إبعاد عينيَّ. أسعل للتخلص من
الغصة في حلقي، وأخيراً أقول: «لم يكن هو الوحيد الذي يلعب لعبة. كنت
بحاجة إلى إثارة غضبه، أكثر ممّا كان عليه بالفعل. احتجت إلى أن يفقد ثقته
بي تماماً. لكنني لم أرغب أيضاً في أن تخسر عملك. لم أرِد أن يصبح مجرد
جزء آخر في منظومته. لذا غيرتُ التفاصيل».

يمد رايان يديه للأمام، يمسك بأرجل الكرسي الذي أجلس عليه، ويسحبني
قليلاً نحوه. يقول بصوتٍ ناعم، لكن بنبرة جادة: «أخبريني ببقية القصة».
أخذ نفساً عميقاً وأبدأ، أحكي له عن ديفون وإيمي، دون الكشف عن أسمائهما.
أخبره عن إيدن، كارولينا الشمالية، وعن العيش في تلك المقطورة مع أُمِّي حتى
وفاتها. أخبره عن السيد سميث وجورج وكيف لم أكن أعلم أنهما الشخص نفسه
حتى كاد يفوت الأوان. أخبره عن المرأة التي ادّعت أنها أنا، وكيف انتهت حياتها
وحياة جيمس فقط لأن السيد سميث أراد أن يوجه رسالة إليّ.

في مرحلةٍ ما في أثناء تفريغي لكل هذا الحمل عن كاهلي، سحبني رايان
إلى حضنه. أسند رأسي على صدره، ويده تتخلّل بلُطفِ خصلات شعري وهو
يستمع إلى كل أسرارِي.

أقول بصوتٍ مُفعم بالأسف: «أنا آسفة بشأن تورُّط جيمس في كل هذا. لو
كنت أعرف ما كان ينتظرهم، لوجدتُ طريقةً لإنقاذهما معاً».

- أعلم أنكِ كنتِ ستفعلين.

نجلس في صمتٍ طويل بما يكفي حتى تبدأ الشمس في الغروب.

يجب أن أشعر بالخجل من مدى سهولة العودة إلى الروتين اليومي مع رايان. الفرق الوحيد هذه المرة هو أننا صريحان بشأن مدى غموضنا.

إنه يوم الخميس ورايان في طريقه إلى شرق تكساس.

يقول وهو يملأ كوبه الحراري بالقهوة: «سأكون في المنزل بحلول السادسة». يرتدي بنطال جينز وقميصًا عاديًا لأنه ليس مضطرًا إلى التظاهر بأنه متجه إلى مكتبه المحلي.

أقترب منه وألف ذراعًا حوله، قائلة: «وأنا سأكون هنا».

يدفن وجهه في عنقي ويُمطرني بقبلاتٍ صغيرة. «هل ترغبين أن أحضر بعض شرائح اللحم في طريقي إلى المنزل؟».

- هممم، يبدو ذلك جيدًا. لدينا الكثير من القرع والكوسا التي نحتاج إلى تناولها، لذا يمكننا شويها أيضًا. الجيران يهربون مني الآن.

يضحك رايان ويقول: «هذا ما يحدث عندما يتحوّل نصف الفناء الخلفي إلى حديقة ونضطر إلى إهداء الخضراوات للجميع. (ثم يمنحني قبلةً أخرى ويهمس وهو يُلامس شفتي): حاولي أن تكوني فتاةً جيدة في أثناء غيابي».

أضحك وأقول: «سأحاول، لكنني لا أعدك بشيء».

يُغادر، وأراقب سيارته حتى تختفي عن الأنظار.

أملأ كوب القهوة مجددًا وأتوجه إلى المكتب الصغير الذي أنشأته لنفسني في إحدى غرف الضيوف. يستغرق الأمر بضع دقائق للاستقرار وتشغيل كل الأجهزة. جهّز ديفون هذا المكان، ونتخذ فيه كل الاحتياطات اللازمة.

أجري اتصالًا على الخط الآمن، وترد إيمي على الفور.

تقول بصوتٍ لا يزال يبدو نصف نائم «صباح الخير».

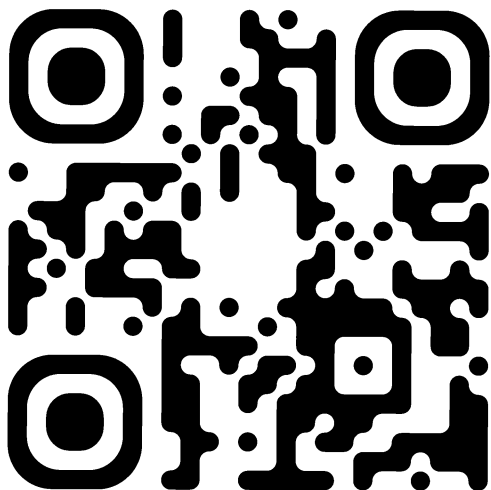
احتفظت باسمها الأول، لكنها الآن تحمل لقب بورتر أيضًا. أعتقد أنني لم أكن الوحيدة التي تبحث عن رابطٍ مع شخصٍ آخر.

- صباح الخير.

أُجيبها بينما أسجل دخولي إلى منتدى معجبي كينج هارفيست. يظهر صندوق التنبيه، معلناً عن وجود رسائل جديدة، بينما تتسلل أولى نغمات أغنية «الرقص في ضوء القمر» إلى سماعات حاسوبي. أخبرها: «لدينا رسالتان جديدتان».

أسمع إيمي تتثاءب ثم تقول: «افتحها ودعينا نرى ما الذي يبحثون عنه، يا آنسة سميث».

إنها أكثر لحظاتي المُحببة في كل صباح.



سجل في مكتبة

اضغط! الصفحة

SCAN QR

شكر وتقدير

أحدثتُ كتابة هذا الكتاب العديد من التغييرات؛ حيث انتقلتُ من سوق كُتب اليافعين إلى سوق الكُتب الموجهة للبالغين، وبدأتُ من جديد مع وكيل وناشر جديدين. وكانت التجربة مذهلة بحق!

أولاً، أودُّ أن أتقدم بشكري العميق لوكيلتي، سارة لانديس. منذ أول حديث بيننا، كان حماسك وحُبك لرواية «الكذبة الأولى تفوز» لا يُضاهى. لم أكتسب فقط مُدافعةً شغوفة عن هذا الكتاب، بل صديقة جديدة أيضاً. أشعر بامتنانٍ عميق لتوجيهاتك ودعمك المستمر.

كما أودُّ أن أشكر جميع العاملين في دار نشر ستيرلينج لورد ليتريستك، وخاصة سيلفيا مولنار وفريق الحقوق الأجنبية. يسعدني للغاية أن رواية «الكذبة الأولى تفوز» ستُنشر في جميع أنحاء العالم!

إلى وكلائي السينمائيين، دانا سبيكتور وبيرني بارتا، أشكرُكما على إيمانكما بهذا الكتاب والعتور على فريقٍ رائع لتحويله إلى عملٍ سينمائي. أنتما الأفضل!

يوجد شيءٌ ساحر يحدث عندما يجد الكتاب بيته المثالي. باميلا دورمان، جيرامي أورتون، ماري ميشيلز، وشيريس هوبز؛ أنتم الفريق المثالي من المُحررين، وأنا ممتنة للغاية لخبرتكم ودعمكم! شكراً لكم على كل عملكم الجاد وتفانيكم في المساعدة في تشكيل رواية «الكذبة الأولى تفوز» لتصبح ما هي عليه اليوم. وشكراً لكل شخصٍ في دار نشر فاينكنج/باميلا دورمان بوكس وهيدلاين، بما في ذلك داندرا ألفارادو، ماثيو بويزي، جين كافولينا،

تشيلسي كوهين، تريشيا كونلي، تيس إسبينوزا، كاساندرامولر، برايان تارت، أندريا شولتز، كيت ستارك، ربيكا مارش، ماري ستون، كريستين تشوي، مولي فيسيندن، جيسون راميريز، لين باكلي، وكليرفاكوا. أعلم أن هناك العديد من الأشخاص الذين يعملون خلف الكواليس، وأنا أقدر جهودكم جميعًا.

إلى ميجان ميرندا وإيل كوزيمانو، شكرًا لكونكما أفضل شريكتين في النقد وأروع صديقتين يمكن أن تحلم بهما أي فتاة. لا أستطيع تخيل خوض هذه التجربة من دونكما.

أنا محظوظة للغاية لوجود العديد من الأشخاص الذين يشجعونني. إلى زوجي دين، وأبنائنا ميلر، وروس، وأرتشر، شكرًا لكم لأنكم أكبر داعمين لي. أحبكم جميعًا كثيرًا، وأنا ممتنة لكم كل يوم. شكرًا لك يا أمي، وجوي، وباقي أفراد عائلتي، على فخركم الدائم بي. شكرًا لأصدقائي الذين كانوا دائمًا هناك من أجلي. وشكر خاص لإيمي بالارد، وكريستي بول، وبام ديثلوف، اللواتي حرصن دائمًا على أن يكون شعري وملابسي والمكان الذي أصور فيه مثاليًا لكل فيديو كان عليّ تصويره. العمل الجماعي هو السر!

وأخيرًا وليس آخرًا، شكرًا لقُرَّائي! سواء كان هذا هو أول كتاب تقرأونه لي أو إذا كنتم قد تابعتُموني منذ البداية، أنا أقدر كل واحدٍ منكم!

مكتبة

t.me/soramnqraa

الكذبة الأولى تفوز

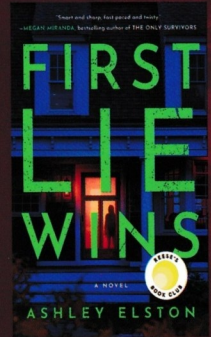
تملك إيفي بورتر كل ما قد تتطلع إليه فتاة جنوبية مثالية: حبيب مثالي شغوف، منزل محاط بسياج أبيض وحديقة غناء، ومجموعة أصدقاء من الطبقة المخملية.

لكن هناك عقبة واحدة: إيفي بورتر لا وجود لها. حالما يزودها رئيسها الغامض السيد سميث باسم ومكان محدد، تبدأ في استيعاب كل التفاصيل المتعلقة بالبلدة وسكانها. ثم يأتي الهدف: رايان سمنر. وأخيراً، تتمثل الخطوة الأخيرة في تنفيذ المهمة. على الرغم من أن إيفي لا تعرف الهوية الحقيقية للسيد سميث، فإنها تدرك أن هذه المهمة ستكون مختلفة عن سابقتها. تسأل رايان إلى قلبها، وتصورات جديدة لحياة أخرى بدأت تتشكل في ذهنها. لكن لا مجال لديها لارتكاب أخطاء، خصوصاً بعد ما جرى في المرة السابقة.

الهوية التي سعت جدها للحفاظ عليها طي الكتمان، الهوية الوحيدة التي كانت دائماً ملاذها الآمن -هويتها الحقيقية- انكشفت فجأة في هذه البلدة.

يجب على إيفي بورتر أن تبقى دائماً متقدمة بخطوة على ماضيها، مع الحرص على تأمين مستقبلها. الأخطار الآن في أوجها، ولكن لطالما عشت إيفي التحديات.

غلاف: إياد عاشور



مكتبة
t.me/soramnqraa



www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb